في رحاب
فاطمة الزهراء عليها السلام

خادم اهل البيت
أبو محمد الموسوي

الجزء الرابع

في رحاب

فاطمة الزهراء عليها السلام

(المبحث الرابع)

محب أهل البيت: أبو محمد الموسوي

اهداء

الى بضعة الرسول المصطفى ﷺ والانسية الحوراء ..

الى مشكاة الضياء وام الائمة الاطهار النقباء الاصفياء النجباء..

الى أم المكارم الرفيعة والقرب الملكوتي وسيدة النساء..

الى أم ابيها والنسلة الطاهرة لذرية خاتم المرسلين والانبياء ..

الى من غُصب حقها والمدفونة سرا بالليلة الظلماء ..

الى من سُميّت بفاطمة وفُطمت من كل رجس ومكره بوحي من السماء..

أُقدم مجهودي المتواضع والبسيط للتعريف ببعض كمالات ومميزات وصفات وسيرة الحوراء الانسية البتول فاطمة الزهراء ﷺ سيدة النساء وأم الائمة النجباء الاصفياء.. عسى أن ينفعني يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .. والله ولي التوفيق..

شعر في مدح الزهراء ﷺ

أزهراء يا خير النساء تكاملا ويا خير نسل للرسول وكوثرا

أمدرسة الاجيال خلقا ومنطقا وعلما وفكرا للدياجير نورا

و خير وعاء جامع طهرأحمد وطهر علي للائمة أثمرا

صفاتك من ذي العرش نورا ورفعة محدثة مرضية قدوة الورى

وكم حاولوا قطعا لنسل محمد وها هو باق رغمهم قد تجذرا

فيا ابنة طه قد رجوتك فانظري الى وآله عن حبكم ما تغيرا

ويا ربنا اجمعنا بال محمد لنشرب من حوض الميامين كوثرا

مقدمة

لقد نبغ وسمى من الرجال في عالم التقوى وتكامل النفس رجال كثير وكان في طليعتم الرسول المصطفى ﷺ وائمة اهل البيت عليهم السلام.. والانبياء والاوصياء والمتقون.

وعندما نتصفح تقوى النساء ونستعرض كمالات الروح والفضائل السامية في مجال القرب الالهي..فنجد اعدادهن لا يتجاوز عدد أصابع اليد وفي طليعتهن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام.

لقد ورد عن الرسول الاكرم ﷺ قوله في الزهراء عليها السلام:

(كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم ابنة عمران واسية بنت مزاحم امراة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد) ..

وروت عائشة ان رسول اللهﷺ قال لفاطمة عليها السلام:

(الا ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين..)..

لقد كانت فاطمة الزهراء عليها السلام افضل نساء العالمين من الاولين والاخرين ونحن بأمس الحاجة اليها فهي القدوة بعد ابيها المصطفى وبعلها المرتضى صلوات ربي عليهم اجمعين .

ان لفاطمة الزهراء عليها السلام منزلة عندالله عظيمة ورفيعة ولقد شاء الله ان يجعل أمراة سماوية تنشأ باجواء الايمان والتوحيد والطهارة والعفة فكان لها دورا محوريا واساسيا بهذا الوجود الذي نعيشه وان لها درجة عظيمة عند الله تعالى وكما ورد في الحديث القدسي عن الرسول المصطفى ﷺ:

(لولاكَ لما خلقت الافلاك ولولا علي لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما) .

وكما ورد عن الرسول المصطفى ﷺ بقوله في فاطمة عليها السلام:

(ان الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها..) .

ان اسمى مايطمح اليه العبد هو ان يرضى الله عنه ..واما درجة ان يرضى الله لرضاه فهذا مستوى لا يمكن لعقولنا ان تفهم حقيقة ذلك

لشخصية الزهراء البتول ﷺ من خلال الايات القرانية والاحاديث الواردة عن الرسول الاكرم ﷺ واهل البيت ﷺ..فالزهراء ﷺ في حقيقة الامر هي وارثة علوم النبوة والرسالة من ابيها ووارثة علوم الامامة من زوجها علي ابن ابي طالب ﷺ فاصبحت وعاءً لجميع تلك العلوم واصبحت أم الائمة الاطهار ﷺ.

لقد قدمت الزهراء ﷺ اروع واسمى مثالا لكل الانسانية من خلال حياتها القصيرة فملئت الدنيا عطاءً وتضحية في سبيل الله وقدمت كل ما تملك في طريق الحق ولبيان الاسلام المحمدي الاصيل الناصع، حيث شاركت اباها في حياته الصعبة خاصة بعد وفاة امها الطاهرة خديجة فكانت تسلّي اباها وتواسيه حتى كنّاها الرسول الاكرم ﷺ بام ابيها وكانت مثالاً للزوجة المخلصة المطيعة والمواسية لزوجها لتحمل مصاعب وآلام الحياة الصعبة الدنيئة فكانت القدوة لكل النساء..

في هذه السلسلة من المباحث المتعلقة بسيرة أهل البيت ﷺ وهي الحلقة الرابعة بعد سيرة الرسول المصطفى ﷺ ثم مبحث الامامة وسيرة الامام علي ﷺ ثم سيرة فاطمة الزهراء العطرة ﷺ وهي موجزة وبما يمليه القلم العاجز والمتواضع من وصف لبعض الملامح من سيرتها النقية العطرة والمستقيمة ومما نقله التاريخ المنصف، ليكون لنا طريقا وسبيلا للوصول الى مرضات الله.

وفقنا الله للسير على هديها وسيرتها وسيرة أهل بيتها المباركة والعطرة بما يرضي الله..واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين المعصومين المنتجبين ..

الفصل الاول

ولادة الزهراء ونشأتها وشخصيتها ﷺ

فاطمة الزهراء ﷺ هي حوراء أنسية:

لمّا حان وقت حمل خديجة بالزهراء البتول ﷺ فنزل الامين جبرئيل بأمرالله تعالى فأمر رسول الله ﷺ ان يترك مخالطة الناس ويختار العزلة وينشغل بعبادة الله سبحانه وتعالى ولا يأكل من طعام اهل الدنيا ولولقمة ولا يشرب من مياههم ولو جرعه بل يكون صائما ويفطر برطب الجنّة او تينها او تفاحها الى ان تنعقد النطفة من طعام الجنة بعد ان يكون اصل النطفة في ليلة الاسراء وفي الليلة التي قارب بها ﷺ خديجة ﷺ فانعقدت تلك النطفة الطيبة النورانية .. فولدت بعد تسعة اشهر من الحمل فكانت الحوراء الانسية البتول فاطمة الزهراء ﷺ.

متى ولدت الزهراء ﷺ ؟

إن أول ما يطالعنا في حياة الصديقة الطاهرة هو تاريخ ولادتها ﷺ حيث يدّعي البعض أنها ﷺ قد ولدت قبل البعثة بخمس سنوات.

وهذا امر غير منطقي وواقع الامر هو ما ورد عن أئمة أهل البيت ﷺ تبعا للروايات الواردة عنهم وقد تابعهم على ذلك جماعة آخرون وهو ان الزهراء ﷺ قد ولدت بعد البعثة بخمس سنوات، أي في سنة الهجرة إلى الحبشة وقد توفيت الزهراء ﷺ وهي في عمر الورد وقد روي ذلك عن أئمتنا ﷺ بسند صحيح بولادتها بعد المبعث ومن الممكن الاستدلال على ذلك بالروايات والاسانيد التالية:

١- ورد عن الإمام الباقر ﷺ بأن مولد الزهراء ﷺ انما كان في العام الخامس من بعثة النبوية الشريفة وذلك ضمن روايات أئمة أهل البيت ﷺ.

٢- الروايات الكثيرة المروية عن عدد من الصحابة مثل: عمر بن الخطاب وسعد بن مالك السلام وابن عباس وعائشة وغيرهم والتي تدل على أن نطفتها ﷺ قد انعقدت من ثمر الجنة ومن الذي تناوله النبي ﷺ في الإسراء والمعراج وكان بعد البعثة.

٣- من يزعم أن هذه الرواية لا تصح لأن الزهراء قد ولدت قبل البعثة بخمس سنوات فهي مردودة كما اسلفنا إذ أن هذه الروايات التي نحن بصدد الحديث عنها وقد رويت بطرق ضعيفة السند وأقوى شاهد على عدم صحة ذلك الزعم ما روى النسائي: أنه لما خطب أبو بكر وعمربن الخطاب فاطمة ﷺ ردهما النبي ﷺ متعللا بصغر سنها فلو صح قولهم: إنها ولدت قبل البعثة بخمس سنوات فإن عمرها حينما خطباها بعد الهجرة (كما هو مُجمع عليه عند المؤرخين) يكون حوالي ثمانية عشر أو تسعة عشر سنة، فلا يقال لمن هي في مثل هذا السن: إنها صغيرة.

٤- روي أن نساء قريش هجرن خديجة ﷺ فلما حملت بفاطمة كانت تحدثها من بطنها وتصَبرها وقد يستبعد البعض حمل خديجة بفاطمة ﷺ وعلى امها وابيها بعد البعثة بخمس سنوات، لأن عمر خديجة ﷺ حينئذ كان لا يسمح بذلك ولكنه استبعاد في غير محله وما يرجحه الكثير من المؤرخين بان عمرها الشريف كان ٢٨ سنة عند زواجها من الرسول المصطفى ﷺ..واذا كان عمرها الشريف في الاربعينات منه وكما يدعي البعض (أي ولادتها بعد سن اليأس) قد جاء على سبيل الكرامة لخديجة والرسول ﷺ على غرار قوله تعالى:(أألد وأنا عجوز)غير وارد هنا، إذ لو كان الأمر كذلك لكان قد شاع وذاع مع أننا لا نجد أية إشارة تدل على ذلك .

٥- ان نساء قريش هجرن خديجة ﷺ بسبب زواجها من الرسول ﷺوهذا حدث مؤكدا بعد المبعث حيث حورب ﷺ بسبب دعوته الاسلامية بينما كان قبل المبعث الصادق الامين وشخصية تحترمها قريش .

٦- لقد ثبت لأكثر علماء الشيعة ومؤرخيهم هو أنها ولدت بعد البعثة الشريفة بخمسة أعوام في شهرجمادى الثاني ومنهم:العلامة المجلسي والطبرسي والكليني والإردبللي والنيسابوري والصدوق وابن شهرآشوب كما وثبت لبعض علماء العامة ومنهم ابن عبد البر في الاستيعاب والحاكم في المستدرك بأنها ولدت بعد سنة من البعثة النبوية الشريفة وكان عمر الرسول الاكرم ﷺ إحدى وأربعون عاماً .

الولادة المباركة للزهراء ﷺ:

لمّا تزوجت خديجة بالرسول الاكرم ﷺ هجرتها نسوة مكة وكنّ لا يكلمنها ولا يدخلنّ عليها فلما حملت بالزهراء ﷺ كانت اذا خرج الرسول المصطفى ﷺ من

منزلها تكلمها فاطمة وهي في بطنها ومن ظلمة الاحشاء وتحدثها وتؤانسها فدخل ﷺ يوما وسمع خديجة تتحدث فقال لها: ياخديجة من تكلمين ؟

قالت يارسول الله: ان الجنين الذي أنا حامل به اذا أنا خلوت به في منزلي كلمني وحدثني من ظلمة الاحشاء .. فتبسم ﷺ وقال لزوجته خديجة:

(ياخديجة هذا أخي جبرئيل يخبرني انها أنثى وانها النسلة الطاهرة المطهرة الميمونة وان الله تعالى امرني ان اسميها فاطمة وان الله سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها أئمة على الأمة ويجعلهم خلفاء في ارضه) .

ووضعت خديجة فاطمة ﷺ طاهرة مطهرة فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها نور حتى دخل بيوت مكة ولم يبق من شرق الأرض ولا غربها موضع الا أشرق فيه ذلك النور وما ان عرف رسول الله ﷺ بولادتها حتى سجد شكرا لله تعالى وقد علم بأنه سيكون منها سلالته وعترته فكانت أحب اولاده إليه وأقرهم لعينه ..

ولقد ذكر المؤرخون تكلم الزهراء مع امها وهي في بطنها ومنهم ما رواه الطبري في كتاب ذخائرالعقبى والسيوطي في الدرالمنثور..كما وذكر المؤرخون بان نطفة الزهراء من ثمارالجنة ومنهم الخطيب البغدادي في كتاب تاريخ بغداد وذخائر العقبى للسيوطي وفي مستدرك الصحيحين وغيرهم .

لقد وُضعت فاطمة ﷺ طاهرة مطهرة، فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها نور حتى دخل بيوتات مكة..وقالت النسوة:خذيها يا خديجة طاهرة مطهرة زكية ميمونة بورك فيها وفي نسلها فتناولتها فرحة مستبشرة ..

يا حبذا من ليلة الميلاد الليلة العشرين من جمادي
ميلاد بنت المصطفى الرسول صديقة طاهرة بتول

ولقد كانت حوراء زكية ..

سيدة إنسية حوراء فاطمة زكية زهراء
وما اعظم ليلة الميلاد من ليلة مباركة
يا ليلة سُر بها محمد إذ ولدت بنت النبي أحمد

لقد سر ميلادها قلوب البشر

ميلادها سر قلوب البشر لأنها شفيعة في المحشر
وأشرقت مكة بالأنوار وطيبة كذاك بالأزهار

وقرت عين من والاها

وقرت العيون من ابناها كذاك قرت عين من والاها

وقرت عين خديجة

خديجة بمكة مليكة كانت على العريش والأريكة

ومن حق خديجة ان تفتخر بالمولود العظيم

حق لها لو فخرت مدى الزمن ببنتها أم الحسين والحسن

كما واينع غصن النبي الطاهر الميمون

نور الإله قد ضحى وأشرق غصن النبي قد علا وأورق

وكان نورها ﷺ قنديلا في السماء

بكل الآفاق ضياؤها ضحى أنار أطباق السماوات العلى

ونورها قد كان قنديل الضيا معلقا في ساق عرش الكبريا

هذا منبت فاطمة الزهراء ﷺ . فلقد ولدت من الأصلاب الشامخة والأرحام الطاهرة لم تنجسها الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسها من مدلهمات ثيابها ولدت لأبوين كريمين طاهرين وفي جو يغمره الحب والحنان والوئام في بيت رسول الله ﷺ ومما لا شك فيه فإن عوامل الوراثة والبيئة هذه التي توفرت لفاطمة ﷺ .

في أجواء هذا البيت الرسالي ولدت الزهراء ﷺ وتحت هذه الظلال عاشت وترعرعت وفي هذه الرعاية نشأت وتربّت وكان طبيعيا أن تؤثر هذه البيئة العائلية الطيبة على حياة فاطمة وشخصيتها فتتأثر بأبويها وتقتدي بخيرة خلق الله خلقا وإنسانية فكانت خيرة النساء وقدوة المرأة المسلمة وأم الأئمة الهداة هذه فاطمة الزهراء ﷺ سليلة أبوين جمعا المكارم بكل أطرافه وسليلة الرسالة السماوية والوحي الإلهي وطيب الأرومة ..سليلة النور والمآثر الحميدة والمجد التليد وأم الأئمة الهداة الطاهرين.. المعصومين .

مراسيم ولادة الزهراء ﷺ من قبل نساء الجنة:

ولدت فاطمة الزهراء ﷺ في مكة المكرمة في اشرف بقعة في حينها يوم الجمعة في العشرين من جمادي الثاني بعد المبعث النبوي الشريف بخمس سنين من أكرم أبوين عرفهما التأريخ البشري عظيميني عريقي الشرف بل هما منبع الشرف وكلاهما

يرجعان بالنسب الى قصي بن كلاب والى جدّهما اسماعيل فكلاهما من ذريّة ابراهيم الخليل ﷺ.

لقد كانت شقة الخلاف تزداد بين الحبيب المصطفى ﷺ وبين مشركي قريش كل يوم وكانت أموال خديجة تنفق في سبيل الله وفي سبيل الدعوة الاسلامية فلم يبقى لها ذلك الثراء العريض ولا تلك التجارة الواسعة وبالتالي تسارعها الى الفقر .

ومن جانب آخرهو تصلّب موقف خديجة رضوان الله عليها للدعوة ضد الافكار الجاهلية والمخالفة للتعاليم السماوية والتي كانت تحملها نساء قريش، اضافة الى تخلّي تلك النساء عنها وعدم الدخول الى بيتها والمقاطعة لها تماما حتى اصبحت تعيش من دون النساء.

وعندما احسّت بموعد الولادة للمولود المبارك والميمون ارسلت خديجة الى نساء قريش تطلب منهن العون في امرالولادة..ولكنهن جابهنها بالرد المشوب باللوم ورفضّن التعاون معها ومساعدتها لغرض وضع الحمل عنها ومداراتها وما يتطلب من رعاية بعد الولادة .

فجلست خديجةﷺ كئيبة حزينة اذ لم تكن هناك نساء يستأجرن لهذا الغرض مثلما هو موجود في ايامنا في الوقت الحاضر، هذا بالاضافة لعدم وجود مستوصف صحي او مستشفى للولادة ومن المعلوم بان المرأة الحامل تحتاج الى من يولّدها ويتابع أمرها .

لقد اصبحت معزولة عن الدنيا ومن حقها ان تتألم لهذه الغربة والعزلة ..

لقد كانت بالامس سيدة قريش وملكة الحجازوكانت تعتمد على اموالها تجارة الجزيرة شمالا وجنوبا وكان عصب التجارة بيدها.. ولكنّها حين انفقت اموالها في سبيل الله بعد زواجها من الرسول الاكرم ﷺ بقيت منفردة ومعزولة وقد اعرض عنها حتى تلك النسوة التي كنّ في خدمتها بالامس القريب .

ان الرحمة الالهية الواسعة لم تترك سيدة نساء عصرها والمؤمنة بالله ورسوله والتي بذلت مالها في سبيل الاسلام فلم تتركها الرحمة الربانية حائرة وحيدة فبينما هي كذلك واذا بنساء سمرا طوالا وردن عليها البيت ، فقالت احداهن:

لاتخافي ولاتحزني فأنا معك وجئناك لنلي منك ماتلي النساء مثلك في هذه الحالة ..ثم اضافت تقول: أنا سارة زوجة ابراهيم الخليل..وهذه آسية بنت مزاحم .. وهذه مريم بنت عمران..وهذه كلثم اخت موسى .

ثم اخذن يتعاوّن في امر المخاض، حتى ولدت فاطمة ﷺ وقالت وهي تستهل الكلام في اول قدومها للحياة الدنيا وهي ساجدة لله بقولها:اشهد ان لا اله الا الله وأن ابي رسول الله وسيد الانبياء.. ثم أخذت تنشأ النشأة المباركة الطيبة الميمونة ..

انحصار ذرية الرسول من فاطمة ﷺ حصرا:

لقد انحصرت ذريّة الرسول المصطفى ﷺ من خديجة ﷺ فهي جدّة الائمة الطاهرين من خلال أبنتها الزهراء ﷺ لذا قال الشاعر:

ما تمنى غيرها نسلا ومن يلد الزهراء يزهد في سواها

وقال شاعر اخر:

ما عاب مفخرها التأنيث أن بها على الرجال نساء الدهر تفتخر

وقال شاعر اخر:

فان تكن النساء كمن ذكرنا فلا التأنيث في اسم الشمس عيب

وصدق الأستاذ العقاد حيث يقول:

(في كل دين صورة للأنوثة الكاملة المقدسة يتخشع بتقديسها المؤمنون كأنما هي آية الله فيما خلق من ذكر وأنثى فإذا تقدست في المسيحية صورة مريم العذراء ففي الاسلام لا جرم تتقدس صورة فاطمة البتول..) .

وهكذا نشأت الزهراء الحورية الانسية ﷺ في ظل هذين الابوين العظيمين وفي دار يغمرها حنان ابيها صاحب اعلى خلق والمربي الاول وقد وصفه الله تعالى في كتابه المجيد.. (وانك لعلى خلق عظيم) وهو ارحم انسان عرفته الدنيا وأمها اعظم امراة لزمانها في عفتها واخلاقها وكرمها.

لقد كان الرسول الاكرم ﷺ يشرف بنفسه على تربية ابنته الطاهرة فكانت مثالا للفتاة والمراة الكاملة وكانت مع قصر عمرها الزمني ولكّنها مدرسة المتكاملة للاجيال وقد ملئت الدنيا فكرا وسلوكا يُحتذى به واخلاقا عالية في القدوة واذا كان اعلى درجة يصل اليها الانسان من العبودية لله هي أن يرضى الله عنه ولكن فاطمة الزهراء ﷺ كانت اسمى من ذلك فقال الرسول الاكرم ﷺ في حق ابنته الزهراء البتول:

(ان الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها).

ان الله قد شرّف فاطمة الزهراء ﷺ منذ خلقتها الاولى حيث فضّل ذاتها على غيرها من النساء، فطينتها ارفع من طينة سائر الناس بعد الرسول الاكرم ﷺ وأميرالمؤمنين علي ﷺ كما يُستفاد من حديث التفاحة حيث قال ﷺ :

(لمّا أسري بي ودخلت الجنة فناولني جبرئيل تفاحة فأكلتها فصارت نطفة وفاطمة منها وكلما اشتقت الى ريح الجنة قبلّتها..) .

لذا فان فاطمة الزهراء الصديقة كانت القمة في كل شئ ..في طاعتها لله ولرسوله ولولية اميرالمؤمنين علي ابن ابي طالب ﷺ وكانت البنت المطيعة والزوجة الطيبة والأم النموذجية والعابدة لله والمضحية في سبيل الله وكانت ولا زالت معدن الرحمة والرأفة والعطاء وجميع ما يتصوره الإنسان في الإنسان الكامل ومع كل ذلك تبقى مناقب السيدة الصديقة الشهيدة مميزة عن غيرها حتى في نوع الأوسمة التي نالتها باستحقاق.. ولنذكر لذلك مثلا واحدا في مقارنتها مع النساء:

لقد روى الترمذي عن عائشة (لو صحت الرواية) أن النبي ﷺ قال: فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام .

تأمل في التشبيه (على فرض أنه من النبي ﷺ) ثريد . .طعام . .شهوة وهذا لايليق مع صاحب البلاغة والقول الحكيم اضافة لكون الحديث الموضوع يقلل من شان عائشة فيمثل مستواها بالاكل، بينما قال ﷺ في فاطمة ﷺ:

أنها سيدة نساء العالمين وقال سيدة نساء أهل الجنة..وقال:أنها روحي التي بين جنبي وقال: الحوراء الإنسية وقال وقال ما شاء الله له أن يقول . .

هذا وقد اتفق المؤالف والمخالف على مناقب أهل البيت ﷺ عامة ومناقب فاطمة الزهراء ﷺ خاصة في فضلها ومنزلتها العظيمة عند الله ورسوله .

أسماؤها وكنيتها والقابها ﷺ

هي فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين وبضعة المصطفى وأم أبيها وزوجة سيد الموحّدين أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب وأم سيديَ شباب أهل الجنّة والتسعة المعصومين من ذرّية الحسين ﷺ.

وقد ذكر الإمام الصادق ﷺ تسعة أسماء لأمّه فاطمة ﷺ وهي :(**فاطمة والصديقة والمباركة والطاهرة والزكية والراضية والمرضية والمحدّثة والزهراء**)/ دلائل الإمامة / الطبري : ٧٩ / ١٩ وبحار الأنوار ٤٣ : ١٠ / ١.

وهناك أسماء أخرى وردت في روايات أخرى وهي :الحرّة والسيدة والعذراء والحوراء ومريم الكبرى والبتول / بحار الأنوار ٤٣ : ١٦ / ١٥ عن المناقب / ابن شهراشوب ٣ : ١٣٣.

أما كناها فقد كانت تكنّى بأمّ أبيها وأم السبطين وأمّ الحسن وأمّ الحسين وأمّ الأئمة وغيرها / الاستيعاب لابن عبد البر ٤ : ٣٨٠..

وأشهر ألقابها : سيدة نساء العالمين / إحقاق الحقّ للقاضي التستري ١٠ : ٢٦ ، مستدرك الحاكم النيسابوري ٣ : ١٧٠ / ٤٧٤٠ وعوالم السيدة فاطمة الزهراء ﷺ وسيدة نساء المؤمنين / صحيح مسلم : ٩٩٥ / ٢٤٥٠ ط بيت الأفكار الدولية ، مستدرك الحاكم ٣ : ١٧٠ / ٤٧٤٠. وسيدة نساء هذه الأمة / المصدر السابق وسيدة نساء أهل الجنة / صحيح البخاري : ٧١٧ باب مناقب فاطمة ﷺ ط بيت الأفكار الدولية - الرياض ، كشف الغمّة ١ : ٤٥٣.

شمائلها:

كانت الصديقة فاطمة الزهراء ﷺ تشبه أباها المصطفى ﷺ خلقاً وأخلاقاً ومنطقاً، وقد جاء عن عائشة أنها قالت في وصفها:

ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً برسول الله ﷺ في قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسول الله ﷺ / سنن الترمذي.

وعن أُم سلمة، قالت: كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ أشبه الناس وجهاً وشبهاً برسول الله ﷺ / كشف الغمة.

وكانت الزهراء ﷺ المثل الأعلى للنساء في جميع صفات الكمال وفي كلّ الفضائل الإنسانية ومن هنا وصفها النبي ﷺ مراراً بالحورية وسميت بالزهراء لجمال هيئتها والنور الساطع من طلعتها.

فاطمة الزهراء سيدة النساء:

هي البتول الطهر والطاهرة والزكية الزهرة الزهراء والزاهرة المحدثة، العليمة، العالمة،الحكيمة،الحليمة،التقية،النقية،حبيبة أبيها، السيدة،الزاهدة، حوراءانسية ..بضعة رسول الله، شجنة الرسول المصطفى، المظلومة، المضطهدة الشهيدة، مؤنسة خديجة الكبرى في بطنها، أم الأئمة والدة حجج الله في ارضه، أمة الله، بنت النبي المصطفى، زوجة الوصي المرتضى، سيدة نساء أهل الجنة وسيدة نساء العالمين، الأمة البارة، المدفونة بالليل، الكاظمة، الرؤوفة .. لقد بتلت نفسها على المحظورات والمكروهات عقلا وشرعا فتبتلت وانقطعت إلى طاعة الله وعباداته علما وعملا وبتل الحيض

والاستحاضة والنفاس عنها وكانت طاهرة مطهرة ابدا طاهرة ولم تزل وكانت من الذين اذهب الله عنهم الرجس أهل البيت وطهرهم تطهيرا وكان أبوها يشم رأسها وصدرها ويقول ﷺ:أجد رائحة زهر الجنة منها وهي زهراء تشبه أباها في الخلق والخلق والحسن والجمال وكان النبي ﷺ يسمّى الأزهر وهي الزهراء ﷺ..

خصائص فاطمة الزهراء ﷺ

لقد تميزت فاطمة الزهراء ﷺ تلك المخدرة بكنى والكنية من الكناية والكنية تقوم مقام الاسم فيعْرف صاحبها بها كما يعرف باسمه والكنية من مفاخر العرب وعاداتهم، ولم تكن معروفة عند غيرهم من الأمم، وهم يستعملونها توقيرا وتعظيما وتكريما للمكنى، ثم صارت متداولة عند العجم، حيث صاروا يكنون بعبارات وإشارات خاصة عندهم، بل إن العرب يفضلون الكنية على اللقب وكما قال الشاعر:

أكنيّه حين أناديه لأكرمه ولا ألقبه واسوءة اللقبا

كذاك أدبت حتى صار من خلقي إني وجدت ملاك الشيمة الأدبا

وظاهرمعنى البيتين أن الكنية ممدوحة واللقب مقدوح وروي عن أميرالمؤمنين ﷺ: إن الأطفال كانوا يكنون منذ الولادة في صدر الإسلام.

وقال العلامة المجلسي: الكنية للمولود في المهد علامة الشرف، بل هي مستحبة. وفي الحديث: إن رسول الله ﷺ كنى سيد الشهداء ﷺ يوم ولادته بأبي عبدالله.

وقال أميرالمؤمنين ﷺ:

نحن الكرام بنو الكرا م علي وطفلنا في المهد يكنى

إنا إذا قعد اللئا م على بساط العز قمنا

ومنه يعرف ما ذهب إليه العلامة المجلسي وما هو المشهور وعرفوا الكنية بأنه ما كان مصدرا بأب وأم وابن، مثل (أبو الحسن وأم كلثوم وابن عباس وابن الحاجب) بل ما كان مصدرا بـ(بنت) أيضا مثل (بنت العنب، وبنت الكرم) وغيرها وكان العرب يكنون الرجل باسم ابنته توهينا له، فيقال (أبو كريمة وأبو رقية وأبو عائشة وأبو أمامة وأبو أسامة) وكان يكنى عثمان بـ (أبي ليلى) وكذا معاوية بن يزيد بن معاوية وكان المخالفون يكنون أميرالمؤمنين ﷺ بـ (أبي زينب) وقد يكنون بلحاظ وصف شائع، مثل (أبو اليقظان) كنية الديك بلحاظ إستيقاظه ومثل (أبو وذحة) كنية

الحجاج بن يوسف الثقفي والوذحة الخنفساء وكني يزيد بن معاوية بـ(أبي زنه) وزنه اسم قرد ومن أقبح كنى العرب: أبو الحمراء وأبو النتن وأبو البعرة وأبو لهب كني بذلك لحمرة شديدة في وجهه .

قال أحد المفسرين في تفسير قوله تعالى (فقولا له قولا لينا): قيل المراد من القول اللين مخاطبة فرعون بالكنية .. وخاطب موسى ﷺ البحر قائلا (يا أبا خالد انفلق) ودعيت الحمى بـ (أم ملدم) وفي ذلك أسرار وقد وضع العرب للحيوانات كنى نجدها كثيرا في (حياة الحيوان) .

والخلاصة: يجب تعظيم الأسرة المحترمة وإكرام الآل العظماء وذوي البيوتات ومن أقسام الإحترام والتكريم الشائعة الدعوة بالكنية وقد تسقط كلمة الأب بمقتضى الحال ومتطلبات المقام ويكتفى بذكر الاسم دون سبقه (بأب) أو (أم) كما قال عبدالمطلب ﷺ:

وصيت من كنيته بطالب عبد مناف وهو ذو تجارب

والمراد من (طالب) أي أبي طالب واسمه (عبد مناف) وهو من الأعلام المشتركة .

وروي نظير ذلك في حق رسول الله ﷺ المكنى بقاسم يعني (أبو القاسم) ونظيره ما ورد في كتاب الغيبة في حق إمام العصر أرواحنا له الفداء حيث روي أنه كني بجعفر والمراد (أبو جعفر) وكنى رسول الله ﷺ أميرالمؤمنين ﷺ بمقتضى الحال لا الماضي ولا الاستقبال لما رآه نائما على التراب بـ (أبي تراب) وقال: قم يا أبا تراب وكانت أحب الكنى إليه ﷺ وكان يفتخر بها ولنعم ما قاله الصاحب بن عباد:

أنا وجميع من فوق التراب فداء تراب نعل أبي تراب

وكنى سيدة النساء ﷺ بعد هذه المقدمة الموجزة ومعرفة معنى الكنية وأقسام استعمالها ووضعها وهكذا فان للصديقة الطاهرة ﷺ عدة كنى، بعضها في كتب الأخبار مذكور مشهور وبعضها مخفي غيرمشهوروبعضها قد يتحد مع بعض في المعنى وإن اختلفت لفظا ومادة وبعبارة أخرى فإن هذه الكنية لم تزد فاطمة الزهراء ﷺ شرفا بل تشرفت بها وقد زانت فاطمة الكنية ولم تزنها لأن فاطمة الزهراء ﷺ هي بنفسها العيشة الراضية المرضية في الدنيا والآخرة بل هي منشأ الهناء ومصدره وكان أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب ﷺ يشكر الله على هذه النعمة الموهوبة في دار الدنيا، حيث عاشا في غاية التلاؤم والانسجام ونالا غاية الكمال من اللذائذ الروحانية والحظوظ المعنوية الربانية التي كانا يتمتعان بها وسيتم التوسع في هذا الموضوع في مقامات الزهراء ﷺ.

في بيان اسمها المبارك

في بيان الاسم المبارك لفاطمة الزهراء ﷺ حيث لا يخفى أن تسعة من أمهات النبي ﷺ وجداته سمين بفاطمة وتسع سمين بعاتكة وفي إصطلاح أهل الحديث والسير (الفواطم التسع) و(العواتك التسع) .. وقد ورد عن النبي ﷺ: أنا ابن العواتك من سليم وقال الشاعر: يابن الطواهر والزواكي يابن الفواطم والعواتك

وقال الجوهري في الصحاح: والعواتك في جدات النبي ﷺ تسع، ثلاث من سليم: بنت هلال أم جد هاشم، وبنت مرة بن هلال أم هاشم وبنت الأوقص بن مرة بن هلال أم وهب بن عبد مناف.. والبواقي من غير بني سليم وعاتكة بنت أسد وبنت خاله وبنت زيد بن عمرو وبنت عبدالله وبنت عوف وبنت نعيم وبنت وليد كان لهن صحبة.

أما الفواطم التسع: فخمس قرشيات ويمانيتان وقيسيتان .

فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومي أم عبدالله بن عبدالمطلب فاطمة بنت زراح بن ربيعة فاطمة بنت سعد بن سيل وهي الجدة الخامسة لرسول الله ﷺ وأم جده قصي وسمي جدها (سيل) لطول قامته وهو اسم جبل وكان سعد أبوها أول من رصع السيف بالفضة والذهب وذلك أنه زوج ابنته من كلاب، فلما خرجت إلى مكة بعث معها سيفين مرصعين هدية للبيت الحرام وهي غير عاتكة بنت سعد، فاطمة بنت النضر بن عوف، وفاطمة بنت قصي التي عرفت باسم أمها .

وأما الفواطم الأخرى من غير أمهات النبي ﷺ فيربو عددهن على عشرين امرأة ممن تسمين بهذا الاسم تيمنا وتبركا مثل: فاطمة أم خديجة وفاطمة بنت أسد وفاطمة بنت الزبير وفاطمة بنت حمزة ﷺ والغرض من نقل أسماء أمهات النبي ﷺ وغيرهن أن يتعرف القارئ أن هذا الاسم الشريف كان متداولا قبل أن تسمى به فاطمة الزهراء ﷺ. أن سبب انتشار هذا الاسم في هذه الأسرة النبيلة ذات الأنساب الجليلة فأن اباء الزهراء المطهرين وأمهاتها الطاهرات كانت لهم معرفة خاصة بحق المستورة الكبرى وعلو مقاماتها كما ورد في الاخبار بوصف درجة ومنزلة فاطمة الزهراء ﷺ:

(وعلى معرفتها دارت القرون الأولى) حيث كان الأنبياء العظام يوصون أممهم بحبها ومعرفتها ويأمرونهم بالتوسل بشفيعة يوم الجزاء في البلايا والشدائد فإذا كان هذا هو دأب الجميع، فلا بد أن يكون أهلها أعرف بها، بل إنهم كانوا يفتخرون لأنهم وقعوا في

سلسلة ابائها وأمهاتها وكانوا يسمون أغلب بناتهم باسمها تشريفا وافتخارا ولو راجعنا الشجرة النبوية الطاهرة وفروعها الباهرة الزاهرة إلى النضر بن كنانة، لعلمنا ذلك .

لقد كان الأنبياء العظام عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام كان يدعوها ببعض ألقابها الخاصة ولكنهم كانوا يعرفون اسم فاطمة ﷺ ولنستعرض توسل الأنبياء بالصديقة الكبرى فاطمة الزهراء ﷺ قبل ولادتها في شدائدهم بنموذجين:

النموذج الأول: اللوحة السليمانية

ففي الحرب العالمية الأولى١٩١٦ ميلادية عندما كان بعض الجنود البريطانيين يحفرون مواقع لهم للحرب في قرية (اونتره) الصغيرة التي تبعد بضعة كيلومترات عن مدينة القدس عثروا على لوحة فضية مرصّعة حواشيها بالمجوهرات الثمينة قد رسمت وسطها في حروف مذهبة فأخذ الجنود تلك اللوحة إلى قائدهم (الميجر- أين كريندل) وكلما حاول هذا القائد فهم تلك الخطوط فلم يتمكن ولكنه أدرك بأن اللوحة كتبت بلغة قديمة جدا، ثم تناقلت هذه اللوحة أيد كثيرة إلى أن وصلت بيد قائد الجيش البريطاني (ليفتونات) و(كلد ستون) ثم أوصل هذه اللوحة إلى علماء الآثار في بريطانيا وبعد انتهاء الحرب العالمية ١٩١٨ ميلادية أخذ البريطانيون في تحقيق الأمر وحاولوا فهم تلك الخطوط ولكنهم حينما لم يتمكنوا من ذلك شكلوا لجنة تضم علماء في اللغات من بريطانيا وأمريكا وفرنسا وألمانيا وبقية الدول الاروبية وبعد مضي أشهر من المطالعة والتحقيق وفي اليوم الثالث من شهر كانون الثاني بالتحديد انكشف لديهم بأن هذه اللوحة هي لوحة مقدسة تسمى (اللوحة السليمانية) وما رسم فيها هو كلام للنبي سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وقد كتبت باللغة العبرية القديمة ونحاول ان نستعرض نفس رسوم تلك اللوحة ثم نذكر ترجمتها بعد ذلك، وتقرأ من اليمين إلى اليسار:

محل التصاوير..إن اللغة العبرية كسائر اللغات قد تبدلت وتغيرت بمرورالزمن وذهب المحققون وأساتذة اللغات القديمة إلى أن الحروف الهجائية في اللغة العبرية كانت على عهد سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام من اليمين إلى اليسار هكذا: وأما في زماننا الحاضر فإنها تكتب من اليسار إلى اليمين هكذا: وكانت ترجمة اللوحة المذكورة كالتالي:

الله أحمد ايلي باهتول حاسن حاسين ياه أحمد مقذا (يا أحمد أغثني) ياه ايلي انصطاه (يا علي أعني) ياه باهتول أكاشئي (يا بتول اعطفي علي) ياه حاسن اضومظع (يا حسن أكرمني) ياه حاسين بارفو (يا حسين سرني) امو سليمان صوه عثخب زالهلاد افتا (هذا سليمان يستغيث الآن) بهذه العظماء الخمسة، بذت الله كم ايلي (وعلي هو قدرة الله).

ثم إن أعضاء هذه اللجنة لما اطلعوا على مضمون هذه اللوحة المقدسة نظر كل منهم إلى صاحبه بتعجب له معناه وعضوا على أنامل الحيرة ثم بعد تبادل وجهات النظر قرروا إرسال هذه اللوحة إلى المتحف الملكي البريطاني ولكن حينما بلغ الخبر كبير أساقفة بريطانيا اللورد راشوب أصدر أمرا إلى تلك اللجنة هذه خلاصته: (إذا وضعت هذه اللوحة في المتحف وصارت أمام أنظار الناس فسوف يتضعضع أساس المسيحية وبالنتيجة سوف يشيع المسيحيون أنفسهم جنازة المسيحية ويدفنونها في مقبرة النسيان فالأولى أن توضع هذه اللوحة في مخزن أسرار الكنيسة البريطانية ولا يطلع عليها إلا الأسقف وبعض الأفراد المعينين)..

هذا ما ورد في كتاب Wnder Fulstories of Islam طبعة لندن ص ٢٤٩ .. وإن الذين اطلعوا على هذه اللوحة ورأوها قد مالوا بشكل عجيب إلى الإسلام وأعلنوا إسلامهم في الحال، كما حدث ذلك للعالمين (وليم) و(تامس) الذين اطلعا على اللوحة فتبادلا الكلام حولها فأسلما في نفس الوقت وقد بدل وليم اسمه إلى (كرم حسين) وتامس إلى (فضل حسين) وقد ورد ذلك في مجلة الإسلام/دلهي في شباط سنة ١٩٢٧ ميلادية، ومجلة (كرانيكل) لندن ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٢٦ ميلادية .

النموذج الثاني: لوحة سفينة نوح عليه السلام

في شهر حزيران عام ١٩٥١ ميلادية حينما كانت مجموعة من خبراء المناجم الروس تبحث عن منجم فاشتغلوا بحفر الأرض عثروا على بعض الألواح الخشبية القديمة التي قد نخرتها الأرض وأثرت أثرها فيها وبعد ما حفروا أكثر وجدوا قطعا كثيرة تحت الأرض قد أصبحت خاوية بسبب مرورالزمن عليها ومن العلامات الموجودة عليها أدركوا بأنها لا بد أن تكون من الخشب غير العادي وتشتمل على بعض الرموز لذا أخذوا ينبشون الأرض بدقة كاملة فرأوا قطعا من الخشب البالي

وأشياء أخرى ثم رأوا خشبة مستطيلة الشكل قد حيرتهم جميعا لأنها كانت صحيحة سالمة لم تؤثر الأرض فيها بخلاف سائر الخشب ويبلغ طولها ١٤ عقدة وعرضها ١٠ عقدة وقد رسم عليها بعض الحروف، ثم إن الدولة الروسية لما علمت بهذا الحادث شكلت لجنة في اليوم ٢٧ من شهر شباط عام ١٩٥٣ ميلادية للتحقيق حول هذه الخشبة وقد تشكلت اللجنة بعضوية جملة من خبراء الآثار وأساتذة اللغات القديمة ولابد من ذكر أسماء وعناوين أعضاء اللجنة وهم:

١- سولي نوف - أستاذ جامعة موسكو / قسم اللغات .

٢- ايفاهان خينو - أستاذ اللغات القديمة في كلية رجاينا .

٣- ميثانن، لوفارتك - رئيس قسم الآثار القديمة .

٤- تانمول جورت - أستاذ اللغات في كلية كيفزو .

٥- دي راكن - عالم الآثار وأستاذ جامعة لينين .

٦- أيم - أحمد كولاد - الناظم في دائرة التحقيق في زتكومن .

٧- ميجر كولتوف / استاذ جامعي

وظهرت النتائج بعد ثمانية أشهر من التحقيق والمطالعة انكشفت لدى اللجنة المذكورة أسرار هذه الخشبة وتبين لهم أن هذه الخشبة هي قطعة من سفينة نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وقد كتب عليها على لوحة السفينة بعض الأشياء للإستنجاد والتيمن وكان قد علقها على صدر السفينة وفي وسط هذه الخشبة نقش رسم بشكل الكف وقد كتب عليها عدة جمل باللغة السامانية وقد ترجمت الى اللغة الروسية وحسب المجلة الشهرية (TAOAIIEH موسكو نوفمبر ١٩٥٣ بالعدد/ ٣٠٦ ومجلة Weekly mirror ديسمبر ١٩٥ وجريدة الهدى القاهرية) وأما ترجمتها باللغة العربية فهي على الشكل التالي:

(يا ربي يا معيني: بلطفك ورحمتك وبالذوات المقدسة محمد، إيليا، شبر، شبير وفاطمة خذوا بيدي ..هذه الذوات الخمسة المقدسة هي أعظم من كل أحد ويجب إحترامها وخلق كل العالم لأجلها، إلهي بواسطة أسماءهم أسعفني، إنك قادر على أن تهدي الناس إلى الصراط المستقيم ..).

كما ورد ذلك في نشرية البذرة النجفية في عدديها الثاني والثالث تاريخ شوال وذي القعدة عام ١٣٨٥ هجرية نقلا عما نشرته الجمعية الخيرية الإسلامية في كربلاء

المقدسة بحثا مترجما عن كتاب (اليا) والذي نشرته دار المعارف الإسلامية بلاهور باكستان تحت عنوان أسماء مباركة توسل بها نوح .

أولاد فاطمة الزهراء عليها السلام :

كانت ثمرة زواج أمير المؤمنين من الصديقة فاطمة أن رزقا ولدين وهما الحسن والحسين عليهما السلام سيدا شباب أهل الجنّة. فقد ولد الحسن السبط عليه السلام في النصف من شهر رمضان عام ثلاثة من الهجرة وولد الحسين عليه السلام في الثالث من شهر شعبان عام أربعة من الهجرة.

وعند ولادة كل منهما استبشرت الصدّيقة فاطمة عليها السلام وأمير المؤمنين عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله وبولادتهما أشرق بيت الزهراء وعلي عليه السلام بكوكبين أنارا سماءه وزيّنا جدرانه وغمراه بهجة وسروراً.

وكان المولود الثالث زينب العقيلة عليها السلام بطلة كربلاء وكان مولدها في السنة الخامسة من الهجرة ثم زينب الصغرى / التتمّة في تواريخ الأئمّة عليهم السلام / تاج الدين العاملي : ٥٧.

وهي المعروفة بأمّ كلثوم /معاني الأخبار / الشيخ الصدوق : ١٠٦ / ٢..

ثم ابنها الأخير الذي حملت به في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسمّاه قبل أن يُولد محسناً ، لكنه أسقط قبل ولادته عليه السلام فاستُشهد مظلوماً بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بأيام على أثر ما جرى على أهل البيت عليهم السلام في حوادث السقيفة.

شخصية فاطمة الزهراء عليها السلام

لقد تعرض القران الكريم وذكر شخصيات من النساء وعرض دورها المتميز والمهم في التاريخ الانساني ومن تلك الامثلة امرأة فرعون وهي آسية بنت مزاحم ومدى ثباتها على الايمان بالله تعالى في اجواء فرعونية بحته وادعاؤه الربوبية فقال تعالى (وضرب الله مثلا للذين أمنوا امراة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين)/ التحريم ١١.

وكذلك دورالطاهرة مريم بنت عمران عليها السلام وقد ذكرها القران بالطاهرة والدرجة الخاصة فقال تعالى (واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) ال عمران ٤٢.

ان ماعرضه القران الكريم من هذه النماذج يرتبط بالسلوك الشخصي للسيدة مريم عليها السلام وتكاملاتها المعنوية والروحية وكذلك في السلوك الشخصي والموقف الرسالي لاسية بنت مزاحم امراة فرعون ..

ولكننا عندما ندرس شخصية الزهراء ﷺ من خلال وجودها ومحوريتها في منظومة أهل البيت ﷺ ..وهم فاطمة وابوها وبعلها وبنوها والتسعة المعصومين من ذرية الامام الحسين ﷺ .. فنجد لها طعما خاصا وموقفا كبيرا ودورا وابعاد اوسع بكثير من البعد والدور الذي عرضه القران الكريم لمريم بنت عمران واسية بنت مزاحم..

ان لفاطمة الزهراء ﷺ مقاما لا يدانيه مقام ولها محورية في نظام العالم والمجموعة الكونية التي نعيش بها.. فهي بعد ابيها سيد المرسلين وخاتم الانبياء محمد ﷺ وزوجها الامام علي بن ابي طالب ﷺ حيث لا يمكن لعقولنا المحدودة ان تفهم حقيقة ما يشير اليها القرآن الكريم من ايات وكذلك الاحاديث الشريفة والواردة عن الرسول الاكرم ﷺ وأهل بيته الاطهار في تعريف شخصية فاطمة الزهراء ﷺ.

فالزهراء بحقيقة الامر هي الوارثة لعلوم أعظم نبوة ورسالة من ابيها سيد الانبياء والمرسلين محمد ﷺ وورثت علوم أعظم أمامة من زوجها علي بن ابي طالب ﷺ فاصبحت وعاء لجميع تلك العلوم والمعارف العظيمة واصبحت ام الائمة الاطهار المعصومين.

ان الصديقة الزهراء ﷺ هي سيدة نساء العالمين من الاولين والاخرين ومن النساء الكاملات الفاضلات العظيمات فهي القدوة للحاضر والمستقبل وهي ليست للنساء فحسب بل للبشرية اجمع وكيف لا تكون كذلك وقد وصفها اصدق البشرية ورسول الانسانية وخاتم الانبياء والمرسلين، الحبيب المصطفى ﷺ بقوله بأنها: (سيدة نساء العالمين) وقال ﷺ: بانها (أم ابيها) .

ان الحديث عن شخصية سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء ﷺ هو حديث عن النبوة والامامة معاً ولشدة الترابط والتداخل بين الامرين العظيمين وكما يصوره الحديث القدسي ليبين عظمة الزهراء البتول ﷺ فيأتي القول مخاطبا حبيبه المصطفى ﷺ: (لولاك يامحمد ما خلقت الافلاك ولولا علي لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما) ..

لقد ذكرت فاطمة الزهراء ﷺ في خاتمة الحديث..ولابد من معرفة بعض تلك الاسرار لبيان عظمة تلك الشخصية السماوية والحوراء الانسية ومنها:

١- انها ﷺ الكوثر وهي احد المصاديق التي ذكرها القران الكريم بقوله تعالى (انا اعطيناك الكوثر..)..ولقد فاق ذلك النسل كل نسل وانتشرت ذريتها لتملئ الارض بذلك النسل المبارك .

٢- ان الزهراء البتول ﷺ هي الذرية الوحيدة لسيد الكائنات الرسول المصطفى ﷺ وحبيب اله العالمين و هي الاصل في ذريته المباركة .

٣- انها الحوراء الانسية ﷺ وليس لها كفئ الا الامام علي ﷺ.

٤- انها الوعاء الجامع للنبوة والامامة وبها انحسرت الذرية الطاهرة بائمة الهدى المعصومين .

وبهذا فان الزهراء البتول ﷺ لها المحورية في أعظم نبوة وامامة فلولاها لما كان الاسلام وما كانت الحياة لها دور يذكر ..

ففي الحديث الوارد عن الرسول المصطفى ﷺ في حديث الكساء يتبين دورها ومحوريتها ولعل من التعريف الفريد في الاسلوب من قبل الله تعالى في هذا الحديث الشريف والمروي عن الزهراء ﷺ وباسانيد معتبرة رواه الخاصة والعامة بان جبرئيل ﷺ سأل الله سبحانه وتعالى: ومن تحت الكساء ؟

واراد الله تعالى ان يعّرف بالخمسة الطيبين الطاهرين ﷺ فقال تعالى:

(هم فاطمة وابو ها وبعلها وبنو ها)..حيث تبتدأ الاسماء الطاهرة باسمها المبارك ويبقى لفاطمة الزهراء محورية أهل البيت ﷺ ويبقى السر مستودع فيها ..

لقد ولدت الزهراء ﷺ في بيت الرسالة الطاهر المقدس وفي موضع نزول الملائكة والقران الكريم ويعتبر ذلك البيت مدرسة بحق لكل الاجيال الى يوم القيامة..لقد كان في ذلك البيت كل قول او فعل اصبح سنة متبعة وآية يهتدي بها الناس الى طريق الحق والخير والهدى .

لقد اهتم ﷺ بالزهراء البتول ﷺ في كل مراحلها في صغيرها وكبيرها قريبها وبعيدها وفي كل مراحل الحياة للدنيا والاخرة وكيف لا يكون كذلك وهو المعلم الاول من عند الله تعالى .. ليس ذلك لكونه الاب فيوليها الحنان والعواطف الابوية بل اراد ﷺ ليشير الى عظمة تلك الشخصية الفذة السامية في نظر السماء وما يترتب على عطائها من دورخطير في الرسالة الاسلامية بعد التحاقه ﷺ بالرفيق الاعلى كما واراد ﷺ ان يهيئ الامة ولفت انظارها الى الطريق المستقيم والسليم والذي سوف تنتهجه سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء ﷺ ودورها الصائب في مجرى الاحداث بعد فترة النبوة وحين تتصدى للفتن والمخالفات لله ورسوله ..

انها تمثل القطب المركزي للنبوة والامامة اضافة لكونها المعصومة بالقول والفعل حتى ان الرسول ﷺ حدد شخصيتها بقوله:(رضا فاطمة رضاي وغضبها غضبي).
وورد عنه ﷺ: (..واما ابنتي فاطمة فانها سيدة نساء الاولين والاخرين وهي بضعة مني ..وهي نور عيني وهي ثمرة فؤادي وهي روحي التي بين جنبيّ).

إن سيادة فاطمة الزهراء ﷺ البضعة الشريفة أمر أسمع به النبي ﷺ أصحابه والأئمة الطاهرين من خلفه وقد تلقى حديثهم هذا أئمة المحدثين من عامة المسلمين ومما يجب أن يكون لافتا هو أن سيادتها تشكل مواقفا من حياتها ومشاهدا من عظمتها في الدارين.

فالسيادة في مفهومها العريض هو التقدم على الغيروافتراض الطاعة له والقدوة والأسوة والعظمة في المنزلة.

وهذه السيادة وإن بدت مشتركة بين أربع من النساء الكاملات في بعض الاحاديث الشريفة (مريم، اسية بنت مزاحم، خديجة بنت خويلد، فاطمة) إلا أن فاطمة ﷺ تبرزهم ولا يبلغن مراقيها في الصعود إلى العظمة والقرب الالهي ..انها فريدة النبي المصطفى ﷺوهي وزوجة من تحدثت الدنيا عن علم وعدل علي ﷺ وهي أم سيدي شباب أهل الجنة الإمامين الحسن والحسين ﷺ فضلاً عن أنها كانت رفيقة الدعوة وراعية الرسول الاكرم ﷺ وأم أبيها وسيدة الفقه والمربية الكبرى وقد كتب التاريخ عن كل صفة من تلك الصفات الباهرة صفحات مضيئة.

كما وأن للسيدة الزهراء ﷺ خصوصية عند الباري عزوجل ومن يسمع أحاديث السيدة الزهراء ﷺ وأقوالها ويعيها ويعمل بها، فإنه يحظى بخصوصية ومنزلة متميزة عند الله عزوجل ذلك لأن رضى السيدة الزهراء ﷺ هو رضى الله عزوجل وغضبها بغضبه سبحانه وتعالى..أنها سيدة نساء الجنة كما قال رسول الله ﷺ لفاطمة:
(ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء الجنة وابناك سيدي شباب أهل الجنة؟) .

ان الزهراء ﷺ في شخصيتها الكبيرة لم يكن دورها مقتصرا كما يتصور البعض عنوانا للمظلومية بجانبها السلبي لتستدر عواطف ودموع الناس والمحبين بل كانت اكبر من ذلك بكثير فان موقعها البطولي والقيادي يمثل صرخة عالية ومدوية الى يوم القيامة..فكانت صرخة واحتجاجا بوجه الظلم والظالمين لرفع الحيف عن كاهل

المستضعفين والتعريف بزيف القيادة الجائرة والغاصبة لحق الله ورسوله ولحق ابن عمها أميرالمؤمنين الامام علي عليه السلام..

لقد وقفت فاطمة الزهراء الى جانب أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام حينما ابتعد الناس عنه وحتى الاصدقاء وخذله الناصرالا الثلة والقليلة المخلصة والقريبة لاهل بيت العصمة والطهارة ..

لم يذكر التاريخ بان الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله قبل يد أي نبي خلال الاسراء والمعراج وحتى ادم ابو البشر ونوح وغيرهم من الانبياء والمرسلين عليهم السلام كما وان التاريخ لم يذكر بان الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله اجلس احدا مجلسه الا ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام ومن هذا يتبين منزلة ومقام الزهراء عليها السلام وتبقى أقرب الجميع للجميع فهي واسطة العقد في منظومة أهل البيت عليهم السلام ..ورد في الاخبار المعتبرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

(خلق الله نور فاطمة عليها السلام قبل أن يخلق الأرض والسماء..).

منزلة الزهراء وفضلها على السيدة مريم عليها السلام

لابد ان نستعرض فضائل مريم عليها السلام ومقامها ومنزلتها في القران لنتعرّف على مقامات الزهراء عليها السلام وندرج اهمها:

١ـ ذكر الله اسمها في القران اكثر من عشرين مرة ومدحها واختارها للخطابات الحقة وفضلها على نساء زمانها فقال تعالى (واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين).

٢ـ مريم عليها السلام هي اول امراة لقبت بالعذراء والبتول والتي ينطبق اسمها على المسمى حيث انشغلت بالعبادة وخدمة بيت المقدس وكانت مشهورة في جمالها ولشدة نورانية وجهها لم تكن تحتاج الى مصباح في محراب عبادتها.

٣ـ لقد اصطفى الله تعالى مريم وطهرها بقوله (واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) .

٤ـ تكلمت وهي في رحم امها وحسب روايات العامة والخاصة فانها ولدت في بيت المقدس .

٥ـ لقد ورد في تربيتها ورعايتها في القران (وانبتها نباتا حسنا) .

٦ـ كانت عابدة زاهدة في طاعة الله والعفة والصلاح والسداد.

٧ـ لقد ذكر القران مريم بأنها صدّيقة فقال تعالى:

(ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة) .

٨ـ تكفلها النبي زكريا .

٩ـ صانها الله تعالى من مس الشيطان وحفظها كما ورد في القران الكريم (واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم)

١٠ـ كانت تاكل من فواكه الجنة وكما ورد في القران الكريم:

(كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) .

١١ـ كانت الملائكة تكلمها وتحدثها مباشرة كما ورد في القران الكريم :

(اذ قالت الملائكة يامريم ..) و(يامريم اقنتي لربك ..)

١٢ـ انها عبدت ربها كثيرا في المحراب حتى تورمت قدماها وكانت كثيرة الصبر على اذى اليهود .

١٣ـ كانت مستجابة الدعاء .

ولابد من معرفة مقامات الزهراء البتول من خلال القران والاحاديث الشريفة المتواترة فاذا ثبت بانها افضل من مريم ابنة عمران فيثبت ان كل ماورد في فضل مريم ﷺ هو كذلك في فاطمة الزهراء ﷺ بل واكثر من ذلك ونحاول ان نستعرض المقامات السابقة لمريم ونقارنها مع مقامات الزهراء ﷺ ومنها:

١ـ ان ماورد في القران من كونها مصطفاة على نساء العالمين أي نساء زمانها وقد ذهب المفسرون ورواة الحديث بانها افضل نساء زمانها وقد استدلوا بأيات من القران الكريم ومنها في تفضيل بني اسرائيل على العالمين فقال تعالى(يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين).. وقال تعالى (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العامين) فان الله فضلهم على عوالمهم وبدليل فان أمة الرسول الخاتم ﷺ فهي خير امة من الاولين والاخرين لقوله تعالى (كنتم خير أمة اخرجت للناس)..

وقوله تعالى (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ..) .

ان فاطمة الزهراء ﷺ قد وصلت درجة من القرب الالهي بان الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها وكما ورد عن الرسول المصطفى ﷺ بقوله في فاطمة ﷺ: (ان الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها..) .

لقد روى المؤرخون ورواة الحديث من الخاصة والعامة في افضلية الزهراء على نساء الاولين والاخرين فقال ابن عساكرعن الرسول المصطفى قوله (اربع نسوة سيدات سادات عالمهم مريم ابنة عمران واسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة الزهراء وافضلهن فاطمة الزهراء) كما ورد ايضا في كنز العمال وفي الدر المثوروفي صحيح البخاري ورد عنه ﷺ (فاطمة سيدة نساء اهل الجنة) .

وروى الحاكم النيسابوري في المستدرك عن عائشة عن رسول الله ﷺ وهو في مرضه الذي توفي فيه حيث قال لفاطمة:(يافاطمة الا ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء هذه الامة وسيدة نساء المؤمنين ..).

٢ـ كانت مريم ابنة عمران قد سميت بالعذراء البتول وكذلك فقد ورد في تسمية فاطمة الزهراء ﷺ بالبتول وذلك لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسبا وقيل لانقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى وفي تاج العروس للزبيدي، لقبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ بالبتول تشبيها لها بمريم في المنزلة عند الله تعالى..وفي الواقع فلقد كانت الزهراء ﷺ إلى جانب انسانيتها، تحمل صفات الملائكة وصفات الحورالعين وكما كانت انسانة، فقد كانت حوراء، أو هي حوراء إنسية وكان من صفات ومقامات فاطمة ﷺ بانها زهراء، حتى عد في أسمائها ﷺ ويا له من لقب شريف مبارك ..

كما ورد في الاخبارالثابتة ايضا كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما تزهرنورالكواكب لأهل الأرض.

٣ـ لقد كانت مريم ﷺ مصطفاة وطاهرة في حياتها و كانت فاطمة ﷺ سيدتها فهي تمثل الطهارة والنقاء والعصمة بنص القران الكريم بقوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وهي تمثل اشرف واعظم روح بالبشرية جمعاء وكما قال الرسول المصطفى ﷺ (فاطمة روحي التي بين جنبي) وقال:(فاطمة بضعة مني) وقد استدل الفقهاء بانها معصومة لانها جزء من الرسول المعصوم ﷺ وهو اشرف الخلق من الاولين والاخرين وبهذا فهي افضل من مريم ابنة عمران ﷺ.

٤ـ لقد تكلمت فاطمة الزهراء ﷺ كما تكلمت مريم في بطن امها فقد ورد في الاخبار الصحيحة والمعتبرة والمستفيضة بان خديجة ﷺ لما حملت بفاطمة الزهراء ﷺ كانت تحدثها من بطنها وتحدثها وتؤنسها في وحدتها وقد ورد بان الرسول ﷺ دخل يوما فسمع خديجة تتحدث، فقال ﷺ يا خديجة لمن تحدثين؟

قالت: احدث الجنين الذي في بطني فإنه يحدثني ويؤنسني .

قال ﷺ: يا خديجة أبشري فإنها أنثى وإنها النسلة الطاهرة الميمونة فإن الله جعلها من نسلي وسيجعل من نسلها خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه..ويصلي ولد مريم وهو عيسى ﷺ خلف ولد الزهراء ﷺ وهو الحجة المنتظر(عج) .

٥ـ اذا كانت مريم قد نشات وكما قال تعالى (وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا) وكانت فاطمة الزهراء ﷺ حوراء انسية وكان اصل نطفتها من ثمارالجنة النطفة الطيبة النورانية..كما وان نشأتها كانت عند افضل واشرف الاولين والاخرين المصطفى الامجد سيد المرسلين وحبيب اله العالمين وشفيع المذنبين ابو القاسم محمد ﷺ.

٦ـ لقد كانت مريم ﷺ عابدة وزاهدة وهكذا كانت فاطمة الزهراء ﷺ زاهدة أي غير راغبة في حطام الدنيا وزينتها متزهدة أي متعبدة لربها سرا واعلانا ليلا ونهارا وكانت تتعبد لربها في محرابها حتى ورمت قدماها بل حتى وصلت من القرب الالهي بان الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها !.

٧ـ لقد وصف القران الكريم مريم ﷺ بانها صديقة وقد وصف الرسول المصطفى الصادق المصدق ﷺوالذي لاينطق عن الهوى بان فاطمة الصديقة الكبرى ..فقال ﷺ في فاطمة: (وهي الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى) .

وهكذا كانت مريم ﷺ سيدة زمانها وافضلهم ولكننا عندما نذكر فاطمة الزهراء البتول ﷺ فهي سيدة نساء العالمين من الاولين والاخرين، حيث تميزت بالصفات الواردة في مريم ﷺ فكانت البتول كما ان القران قد مدحها في آيات كثيرة ومنها سورة الدهر وآية المباهلة وآية التطهير وغيرها وكانت شخصيتها تشبه شخصية ابيها سيد البشرية وكانت معصومة وكلمت امها وهي في بطنها وكانت العابده وكانت تزهر في محرابها وعبدت ربها حتى ورمت قدماها بل حتى وصلت من القرب الالهي بان الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها وقد كلمتها الملائكة وقد كفلها رسول الانسانية والمعلم الاول خاتم الانبياء والمرسلين فكانت (أم ابيها) وكانت نطفتها من ثمار الجنة..

وقال ﷺ: فاطمة سيدة نساء اهل الجنة وبهذا فان فاطمة الزهراء افضل نساء الاولين والاخرين وافضل نساء أهل الجنة واذا كانت مريم عليها وعلى نبينا السلام وكما ذكرها القران بالصديقة فان فاطمة الزهراء ﷺ هي الصديقة الكبرى.

ونذكر جملة من الخصائص الشخصية لفاطمة الزهراء ﷺ والتي تم استخرجها من الروايات الشريفة الواردة عن الرسول الاكرم ﷺ واهل بيته الاطهار ﷺ ويدل البعض منها على الامور الغيبية في تكوينها وفي حياتها الدنيوية والاخروية ومنها:

أوّل مولودة أنثى سجدت لله عند ولادتها. وتكلّمت في بطن أمّها وكانت تؤنسها وتسليها لامها خديجة ﷺ.

وهي **أمّ أبيها** وهي الحوراء الإنسيّة و اشتقاق اسمها من اسم الله الفاطر فهي فاطمة ﷺ وانها من اصحاب الكساء والذين ميزهم الله تعالى عن غيرهم والإمام المهدي المنتظر (عج) من ولدها .

لم يكن لها كفو من الرجال منذ النبي آدم ومن دونه إلاّ أسد الله الغالب.

وهي ليلة القدر كما ورد في اخبار أهل البيت ﷺ .

وفطم الخلق عن معرفتها وعلى معرفتها دارت القرون الأولى .

ومكتوب اسمها على العرش وتحضر الوفاة لكلّ مؤمن ومؤمنة من الموالين لاهل البيت ﷺ **ولها ولادة خاصّة ومتميزة** وقام بتهيئتها نساء الجنة وينفع حبّها بمئة موطن كما ورد الرسول المصطفى ﷺ **ونجاة شيعتها بيدها المباركة** وتجلّي الشفاعة الفاطميّة يوم القيامة وحجّيتها على الأئمة الأطهار ﷺ وفي خلقتها النوريّة تشابه الرسول ﷺ **وإنّها مجمع النورين النبوي والعلوي** وإنّها مفروضة الطاعة على كلّ الخلائق اجمعين ولها العصمة الكبرى والطهارة العظمى واسمها المبارك (فاطمة) يوجب الغنى **وهي النسلة الميمونة والمباركة** وزواجها بالسماء قبل الأرض ويفتخر الله بعبادتها على الملائكة اجمعين وأقر الأنبياء والأوصياء بفضلها ومحبّتها ويُشمّ منها رائحة الجنّة **وهي الوحيدة التي قبّل النبيّ** المصطفى ﷺ يدها المباركة .

وهي هدية الله لنبيّه ﷺ وخير نساء العالمين من الأوّلين والآخرين في الدنيا والآخرة **وتبكي الملائكة لبكاءها** ﷺ ووجوب الصلاة عليها كالنبيّ وآله الأطهار ﷺ ..

وهكذا تبقى فاطمة الزهراء سيدة نساء العلمين واقرب الناس للرسول المصطفى ﷺ وبضعته وحبيبته .

كراماتها وخصائصها :

للزهراء البتول ﷺ كرامات وفضائل كثيرة لا تحصى وها نحن نكتفي بالنزر اليسير منها وهي :

انها بنت خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد ﷺ وبنت سيدة الكمال أم المؤمنين خديجة الكبرى ﷺ وزوجة سيّد الأوصياء أمير المؤمنين ﷺ وأم إمامي الهدى الحسن والحسين ﷺ فانظر إلى أسرتها تعرف مَن هي.

وإنها والفواطم أوّل النسوة المهاجرات برفقة علي ﷺ إلى المدينة وفيهم نزلت الآية الكريمة : (الَّذِينَ امنُوا وهَاجرُوا وجاهَدُوا في سبيل اللهِ بأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرجَةً عِنْد اللهِ) / سورة التوبة : ٩ / ٢٠.

ولا أدري أية فضيلة أعظم من قول النبي ﷺ لها ﷺ :

(إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك)/ أسد الغابة / ابن الأثير ٥ : ٥٢٢. .

وقوله ﷺ وقد نظر إليها وإلى زوجها وبنيها ﷺ : (أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم)/ أسد الغابة٥ : ٥٢٢ ، مسند أحمد بن حنبل٢ : ٤٤٢ ، مستدرك الحاكم النيسابوري ٣ : ١٦١ / ٤٧١٣.

كما **أنها** ﷺ أوّل امرأة تدخل الجنّة على رسول الله ﷺ / الفصول المهمّة / ابن الصباغ المالكي : ١٢٩ ، مستدرك الحاكم ٣ : ١٦٤ / ٤٧٢٣.

وعن أم سلمة : إنّ رسول الله ﷺ قال لفاطمة ﷺ : (ائتيني بزوجك وابنيك) ، فجاءت بهم : فألقى عليهم رسول الله ﷺ كساءً خيبريا أصبناه من خيبر ، ثمّ رفع يديه فقال : (اللّهمّ إنّ هؤلاء آل محمّد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمّد كما جعلتها

على إبراهيم إنّك حميد مجيد) فرفعت الكساء لأدخل فجذبه رسول الله ﷺ من يدي وقال : (لا يا أُمّ سلمة ولكنك على خير) / كنز العمال بهامش مسند أحمد ٥ : ٩٦.

وقال الإمام السبط الحسن ﷺ : (رأيت أُمّي فاطمة ﷺ قائمة في محرابها ليلة جمعة ، فلم تزل راكعة ساجدة حتى انفجر عمود الصبح وسمعتها تدعوللمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء ، فقلت : أمّاه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟

فقالت ﷺ :يا بني الجار ثمّ الدار) / دلائل الإمامة ١٥١ /٦٥ وعلل الشرائع ١٨١/ ١.

وقال أمير المؤمنين ﷺ لابن أعبد : (يا ابن أعبد ، ألا أخبرك عنّي وعن فاطمة؟ كانت ابنة رسول الله ﷺ وأكرم أهله عليه وكانت زوجتي فجرّتْ بالرحى حتى أثّرت الرحى بيدها واستقت بالقربة حتى أثّرت القربة بنحرها وقمّتْ البيت حتى اغبرّت ثيابها وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها وأصابها من ذلك ضرر) / صفوة الصفوة لابن قيم الجوزية ٢ : ٦.

وكانت فاطمة ﷺ إذا دخلت على النبي محمّد ﷺ قام إليها فقبّلها ورحّب بها كما كانت تصنع هي به / الاستيعاب لابن عبد البر ٤ : ٣٧٧.

وكان ﷺ إذا قدم من غزو أو سفر بدأ بالمسجد فصلّى فيه ركعتين ثم قدم على فاطمة ثم يأتي أزواجه / الاستيعاب ٤ : ٣٧٦.

وأخرج الحاكم عن الصحابة : أنّ النبي ﷺ كان إذا سافر كان آخر الناس عهداً به فاطمة ﷺ وإذا قدم من سفر كان أول الناس به عهداً فاطمة ﷺ/ المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٦٩ / ٤٧٣٩.

وقال جابر الأنصاري : رأى النبي ﷺ فاطمة ﷺ وعليها كساء من أجلّة الإبل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ فقال :

(يا بنتاه تجرّعي مرارة الدنيا لحلاوة الآخرة) فقالت :(الحمد لله على نعمائه والشكر لله على الائه)/ سفينة البحار / عباس القمي ١ : ٥٧١.

وعن أبي سعيد الخدري قال : أصبح علي بن أبي طالب ﷺ ساغبا فقال : (يا فاطمة هل عندك شيء تغدينه؟) قالت :

(لا والذي أكرم أبي بالنبوة وأكرمك بالوصية ، ما أصبح الغداة عندي شيء وما كان شيء أطعمناه من يومين إلاّ شيء كنت أؤثرك به على نفسي وعلى ابنيّ هذين الحسن والحسين ﷺ).

فقال علي ﷺ : (يا فاطمة ، ألا كنت أعلمتني فأبغيكم شيئا!) فقالت فاطمة ﷺ :

(يا أبا الحسن إنّي لأستحي من إلهي أن أكلّفك ما لا تقدر عليه)/ كشف الغمّة / الاربلي ١ : ٤٦٩ وذخائر العقبى ٤٥ : ٤٦.

وقالت أم جعفر : إنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت لأسماء بنت عميس :

(يا أسماء ، إنّي قد استقبحت ما يصنع بالنساء أنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها!) فقالت أسماء :

يا بنت رسول الله ﷺ ألا أريك شيئا رأيته بالحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها ، ثمّ طرحت عليها ثوباً فقالت فاطمة ﷺ : (ما أحسن هذا وأجمله!).

وتذكر أخبار السيرة أن الصديقة فاطمة ﷺ أول امرأة غطّيَ نعشها في الإسلام / الاستيعاب / ابن عبد البر ٤ : ٣٧٨ ـ ٣٧٩.

وهذه السُنة للسيدة الصديقة الزهراء تمثّل غاية الحرص على الحشمة ورعاية الحجاب الشرعي وهي المثل الأعلى الذي تقتدي به المرأة المسلمة في حياتها ومماتها من أجل حفظ كرامتها عن أنظار الآخرين.

الفصل الثاني

فاطمة الزهراء ﷺ في القران

لقد خص الله سبحانه وتعالى ومدح في القران الكريم شخصيات بارزة ومهمة ومتميزة فخلّدهم بآيات تتلى آناء الليل واطراف النهاراعظاما لمواقفهم السامية ولتفانيهم في سبيل الله وفي سبيل الحق واهله وممن خصّهم الله تعالى بالذكر الجلي واشاد بشخصياتهم وفضائلهم هم أهل بيت الرسالة ومهبط الوحي ومنهم الصدّيقة فاطمة الزهراءﷺ بآيات كثيرة .

ولقد أجمع المسلمون على نزولها فيهم ﷺ اهتماما منه سبحانه وتعالى بشأنهم وإعظاماً لمقامهم السامي وترغيبا لغيرهم من المسلمين في السير على هداهم والاقتداء بسيرتهم لا سيما وهم الأسوة الحسنة فنزلت آيات كثيرة في مدحهم ﷺكما خصّهم بالثناء في سور شتى تقديرا لسلامة واخلاص موقفهم واعترافا بحسن سمتهم وهي دعوة للاقتداء بهم وبسيرتهم .

ولابد من ذكر بعض تلك الايات الكريمة وعلى سبيل المثال لبيان البعض من ذلك المدح والثناء عليهم ومنهم فاطمة الزهراء ﷺ ومن تلك الايات ما يلي:

أولا: سورة الكوثر

(انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر)

ان الزهراء ﷺ هي كوثر الرسالة ومنها الذرية الكثيرة والكثيرة..

ان الكوثر هو الخير الكثير والدائم ولقد كانت صناديد قريش تقول للرسول الاكرم ﷺ بأن محمدا ابتر لا ابن له وذلك بعد ان توفي ابنه عبدالله من خديجة فلم يبقى له احدا من

الذكور وكان في مقدمة المستهزئين العاص بن وائل والد عمر بن العاص فأنزل الله قوله تعالى:

(انا اعطيناك الكوثر..) وقد روى الفريقين الخاصة والعامة بان فاطمة الزهراء ﷺ هي من مصادق الكوثر في الاية المباركة.. ولقد حصر الله ذرية الرسول الاكرم ﷺ في ابنته فاطمة الزهراء ﷺ..

وقال ﷺ (ذرية كل نبي من صلبه وذريتي من ابنتي فاطمة..) ولقد جعل الله البركة في ذريّتها فاكثر تلك الذريّة وهي ذريّة الرسول المصطفى ﷺ.

لقد منّ الله سبحانه وتعالى على رسوله الكريم ﷺ باعطائه الكوثر وتطييباً لنفسه الشريفة بان شانئه هو الابتر وهي اقصر سورة في القران والكوثر على وزن فوعل وقد اختلفت الاقوال والتفاسير في معنى الكوثر اختلافاً كثيراً فقيل هو نهر في الجنة وقيل الاولاد وقيل اصحابه باتباعه وقيل هو القران وقيل فضائله الكثيرة وقيل النبوة وقيل الاسلام وغيرها من التفاسير وتبقى الزهراء ﷺ اهم مصداق للكوثر في السورة المباركة.

وعند الرجوع الى سبب نزول السورة المباركة حيث استفاضت الروايات بان السورة انما نزلت بشخصية من عيّرت الرسول الاكرم ﷺ ووصفته بالابتر بعد ما توفي ابناه القاسم وعبدالله والمراد بقوله (ابتر) المنقطع عن قومه اوالمنقطع عن الخير، فرد الله على من عابه هو المنقطع من كل خير(يعني العاص ابن وائل) .

والجملة لا تخلو من دلاله على ان ولد فاطمة الزهراء ﷺ و ذريته ﷺ هي الكثيرة وفيها البركة والخير وهذا في نفسه من ملاحم القران الكريم وعظمته فقد كثرّ الله تعالى نسله بعده ﷺ بكثرة لا يعادلها اي نسل في الدنيا الى يوم القيامة.

وقال ﷺ (كل الانبياء ذريتهم من ولدهم الا انا ذريتي من الزهراء ﷺ).

لقد بلغت الزهراء ﷺ من الكمالات الروحية والقرب الالهي فكانت قرآنا يمشي على الارض وكانت القدوة الصالحة وكما وصفها والدها سيد المرسلين ﷺ بانها (ام ابيها)

فهي المربية والقدوة الحسنة والزوجة الصالحة والمثال الاعلى في بيت علي ﷺ وهي زوجة لاعظم امام من الاولين والاخرين .

لقد كانت الام المربية لسيديّ شباب اهل الجنة ولقد اشتهرت بحسن اخلاقها ورجاحة عقلها وهي القدوة في اقوالها وافعالها حتى اصبحت سيدة نساء العالمين وتقدمت على مريم افضل نساء عصرها وقد وقال فيها حسان بن ثابت شاعر الرسول المصطفى ﷺ في افضلية فاطمة الزهراء على مريم بنت عمران ﷺ:

لئن احصنت مريم فرجها وجائت بعيسى كبد ر الدجى
فقد احصنت فاطم بعدها وجائت بسبطي نبي الهدى

ثانيا: سورة الدهر

(ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا..)

لقد اجمع المفسرون بان سورة الدهر نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ لما أعطوا طعام فطورهم وهم صائمون للفقير واليتيم والاسير في القصة مشهورة عند العامة والخاصة فانزل الله تعالى فيهم قوله: (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا..) .

روى الشيخ الصدوق في اماليه عن الامام الصادق ﷺ عن ابيه ﷺ في قوله تعالى (يوفون بالنذر)..قال: مرض الحسن والحسين ﷺ وهما صبيان صغيران فعادهما رسول الله ﷺ مع بعض اصحابه فقيل: يا ابا الحسن لو نذرت في ابنيك نذرا ان عافاهما الله ..

فقال علي ﷺ:أصوم ثلاثة ايام شكرا لله عزوجل وكذلك قالت فاطمة ﷺ وهكذا وقال الحسن والحسين ﷺ: ونحن ايضا نصوم ثلاثة ايام وكذلك جاريتهم فضه فالبسهما الله عافيته للحسن والحسين ﷺ فاصبحوا صياما وليس عندهم طعام..

فانطلق علي ﷺ الى جار له من اليهود يُقال له شمعون ليعالج الصوف له .

فقال:هل لك ان تعطيني جزة من صوف تغزلها لك ابنة محمد بثلاثة اصواع من شعير؟ ..قال: نعم

فاعطاه، فجاء بالصوف والشعير واخبر فاطمة ﷺ فقبلت وأطاعت .

ثم عمدت فغزلت ثلث الصوف، ثم اخذت صاعا من الشعير فطحنته وعجنته وخبزت منه خمس اقراص، لكل واحد قرصا .

وصلى علي ﷺ مع النبي ﷺ المغرب ثم اتى منزله وجلسوا خمستهم للطعام فاول لقمة كسرها علي ﷺ فاذا بمسكين قد وقف بالباب فقال:

السلام عليكم ياأهل بيت محمد، انا مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني مما تاكلون، أطعمكم الله من موائد الجنة ..فوضع علي ﷺ اللقمة من يده ثم قال:

فاطم ذات المجد واليقين يابنت خير الناس اجمعين
اما ترين البائس المسكين جاء الى الباب له حنين
يشكو الى الله ويستكين يشكو الينا جائعا حزين
كل امرئ بكسبه رهين من يفعل الخير يقف سمين
موعده في جنة رهين حرمّها الله على الضنين
وصاحب البخل يقف حزين تهوي به النار الى سجّين
شرابه الحميم والغسلين

فاقبلت فاطمة ﷺ تقول:

أمرك سمعٌ يابن عم وطاعة مابي من لؤم ولا وضاعة
غُذيّت باللب والبراعة ارجو اذا أشبعت من مجاعة
ان الحق الاخبار والجماعة وادخل الجنة في شفاعة

وعمدت الى ماكان من طعام فدفعته الى المسكين وباتوا جياعا وأصبحوا صياما لم يذوقوا الا الماء القراح..

ثم عمدت ﷺ الى الثلث الثاني من الصوف فغزلته، ثم اخذت صاعا من الشعير فطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة اقراص لكل واحد قرصا ..

وصلى علي ﷺ المغرب مع النبي ﷺ.. ثم اتى منزله، فلما وضع الطعام بين يديه وجلسوا خمستهم فاول لقمة كسرها علي ﷺ اذا يتيم من يتامى المسلمين قد وقف بالباب فقال:

السلام عليكم ياأهل بيت محمد، أنا يتيم من يتامى المسلمين اطعموني مما تاكلون، اطعمكم الله على موائد الجنة. .فوضع علي ﷺ اللقمة من يده ثم قال:

فاطم بنت السيّد الكريم بنت نبي ليس بالزنيم
قد جاءنا الله بهذا اليتيم من يرحم اليوم هو الرحيم
موعده في الجنة النعيم حرمّها الله على اللئيم
وصاحب البخل يقف ذميم تهوي به النار الى الجحيم
شرابها الصديد والحميم

فاقبلت فاطمة ﷺ وهي تقول:

فسوف اعطيه ولا ابالي وأوثر الله على عيالي
امسوا جياعا وهم اشبالي اصغرهم يقتل في القتال
بكربلا يقتل باغتيال لقاتليه الويل مع وبال

ثم عمدت ﷺ فاعطته جميع الطعام وباتوا جياعا لم يذوقوا الا الماء القراح واصبحوا صياما .

وعمدت فاطمة ﷺ فغزلت الباقي من الصوف، وطحنت الصاع الباقي وعجنته وخبزت منه خمسة اقراص لكل واحد قرصا وصلى علي ﷺ مع النبي ﷺ.. ثم اتى منزله وجلسوا للطعام خمستهم، فاول لقمة كسرها علي ﷺ اذااسير من أسراء المشركين قد وقف بالباب فقال:

السلام عليكم ياأهل بيت محمد، تاسروننا وتشدّوننا ولا تطعموننا؟

فوضع علي ﷺ اللقمة من يده ثم قال:

فاطم بنت النبي احمد بنت النبي سيد مسوّد
قد جاءك الاسير ليس يهتدي مكبلا لافي غله مقيّد
يشكو الينا الجوع تقدد من يطعم اليوم يجده في غد
عند العلي الواحد الموحد ما يزرع الزارع سوف يحصد
فاعطي لا تجعليه ينكد

فاقبلت فاطمة ﷺ وهي تقول:

لو يبق مما كان غير صاع قد دبّرت كفي مع الذراع
شبلاي والله هما جياع يارب لا تتركهما ضياع
ابوهما للخير ذو اصطناع عبل الذراعين طويل الباع
وما على راسي من قناع الا عبا نسجتها بصاع

وعمدوا الى ماكان على المائدة فأعطوه للاسير وباتوا جياعا واصبحوا مفطرين وليس لديهم شيئ ياكلونه وهكذا مرت ثلاثة ايام وهم على صوم من دون اكل عدا الماء القراح، قال شعيب في حديثه: واقبل علي بالحسن والحسين ﷺ نحو رسول الله ﷺ وهما يرتعشان كالفراخ من شدة الجوع..فلما بصر بهم الرسول المصطفى ﷺ قال: ياابا الحسن شدّما يسوؤني ما ارى بكم ، انطلق الى ابنتي فاطمة .

فانطلقوا اليها ﷺ وهي في محرابها وقد لصقت بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها، فلما رآها رسول الله ﷺ ضمها اليه وقال: واغوثاه بالله انتم منذ ثلاث فيما أرى .

فهبط جبرئيل فقال:

يامحمد خذ ما هيأ الله لك في أهل بيتك .

قال: وما آخذ ياجبرئيل ؟

قال جبرئيل:

(هل أتى على الانسان حين من الدهر..) حتى بلغ (ان هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكورا)

فدخل ﷺ منزل فاطمة ﷺ فرأى مابهم فجمعهم ثم انكب عليهم يبكي ويقول:

أنتم منذ ثلاث فيما ارى ..

فهبط عليه جبرئيل بهذه الايات:

(ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا * عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا..).

قال الامام الصادق ﷺ والقول لازال مستمرا له: هي عين في دار النبي ﷺ يفجّر الى دور الانبياء والمؤمنين .

(يوفون بالنذر) يعني عليا وفاطمة والحسن والحسين ﷺ وجاريتهم فضه .

(ويخافون يوما كان شره مستطيرا) يقولون عابسا كلوحا وهو الافراط في تعيسه .

(ويطعمون الطعام على حبه) يقول: على رغبتهم للطعام وايثارهم له .

(مسكينا) من مساكين المسلمين (ويتيما) من يتامى المسلمين (واسيرا) من أسارى المشركين .

ويقولون اذا أطعموهم:(انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكورا)

قال الامام الصادق ﷺ:

والله ماقالوا هذا لهم ولكنهم أضمروه في انفسهم فاخبرالله باضمارهم، يقولون انما أطعمناكم لوجه الله وطلب ثوابه .

قال الله تعالى ذكره (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقّاهم نضرة) في الوجوه (وسرورا) في القلوب (وجزاهم بما صبروا جنة) يسكنوها (وحريرا) ويفرشونه ويلبسونه (متكئين فيها على الارائك) والاريكة السرير عليه الحجلة (لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا) .

قال بن عباس:

فبينا أهل الجنة في الجنة اذ رأوا مثل الشمس قد اشرقت لها الجنان، فيقول أهل الجنة: يارب انك قلت في كتابك: (لايرون فيها شمسا) ؟

فيرسل الله جل اسمه اليهم جبرئيل فيقول: ليس هذه بشمس ولكن عليا وفاطمة ضحكا فاشرقت الجنان من نور ضحكهما..

لقد نزلت سورة هل اتى في أهل البيت عليهم السلام الى قوله تعالى (وكان سعيكم مشكورا) .. كما وان الشيئ الغريب والعجيب بأخلاقية الزهراء وأهل البيت عليهم السلام انهم أعطوا حتى الاسير المشرك وكان في اليوم الثالث وكان ممن قاتل المسلمين وربما قتل بعضهم فلم يألوا جهدا في اطعامه ومساعدته وقد اعياهم الصوم وبلغوا اقصى مراتب الضعف الجسدي.

ثالثا: اية التطهير:

(انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) .

لقد نزلت اية التطهيرفي اهل البيت عليهم السلام المعصومين وهم الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام .

فلقد ورد ذلك في صحيح الترمذي وتفسير الطبري وفي مسند احمد بن حنبل وفي الصواعق المحرقة لابن حجروفي صحيح مسلم والنسائي في الخصائص وغيرهم بان

الاية المباركة نزلت فيهم عليهم السلام وأن اختصاص اهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام .. لقد قال فيهم الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله:

اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا حيث انزل الله فيهم:

(انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) .

ورد عن ابي داود الطيالسي بسنده عن انس بن مالك عن النبي الاكرم صلى الله عليه وآله انه كان يمر على باب فاطمة شهرا وقيل ستة اشهر قبل صلاة الصبح فيقول:الصلاة ياأهل البيت (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) .

ان هذه الخصوصية كانت لبيت فاطمة وعلي عليهما السلام حصرا دون غيره من بيوت النبي صلى الله عليه وآله الاخرى..وفي آية التطهير مجموعة دلالات، يستحسن الوقوف على مضامينها:-

الدلالة الاولى:

ان الآية في البدء منصرفة، حيث حددت آل البيت عليهم السلام للرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وهم علي وفاطمة وحسن وحسين عليهم السلام وبذلك ترتفع الإمامة والعصمة عن غير هؤلاء ويصبح لآل البيت مفهوم خاص غير ذلك الذي يتحدد بالنسب وإلا فأولى بأزواج النبي صلى الله عليه وآله أن يكّن من أهل بيته فيما لو كانت القضية خاضعة لمفهوم عام غير محدد ولكان صلى الله عليه وآله أدخل في كسائه أفرادا آخرين من آل البيت غير هؤلاء وخاصة من نساءه وكما ورد في الاخبار بان ام سلمة ارادت الدخول معهم فمنعها صلى الله عليه وآله وقال لها انك على خير.

الدلالة الثانية:

الآية توضح قضية محورية واساسية ومحصورة في نطاق ال البيت عليهم السلام أو بالأحرى فإن الطهارة هي من خصائص آل البيت حصرا، يدل على ذلك أداة الحصر(إنما) في الاية المباركة (**انما** يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت) .

الدلالة الثالثة:

تحدثت الآية عن قضيتين مهمتين و هما:

الرجس ثم الطهارة:

والرجس باللغة حسب ابن منظور و غيره تعني الذنوب وتعني أيضا الأقذار والعاقل لا يستطيع تقبل مفهوم الأقذار كتفسير للآية إذ أن الطهارة من القاذورات لا تحتاج إلى إرادة إلهية لدنيّة وإنما المسألة تتعلق بالقاذورات المعنوية و هي الذنوب والمعاصي .

أما الطهارة فتعني التنزيه من هذه المعاصي والذنوب .

لقد حاول البعض أن يتحايل على هذا النص، فيقول بالطهارة التشريعية التي تعتمد الأحكام المنزلة عليهم، أي إن ال البيت يتنزهون عن المعاصي بالأحكام التي نزلت في القرآن و هذا تأويل ناقص لأن الطهارة التشريعية بهذا المفهوم تستبطن أمرين:

١- إذا كان الله يريد أن ينزه البعض بتشريعه مثل ال البيت فيكون هذا ظلما و لا يجوز في حق الله تعالى، إذ كيف ينزه هؤلاء بإرادته و لا ينزه الناس الاخرين؟ .

٢- إذا كان الله يقصد تطهيرهم بأحكام الشرع المنزلة عليهم في القرآن، فهذا لا يتطلب آية للحصر في ال البيت عليهم السلام ويعم جميع الناس من دون استثناء، فتبقى المسألة الرئيسة أن الله طهرهم طهارة تكوينية خاصة، تميزهم عن الباقين .

وقد يرى البعض في ذلك نوعا من الظلم الذي لا يجوز على الله إذ كيف يجبر البعض على العصمة ولا يجبر الاخرين ؟.. إلا أننا سنرد على ذلك بالامور التالية:-

١- أن الاعتراض على إرادة الله في عصمة ال البيت، يجوز الاعتراض على إرادته سبحانه في عصمة الأنبياء واختيارهم، إذ أن الموضوع واحد ومضامينه واحدة .

٢- إن للعصمة التي نتحدث عنها هنا تفسيرا تقريبا، يختلف مع ما يراه البعض فالإمامية ترى إن الإمام لا يفعل إلا الحسن، أما المكروهات فلا يفعلها وإن كان قادرا على الإتيان بها، فهناك موانع نفسية وروحية تحول دونه وذلك بسبب التزكية، مصحوبة باللطف الإلهي، أي إن هؤلاء تعبوا على أنفسهم في التزكية والسمو الروحي حتى اكتسبوا عصمة تحول بينهم وبين الخطايا ولما علم الله أن هؤلاء على مقدرة كافية الاستقامة عزز عصمتهم بلطفه وإذا رأى إنسان في هذا ظلما، قلنا له إن علم الله بنزاهة هؤلاء هو الذي ترتب عليه هذا التدخل الإرادي في عصمتهم والله يحاسب عباده على قدر إيمانهم وقد وفرّ التوبة لغير الأئمة في الأمور التي لا يقوون على إتيانها وإذا كانت صلاة الليل قد فرضت على الأنبياء والأولياء، فإنها لم تفرض على من هم دون ذلك وقد يثبت في علم الله إن غير هؤلاء لا يستطيعون عصمة أنفسهم بذلك القدر الذي يستحق التسديد الإلهي.

والإنسان قد يصل إلى درجة ما من العصمة، فيما لو طبق القرآن أي يكتسب عصمة معينة وهدف الإسلام، هو أن يصنع أناسا قرآنيين أي على قدر من العصمة وإذا كان متاحا لكل الناس أن يلتمسوا هذا القدر من العصمة عن طريق التربية والمجاهدة فأولى بآل البيت أن يصلوها وان يرتقوا سلم السمو الفكري الروحي والاخلاقي لأنهم جهدوا على أنفسهم بشكل عجز عنه غيرهم .

رابعا: آية المودة

(قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا).

ان محبة أهل البيت عليهم السلام هي أمر الله سبحانه وتعالى وأوصى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله بحب أهل البيت، لأنهم غصون هذه الدوحة المباركة التي أصلها في الأرض وفرعها في السماء والتي اصطفاها الله تعالى من بين خلقه واصطنعها على عينه، فبلغت أوج الكمال في الروح والجسد وفي السر والعلن وذلك لأنها بضعة أشرف الخلق وأكرم

الأنبياء الذي يقول متحدثا بنعمة الله عليه واحسانه إليه فيما رواه مسلم في صحيحه والترمذي في الجامع الصحيح عن واثلة بن الأسقع:

(ان الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) ثم لان مقام أهل البيت عليهم السلام من مقام الرسول ﷺ فهم في كل عصر وزمان خير الناس وخيرهم بيوتا، لان الله اختار نبيه من خير البيوت وأشرفها هذا فضلا عن أن حكمة الله في خلقه ورحمته بعباده اقتضت ان تستمر باهل البيت ذرية سيد المرسلين ﷺ إلى يوم الدين، تشع بضيائها على العالمين وترشد بهدايتها الضالين ومن ثم فان التاريخ لم يعرف أهل بيت أحبهم الناس من قوميات ومذاهب شتى كآل البيت، أحبوهم احياء وأموات، فألف العلماء الكتب في منزلتهم عند الله والناس ونظم الشعراء الدواوين والقصائد في مديحهم وردد الخطباء فضائلهم على المنابر وفي المحافل وما ومن مسلم في شرق الأرض أو غربها يصلي لله الا وبذكررسول الله وآله بالصلاة والتسليم ناهيك بهذه الأسماء الشائعة بين الناس: محمد وعلى وفاطمة وحسن وحسين فإن الباعث على التسمية بها لم يكن الا للتبرك والتيمن بأسماء آل البيت الكرام، الذين أحبهم الناس من كل جنس ولون ومن كل الطبقات في كل زمان ومكان (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم) .

وقد روى الترمذي والحاكم عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال:

(أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي) .

وروى الإمام أحمد والترمذي ان النبي ﷺأخذ بيد الحسن والحسين وقال:

(من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة)..

واخرج الديلمي عن علي عن النبي ﷺ أنه قال:

أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: (حب نبيكم وحب آل بيته وعلى قراءة القرآن) .

واخرج ابن عدي والديلمي عن علي النبي ﷺ أنه قال:

أثبتكم على الصراط أشدكم حبا لأهل بيتي وأصحابي وفي نفس الوقت فلقد حذر النبي ﷺ من بغض أهل البيت فقد روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال:

(لا يبغضنا أهل البيت رجل إلا أدخله الله النار) ..

وقال ﷺ: (لو أن رجلا صفن بين الركن والمقام فصلى وصام ثم لقي الله وهو مبغض لآل محمد ﷺ دخل النار)

لقد ورد في الصحيحين ومسند احمد والثعلبي والطبري وذخائر العقبى وغيرهم بان الاية المباركة (قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى) قد نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام .

روى جابر بن عبدالله الانصاري ان اعرابيا جاء للرسول ﷺ فقال:

يا محمد اعرض عليّ الاسلام .. فقال ﷺ:

تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله .

فقال تسألني عليه اجرا ؟..

قال ﷺ:لا ..الا المودة في القربى

قال الاعرابي: قرباي ام قرباك ؟ ..

قال ﷺ: قرباي

قال هات ابايعك فعلى من لا يحبك ولا يحب قرباك لعنة الله..

قال ﷺ: امين .

وقد روى الثعلبي وابو نعيم والبغوي والواحدي والطبراني واحمد بن حنبل باسانيدهم عن ابن عباس قال:

لما نزلت آية المودة (قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى) قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟

فقال ﷺ: علي وفاطمة وابناهما .

كما روى الرواية ايضا الزمخشري والرازي والطبري وغيرهم.

وروى الحافظ ابو عبدالله والمحب الطبري وابن حجر والسمهوري ان رسول الله ﷺ قال:ان الله جعل اجري عليكم المودة في اهل بيتي واني سائلكم غدا عنهم .

وقد ورد للشافعي محمد بن ادريس امام المذهب الشافعي هذين البيتين من الشعر في اهل البيت المصطفى عليهم السلام :

ياأهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن انزله
كفاكم من عظيم الاجر انكم من لم يصلي عليكم لا صلاة له

كما ورد شعر في مدح أهل البيت عليهم السلام لمحي الدين بن عربي وقد رواها ايضا ابن حجر العسقلاني في الصواعق المحرقه:

رأيت ولائي آل طه فريضة على رغم أهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث اجرا على الهدى بتبليغه الا المودة في القربى

وينبغي التعرف بان التكاليف الالهية والواجبات الشرعية تعود بالنفع على المكلفين وان كل ما امر به الشرع بأدائه فانما هو لجلب النفع للمكلف نفسه وان الله ورسوله اعلى واكبر واغنى من ان يصل اليهم نفع مما يؤديه البشر طبقا لما أمرا به او نهيا عنه وهذا ما ينبغي ان يكون واضحا لكل مسلم ومسلمة .

وبناءً على هذا فان امر خالق العالم ونبيه الكريم بمودة اهل البيت ليس بهدف جلب منفعة مادية لهما من المسلمين، فالدنيا لديهما اقل واحقر من ان يتعلق احد بها ومن المعروف لدى الجميع ان من الشروط الثابتة للنبي والامام المعصوم هو الزهد في هذه الدنيا الدنيئة ولان الراغب فيها، جاهل بحقيقتها وفنائها وتفاهتها وليس مدرك لعظمة الدار الاخرة وبقائها والله لا يختار اطلاقا الجاهل ولا يهبه الولاية .

فالهدف من الامر الالهي بمودة اهل البيت عليهم السلام هو ان ينتفع الناس بمحبتهم والفوائد الكثيرة التي يحصلون عليها والتي من بينها وحدة قلوب المسلمين ودخول الايمان

اليها، وتطهير نفوسهم من الرذائل ودنسها واطلاعهم على المعارف الالهية والحقائق الدينية والاحكام وطرق التقوى وبالتالي نيل شفاعتهم في الدار الاخرة .

ولابد من التعرض على ابعاد الاية الكريمة والوقوف على بعض الحقائق الخاصة باهل البيت عليهم السلام ومنها على سبيل المثال:

١ـ ابتدأت الاية المباركة بكلمة (قل) وهي حصرا للرسول الاكرم صلى الله عليه وآله في اهل بيته عليهم السلام بينما باقي الانبياء لم تبدأ الايات بكلمة (قل) حيث وردت الايات ومنها:
(وما اسئلكم عليه من اجر)..وبهذا فان (قل) هي حصرا لآل بيت محمد صلى الله عليه وآله .

٢ـ يوضح قوله تعالى (قل) خطابا للرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وللتاكيد على وساطة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله الرفيعة والسامية بين الخالق والمخلوق فيخاطبه بهذا الاسلوب .

٣ـ توضح الاية المباركة بان هذه المودة تساوي أجر التبليغ وهذا ما يوضح عظمة اهل البيت عليهم السلام ومنزلتهم .

٤ـ المودة ابتدأت بـ(ال) وتعني كل المودة وبكل انواعها وابعادها وليس في جزء منها.

٥ـ ان المودة في الاية المباركة هي الحقيقة الراسخة بالقلب والجوارح وهي مزيج وهي راسخة بالقلب ومنعكسة على الجوارح .

٦ـ لقد عبر القران الكريم عن علاقتنا باهل البيت عليهم السلام بالمودة ولم يعبر بالعلاقة معهم بالمحبة فالمسلم لا تكون علاقته بهم بالحب فقط وهو شعور قلبي بل يتجاوزها الى المودة وهو اظهار الحب وانعكاساته في السلوك العملي.

٧- في الايات الاخرى استخدم القران الكريم عبارة (من اجر) بينما الاية المباركة عبرت عن كل الاجر من الرسالة وهو محبة آل محمد عليهم السلام وبعبارة أخرى بان أجر الرسالة بكاملها هوالمحبة لاهل البيت عليهم السلام وهويعود بنفعه على الناس انفسهم وليدخلوا في رضوان الله سبحانه وتعالى بحب محمد واهل بيته صلوات الله عليهم اجمعين وهو من الواجبات المؤكدة وكما قال الشافعي:

يااال بيت المصطفى حبكم فرض من الله في القران انزله
كفاكم من عظيم الفخر انكم من لم يصلى عليكم لا صلاة له

خامسا: اية المباهلة

(فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونسآءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين) .

اجمعت الامة الاسلامية بان آية المباهلة نزلت في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام .

فقد اجمع المؤرخون والمفسرون واصحاب الحديث والسير وتواترت الروايات على ان المراد من نسائنا فاطمة الزهراء عليها السلام.

فان الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله لم يذهب مع امراة الى المباهلة الا مع ابنته الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام مع العلم بوجود نساء مؤمنات من زوجات الرسول صلى الله عليه وآله مضافا الى اقرباءه والصحابيات وسائر النساء المومنات ومن الواضح والصريح ان المباهلة جهاد معنوي كبير وبهذا فان للزهراء عليها السلام دورا كبيرا وبارزا بانها كانت تمثل النساء كافة في آية المباهلة.

ان الاية المباركة تشير الى امور متعددة ومهمة نوجز بعض اهمها:

١- اشارت الاية الى ان عليا هونفس الرسول ﷺ فاشارت الاية (وانفسنا وانفسكم) وهذا دليل على منزلة علي الكبيرة والمتميزة وكذلك من خصوصيات رسول الله الكثيرة وانه اولى بالمؤمنين من انفسهم وعلي اولى بالمؤمنين من أنفسهم وقال ﷺ لعلي: (ياعلي انا وانت ابوا هذه الامة) وهذا يدل على ارتباط افعاله وتصرفاته بالرسول الاكرم صلوات ربي عليهما.

٢- ان الحسن والحسين هما ولدا الرسول المصطفى صلوات الله عليهم من فاطمة الزهراء البتول ﷺ وان نسله الطاهر قد اصبح من الزهراء ﷺ وكان اكثر نسل في البشرية جمعاء .

٣- ان الزهراء البتول ﷺ هي تمثل النساء جميعا وانها تمثل القدوة الصالحة وهي بحسب الاية المباركة (ونساءنا ونساءكم) .

٤- كشفت الاية المباركة عن مقام أهل البيت ﷺوكرامتهم عند الله، فعند محاججة نصارى نجران، قدّم أهل بيته ودعاهم للمباهلة وقال ﷺ (اذا أنا دعوت فأمّنوا..) .

٥-ورد في تفسير الزمخشري في تفسير آية المباهلة بقوله:
(لقد قدّمهم في الذكر على الانفس لينبّه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس، مُفدون بها وفيه دليل على فضل اصحاب الكساء) فهم يمثلون معسكر الايمان مقابل معسكر الشرك، حين طهّرهم الله فلا يرّد لهم طلب وبهذا فان العلامة الزمخشري يعتبر آية المباهلة أعظم آية في حق وفضل أهل البيت ﷺ .

٦-ورد عن الفخر الرازي في تفسيره الكبير حول هذه الاية الشريفة (أعلم ان الرسول ﷺباخراجه هؤلاء الاربعة دون غيرهم، كان يفسّر لنا ان صفوة النساء وقدوتها

فاطمة وصفوة ابناء المسلمين الحسن والحسين ونسبهم القرآن للرسول ﷺ وان عليا نفس محمد ﷺ) ومن هنا نستطيع ان نفهم السر الكامن في وجوب مودتهم والالتزام بخطهم ولهذا اراد الامويون وبني العباس ازالة حقيقة ان الحسن والحسين هما ابنا رسول الله والسيطرة على الخلافة بطرق غير شرعية .

وبهذا فان الزهراء البتول ؑ تمثل النساء جميعا وهي بحسب الاية المباركة (ونساءنا ونساءكم) وقد ورد في تفسير هذه الاية المباركة عن ابي عبدالله ؑ: ان نصارى نجران لما وفدوا على رسول الله ﷺوكان سيدهم الايهم والعاقب والسيد وحضرت صلاتهم فاقبلوا يضربون بالناقوس وصلّوا في المسجد.. فقال اصحاب رسول الله ﷺ: يارسول الله هذا في مسجدك ؟ ..

فقال ﷺ: دعوهم

فلما فرغوا دنوا من الرسول الاكرم ﷺ فقالوا:الى ماتدعون؟

فقال ﷺ: الى شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله، وان عيسى عبد مخلوق ياكل ويشرب ويُحدث..

قالوا فمن ابوه ؟

فنزل الوحي على رسول الله ﷺ فقال: قل لهم: ماتقولوا في آدم ؟

أكان عبدا مخلوقا ياكل ويشرب وينكح ؟

فسألهم النبي الاكرم ﷺ..

فقالوا: نعم

فقال: فمن ابوه ..

فبهتوا .. فبقوا ساكتين..

فانزل الله قوله تعالى:(ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم) الى قوله تعالى (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) .

فقال رسول الله ﷺ: فباهلوا، فان كنت صادقا أنزلت اللعنة عليكم وان كنت كاذبا نزلت عليّ..فقالوا: انصفت

فتواعدوا للمباهلة فلما رجعوا الى منازلهم قال رؤساؤهم: السيد والعاقب والايهم، ان باهلنا بقومه باهلناه فانه ليس بنبي.

وان باهلنا باهل بيته خاصة فلا نباهله فانه لا يقدم على أهل بيته الا وهو صادق

فلما اصبحوا جاؤوا الى رسول الله ﷺ ومعه امير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال النصارى: من هؤلاء ؟ ..

فقيل لهم: هذا ابن عمه ووصيه وختنه علي بن ابي طالب وهذه ابنته فاطمة وهذان ابناه الحسن والحسين .

فعرفوا صدقه وقالوا لرسول الله ﷺ: نعطيك الرضا فاعفنا عن المباهلة ..

فصالحهم رسول الله ﷺ على الجزية وانصرفوا .

سادسا: مع الصادقين

(يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)

بخاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين المصدّقين بالله والمقرين بنبوة رسوله الكريم محمد ﷺ ويطلب منهم ان يتّقوا معاصيه وان يجتنبوها وان يكونوا مع الصادقين .

لقد وصف الله الصادقين في سورة البقرة فقال تعالى:

(ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون) .

والصادقون هم الذين يصدّقون القران في الاخبار ولا يكذبون فأمر الله تعالى بالاقتداء بهؤلاء الصادقين فهم أعلى درجة للقرب الالهي بعد مراحل الايمان والتقوى وهي درجة لاتطلق الا على من يستحقها في صدقه .

وممن يوصف بالصادقين هم أهل البيت عليهم السلام وهم من مصاديق الاية المباركة، فقد ورد عن جابر بن عبدالله الانصاري عن ابي جعفر الصادق عليه السلام في تفسير هذه الاية المباركة فقال:(مع ال محمد صلى الله عليه وآله) فهم عدل الكتاب والذين اوصى بهم رسول الله وهم القرآن الناطق وهم المعصومون الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

ولقد ذكر القران مريم بأنها صدّيقة فقال تعالى:

(ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة) واذا كانت مريم صدّيقة فان فاطمة الزهراء عليها السلام هي الصدّيقة الكبرى .

قالت فيها عائشة:(ما رأيت اصدق منها الاباها) / رواه المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي وفي الإستيعاب وفي حلية الأولياء وغيرها .

ان للصديقين مقام عظيم عند الله وقد ذكرالقرآن الكريم النبي ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بانه كان صدّيقا فقال تعالى:

(واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صدّيقا نبيا)

وكذلك ذكرالقران الكريم النبي ادريس بانه كان صدّيقا فقال تعالى:

(واذكر في الكتاب ادريس انه كان صدّيقا نبيا)..

وكذلك ذكر القران مريم ووصفها بالصدّيقة فقال تعالى:

(ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صدّيقة كانا ياكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر أنى يؤفكون)

والصدّيقة وهي بكسر الصاد والدال المشددة (صيغة مبالغه) وهي الكثرة في التصديق ومن مصاديقها الزهراء عليها السلام وهي على سيرة ابيها الصادق الامين .

فهي الصادقة في اقوالها وفي افعالها ووفائها بالعهود ..واذا كانت مريم ابنة عمران صديّقة فان فاطمة الزهراء هي الصدّيقة الكبرى وهي افضل نساء العالمين بقوله صلى الله عليه وآله لابن عباس: واما ابنتي فاطمة فانها سيدة نساء العالمين من الاولين والاخرين .

وقال صلى الله عليه وآله:(فاطمة سيدة نساء أهل الجنة) ..

وقال صلى الله عليه وآله:(فاطمة سيدة نساء العالمين)

قالت عنها عائشة:(ما رأيت اصدق منها الا اباها)..

وهي من مصاديق الاية المباركة من الصادقين:

(ياايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)..

وهكذا بلغت الزهراء البتول ﷺ مرتبة الصدّيقين وسماها الرسول المصطفى ﷺ بالصدّيقه.

فقد ورد عن الرسول الاكرم ﷺ قال لعلي ﷺ:

أُوتيت ياعلي ثلاثا لم يؤتهن احد ولا أنا .. أوتيت صهرا مثلي ولم أوت أنا مثله وأوتيت زوجة صديقة مثل ابنتي ولم أوت انا مثلها زوجه وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبي مثلهما ولكنكم مني وانا منك..

انها الصديقة الكبرى كما ورد في الاحاديث المعتبرة.. فكانت الذروة في كل شئ . . في العصمة والعبادة والطاعة لله ولرسوله ولولية وهي معدن الرحمة والرأفة والعطاء وجميع ما يتصوره الإنسان في الإنسان الكامل ومع كل ذلك تبقى مناقب السيدة الصديقة الشهيدة متميّزة عن غيرها وحتى في نوع الأوسمة التي نالتها بجداره .

سابعا: الزهراء وليلة القدر

وروى ابن شهراشوب في مناقبه وأخرجه المحدث القمي عن الثعلبي عن أبي عبدالله الصادق ﷺ في تفسير سورة القدر بقوله تعالى: (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وفي تفسير فرات الكوفي عن أبي عبدالله ﷺ أنه قال: (إنا أنزلناه في ليلة القدر) الليلة: فاطمة والقدر :الله، فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر..

ورد عن الرسول الاكرم ﷺ في فاطمة الزهراء ﷺ:

(من عرفها حق معرفتها أدرك ليلة القدر)

وورد الإمام الصادق ﷺ:

(من عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر)..

هل المعرفة الجلالية كافية لـ أدراك ليلة القدر .. ؟

هل كافية لتكامل الانسان حتى يدرك ليلة القدر حقاً ..؟

والجواب: لا..فهنا الكثير ممن يعرفوا تاريخ الزّهراء ﷺ ولكن لا يعرفون حقيقتها حقا ونسبها حتى من غير المسلمين.. وهل وَصلوا إلى ذلك؟ ..

كلا ثم كلا..

وَهل المعرفة الجمالية كافية لأدراك ليلة القدر .. ؟

أيضاً لا ...حتى المخالفين يقرون بفضائل الزهراء ﷺ .

فهذا الألوسي فيْ كاتبه (روح المعاني) يقول:

فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والأخرين وَهيْ أفضل من خديجة..

وهل هذا كافي ليجعله يصل إلى أدراك ليلة القدر..؟

أذن المراد بالمعرفة هُنَا المعرفة الكمالية ..فأذا عرفنَا الهدف من وجود الزّهراء ﷺ..والسّر في وجودها بيننَا والغاية من هذا الوجود..ومن بركاته بيننَا عرفنَا الغاية تحركنَا إليه لندرك ليلة القدر..

النتيجة ماهي؟

المعرفة ..هيْ المعرفة الكمالية وهيْ أن نعرف الغاية..والهدف مِن وجود الزّهراء المُقدس ..وَسر بركاتها بيننَا ﷺ .

وتساؤل مرة أخرى .. مامعنى أدرك ليلة القدر .. ؟

ان معنى أدرك أي الأحاطة بالشيء .. والاحاطة بأسراره ، ان أدراك ليلة القدر هي أدراك حقيقتها وأسرارها ..أي معرفة الانسان لليلة القدر هي معرفة حقيقة ..وأيضاً هُنَا أعرف الزّهراء معرفة حقيقية حتى تعرف ليلة القدر..

وأدرك أي الوصول إلى حدود الشيء كالتسابق حينما تدرك المُتسابق معك تقول أدركته أي وصلتُ إلى حدوده.. وَأن تصل إلى حدود ليلة القدر حقيقاً .. وتعرف حقيقة لليلة القدر ..هي ان تصل إلى ليلة القدر واقعاً عند الله..

النتيجة هي معرفة الغرض من ليلة القدر ..ومعرفة حقيقة ليلة القدر توصلنَا إلى ليلة القدر حقيقاً.. وما هِيْ العلاقة بين الزّهراء ﷺ وليلة القدر .. ؟

مَا هِيْ العلاقة بين ليلة القدر وَالسيدة الزَهراء ﷺ..؟

هُناك من يقول بِـ أنها علاقة تشابه..تشابه فِيْ الخصائص، أي أن فاطِمة الزّهراء ﷺ لها خصائص وَليلة القدر أيضاً لها خصائص وهِيْ تتشابه وَتشترك فِيْ هذه الخصائص ومن هذه الخصائص:

١ـ ان ليلة القدر سّر من أسرار الله عز وجل كذلك فاطِمة الزهراء ﷺ هيْ سر من أسرار الله عز وجل ..وكما ورد:

(اللَّهُمَّ أني أسألك بِـ فاطمة وأبيها وَبعلها وَبنيها والسر المُستودع فيها..).

٢ـ هل أحد يعرف ليلة القدر؟

وَالواقع هُناك ترجيح وَإلا قد تكون كذلك الزَهراء ﷺ وهي مجهولة القدر ومجهولة القبر أيضاً..

٣ـ ان ليلة القدر هي سيدة الليالي وكذلك الزَهراء ﷺ هي سيدة النساء نساء العالمين جميعاً، هذا التشابه وَغيره يحملنَا لنقول سر هذه العلاقة وهِيْ علاقة تشابه بين الطرفين ..وَلكن هُنَاك رأي أخر يخالف هذا الرأي ولو دققنا فِيْ كلام المعصوم بقوله (فقد أدرك ليلة القدر).

وهُنَا ..(قد).. شرطية .. تعرف أهمية الزهراء ﷺ.

وتعرف أهمية ليلة القدر وَليست العلاقة تشابه .. ولو كانت تشابه لقال الامام ﷺ أمي الزهراء كليلة القدر.. أذن العلاقة بين الزَهراء وليلة القدر هي علاقة عليه تعليلية .. علاقة بين العلة و معلولها . . اي لولا الزهراء لما كانت ليلة القدر ولولا الزهراء ﷺ لمَا وجدت ليلة قدر.. ليلة القدر خير من ألف شهر ..

وماذا يحدث فيها ؟..

تنزل الملائكة .. وَالروح .. تقدر .. الحياة وغيرها من الامور..

هُناك تقدير فيْ ليلة القدر.. وهُناك تنزيل للملائكة والروح والوحي أيضاً

هذا التنزيل على من .. ؟

وهل نشاهد هذا التنزيل فيْ ليلة القدر .. ؟

لا .. هذا التنزيل على الأطهار مُحمّدٍ وَالائمة الأطهار عليهم السلام وهم علي وَالائمة عليهم أفضل الصلاة وَ السّلام ..

وَالآن وفي عصرنا هذا التنزيل يكون على صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فَرَجة الشريف ..وَذلك لان تنزل فعل مضارع يفيد الأستمرار..مَا زالت الملائكة تتنزل على الأطهار الأبرار.. يستقبلون هذه الملائكة وَ هذه الروح..

أذا لو لم يوجد معصوم على من تتنزل الملائكة ؟

وأذا لم تتزل الملائكة لم تكن ليلة القدر.

لا وجود لـ ليلة القدر بدون تنزل الملائكة .. ؟..

ولا تنزيل ملائكة بدون معصوم ..

وَلا معصوم إلا بـ سيدة الزهراء عليها السلام..

فَوجود المعصوم معتمد على وجود فاطِمة عليها السلام .

وكما ورد بالحديث القدسي:

(يا مُحمّد لولاك ما خلقت الافلاك ولولا علياً مَاخلقتك ولولا فاطمة ما خلقتكما)..

وهكذا تعرفنا على بعض ابعاد شخصية وعظمة الزهراء عليها السلام..

الفصل الثالث

الزهراء في بيت الرسالة

والدروس التي نستقيها

الزهراء ﷺ عطاء متجدد ومتنوع :

تعتبر الزهراء البتول ﷺ المرأة المثالية التي نشأت في اجواء النبوة ،في بيت أعظم مربي للانسانية على الاطلاق، في أجواء مفعمة بالايمان والتوحيد والطهارة والعفة المطلقة .

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد تقبل مريم ابنة عمران وانبتها نباتا حسنا وكما ورد في القرأن الكريم بقوله:(فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا) ..وهي سيدة نساء زمانها فكيف بمن ارادها الله لتكون سيدة نساء العالمين من الاولين والاخرين والى قيام يوم الدين ؟

فلقد خلق الله فاطمة الزهراء ﷺ لتؤدي دورا عظيما ومهما ورائدا في حياة البشرية ولتكون سيدة النساء على الاطلاق ولتكون الوعاء العظيم الذي يجمع الرسالة والامامة وان تكون الام للائمة الهداة الميامين المعصومين ولتكون انموذجا يحتذا به للمؤمنين والمؤمنات، بل الى عموم البشرية جمعاء، بل وحتى على الوجود الملائكي ولتعطي الحياة الطيبة الهادئة للبشرية طعما جديدا وساميا وببعديها المادي والروحي ..

لقد كان عمرها الشريف هو عمرالورد حيث قضت عمرها ﷺ تقريبا ثمانية عشر عاما وهي بنت رسول الله صلوات الله عليهما في هذه الدنيا وهو قصير في عمر الزمن، إلا أنه كان حافلاً وملئ الدنيا بالعطاء المتنوع والكمال السامي.

ان فاطمة الزهراء ﷺ منذ بداية وجودها وتكوّنها وهي تؤدي وظيفتها الرسالية بموانسة أمها خديجة الكبرى ودفع الوحشة عنها حيث عاشت امها خديجة ﷺ عزلة ومقاطعة من نساء قريش بسبب إيمانها بما جاء به زوجها الكريم محمد ﷺ فكانت خديجة تفرح بذلك وتذكره لرسول الله ﷺ فيفرح أيضاً ويخبر زوجته بعظمة شأن هذه الوليدة..

لقد تحمّلت مع أبيها صلوات الله عليهما وهي في السنين الأولى من عمرها أذى قريش فكانت تواسيه وتسلّيه وترفع عنه الأذى وتحمّلت معه ﷺ المعاناة والألم والجوع في شِعب أبي طالب ثلاث سنين حين فرضت قريش على بني هاشم ومن آمن برسول الله ﷺ مقاطعةً اقتصادية واجتماعية وعزلتهم في الشعب وما انتهت هذه السنوات العجاف إلا بوفاة عضدي رسول الله ﷺ وركنيه عمّه أبي طالب وزوجته خديجة فسمي عام الحزن فعاشت الزهراء ﷺ اليتم وفقدان هذه الأم العظيمة وهي لم تكمل ثمان سنين من عمرها الشريف .

لم يقلل وفاة امها الحنون عن عزيمتها وإرادتها في نصرة أبيها رسول الله ﷺ ومؤازرته بل أغدقت عليه من العواطف والحنان والرحمة ما عوّضه عن أمه وزوجته حتى سمّاها رسول الله ﷺ بـ(أم أبيها) فكان ﷺ يجد عندها قلب الوالدة الرحيمة ودفئ عواطف الزوجة الودودة وأنس الخليل المؤالف.

وعندما عزمت قريش على استئصال وجود رسول الله ﷺ في مكة وأمره ربه بالهجرة إلى المدينة فخرج ﷺ وخلّف علياً ﷺ في فراشه للتمويه على الأعداء ثم لحقه بالفواطم نهاراً على مرأى ومسمع من طواغيت قريش الذين شعروا بالذل والهوان من هذا التحدي فأخرجت مجموعة مقاتلة لإعادة علي والنساء إلى مكة فواجههم أمير المؤمنين ﷺ وقتل مقدمتهم فولّوا منهزمين وكانت الزهراء ﷺ في ذلك الركب وتلك الرحلة الشاقة المحفوفة بالمخاطر.

وفي المدينة المنوّرة توسّعت المسؤولية وتنوعت أكثر فقد بدأ الجهاد من أجل بناء الدولة الإسلامية وبناء الأمة الإسلامية وبناء الأسرة الصالحة والمواجهة المسلحة مع

أعداء الرسالة والدولة الفتية وكانت الزهراء في قلب هذه المسؤوليات والمواجهات وقطب الرحى منها ..

فكانت المجاهدة التي تخرج مع أبيها رسول الله ﷺ وزوجها أميرالمؤمنين في المعركة لتداوي الجرحى وتخفف الألم وتقدم المساعدة وتجهز عدة القتال..

وهي الأم التي تعين ولديها سبطي رسول الله ﷺ وسيدي شباب أهل الجنة وتيسّر لهم سبل الكمال، فقد ورد في الاخبار أنها كانت توفّر لهما قسطاً من الراحة في النهار ليتقويا على إحياء الليل بالعبادة خصوصاً في ليالي العشر الأواخر من شهر رمضان بالعبادة.

وهي الزوجة الصالحة المتكاملة وقد شهد لها بذلك أميرالمؤمنين عليه السلام حين سألته وهي توصي في ساعاتها الأخيرة من حياتها:

(يا ابن العم ما عهدتني كاذبة أو خائنة أو خالفتك منذ عاشرتني) فكان جوابه عليه السلام:

(معاذ الله أنت أبرّ وأوفى وأتقى من أن أوبّخك بمخالفتي) وقد جمعت عليها السلام بسؤالها كل أسباب الخلافات التي تحصل بين الزوجين وتؤدي إلى انهيار بيت الزوجية..فكانت الزوجة التي ارادها الله تعالى .

وهي المتابعة لتعاليم أبيها رسول الله ﷺ وتوجيهاته وهمومه أولاً بأول فكانت كلما يعود ولداها الحسن والحسين عليهما السلام من مسجد جدهما رسول الله ﷺ تسألهما عما حدث من نزول وحي أو صدور أمر أو جواب مسألة وغيرها..

هي العابدة التي تزهر في محرابها أنساً بلقاء ربها.. وقال الإمام الحسن عليه السلام:

(رأيت أمي فاطمة قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء فقلت لها: يا أماه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟

فقالت: يا بني الجار ثم الدار..

وهي المبادرة لعمل كل ما يرضي الله ورسوله ويريده الله ورسوله وإن لم يصدر به أمر وإنما تندفع إلى العمل بمجرد علمها بإرادة الرسول ﷺ له..

دخل عليها رسول الله ﷺ.. للسلام عليها بعد قدومه من سفرٍ له وفي عنقها قلادة من ذهب كان قد أهداها لها علي بن أبي طالب ﷺ من فيئ و غنيمة أصابها فقال لها رسول الله ﷺ:

يا فاطمة لا يقول الناس إن فاطمة بنت محمد تلبس لباس الجبابرة.. فقطعتها وباعتها واشترت بها رقبة فأعتقتها فسُرّ بذلك رسول الله ﷺ..

انها المصونة العفيفة.. وقد روى الإمام الباقر ﷺ:

تقاضى علي وفاطمة إلى رسول الله ﷺ في الخدمة فقضى على فاطمة بخدمة ما دون الباب وقضى على علي بما خلفه، قال: فقالت فاطمة فلا يعلم ما داخلني من السرور إلا الله بإكفائي رسول الله ﷺ تحمّل رقاب الرجال..

وكان التحدي الأكبر ينتظرها بعد رحيل أبيها ﷺ وقد أعدّها ﷺ لمواجهته وأنبأها بما سيحصل ولخّصه ﷺ لأهل بيته وخاصته بقوله: أنتم المستضعفون بعدي..

فمن جهة كان عليها أن تدافع عن الإمامة الحقّة المتمثلة بأميرالمؤمنين ﷺ وتثبيت حقه بعد رسول الله ﷺ وتدمغهم بالحجج الواضحة والبراهين الساطعة..

ومن جهة ثانية تنوّر بصائر الأمة وترفع عنهم الغشاوة وتبين الازدواجية في المعايير التي يتبعها القوم إذ ترث الأزواج من رسول الله ﷺ وتحرم البنت من الارث بحجة أنهم سمعوه ﷺ يقول:

(إنا معاشر الأنبياء لا نورّث) ويحتجّون على الأنصار وغيرهم بأنهم أحق بالخلافة لأنهم شجرة رسول الله ﷺ ويتركون ثمرته وهم أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهير؟..

ومن جهة ثالثة عليها أن تديم الثورة والرفض لكل ظلم وانحراف بالوسائل المتيسرة فألقت الخطب التي كانت تنزل كالصواعق على أصحاب أبيها في المسجد الشريف وعلى نساء الأنصاراللواتي نقلن كلامها إلى رجالهن ومن خلال حزنها وبكاءها المتواصل الذي انتشر وذاع في أرجاء المدينة مما سبب حرجاً لظالميها فطلبوا من علي ﷺ أن ينشئ لها بيتاً خارج المدينة تبثّ فيه حزنها وشكواها لله تبارك وتعالى.

وبقي عطاؤها ﷺ مستمراً لا ينفد بعد استشهادها إلى قيام يوم الساعة حينما أوصت بدفنها سراً ليلاً وأن يُعفى موضع قبرها ولا يحضر تشييعها من ظلموها لتهدي البشرية إلى الحق ولتحميه من الاندراس والضياع وتميّزه عن الباطل ولكي تتسائل الامة عن تلك الاسباب التي أدت الى اعفاء قبرها الشريف ؟..

هكذا باختصار تنوّع عطاء الزهراء ﷺ وهكذا نهضت بمسوولياتها العظيمة التي تتناسب وعظمة شخصيتها ومنزلتها وجهادها الدائم وهي سيدة النساء اجمعين ..وكما قال الشاعر:

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ وتـأتي على قدر الكرام المكارمْ
وتعظُم في عين الصـــغير صغـارها وتصغرُ في عين العظيم العظائمْ

والزهراء ﷺ أسوة حسنة للرجال قبل النساء فلنستلهم من الصديقة الطاهرة ﷺ الهمّة والعزيمة في الوفاء والصبر على مصاعب الحياة بما عاهدنا الله تبارك وتعالى من الإيمان به وبما جاءت به رسله ونزلت به كتبه والعمل بما يحبّ ويرضى مما فيه صلاح الأمة وخيرها..

ولابد من وقفة شاملة لمعرفة نشأتها في بيت الرسول الاعظم ﷺ وكيف كانت المُسْتلية لامها في عزلتها عن النساء وهي في بطن أمها وكيف وقفت مع ابيها رسول الانسانية ﷺ وكيف عاشت يتيمة الام صابرة، جلدة بعد وفاة امها خديجة ﷺ ويمكن ان نلخص فترات ومراحل الرعاية والتربية التي مرّت بها ﷺ في بيت ابيها سيد الانبياء والمرسلين محمد المصطفى ﷺ وكما يلي:

أولا: الرعاية النبوية للزهراء البتول ﷺ:

ولدت الزهراء ﷺ ونشأت في بيت ابيها سيد البشرية جمعاء محمد المصطفى ﷺ وسيدته خديجة الكبرى أم المؤمنين ..ولكن من حقنا أن نسأل: أي عظمة لابوين نشأت في رعايتها تلك الحوراء الانسية ؟

ونقول لقد نشأت في بيت أعظم وأنبل وأكرم وأشرف انسان على وجه البسيطة، هو أفضل الانبياء على الاطلاق وهو الرحمة المهداة للبشرية جمعاء وهو شفيع المذنبين المصطفى الامجد ابي القاسم محمد ﷺ .

واما أمّها فهي أرفق وأحن واشفق امراة حتى سادت نساء زمانها وهي خديجة الكبرى وسيدة قريش وام المؤمنين رضوان الله عليها..وسرعان ما أصبح هذا البيت الطاهر، بيت النبوة والرسالة ومهبط الوحي والتنزيل..وهكذا تأدبت الزهراء ؑ بأدب أبيها النبي ﷺ الذي أدّبه ربه فأحسن تأديبه .. ومن ثم فقد كانت سيدتنا فاطمة الزهراء ؑ المثل الاعلى في الخلق الكريم والطبع السليم وقد عني بها رسول الله ﷺ عناية تامة وفائقة، فكان يثقفها ثقافة اسلامية ويروضها على الهدي النبوي والصراط المستقيم ومن ثم فقد نشأت الزهراء ؑ نشاة كانت المثل الاعلى في الكمال والجلال، فهي انما تمثل أشرف ما في المرأة من انسانية وكرامة وعفة وقداسة ورعاية إلى ما كانت عليه من ذكاء وقاد وفطنة حادة وعلم واسع وكفاها فخرا انها تربّت في مدرسة النبوة وتخرجت من جامعة الرسالة وتلقت عن أبيها الرسول الأمين ﷺ ما تلقاه عن رب العالمين وبديهي ان الزهراء تعلمت في دار أبويها، ما لم تتعلمه طفلة غيرها في مكة، بل وفي الدنيا كلها وقد صدقت أم المؤمنين أم سلمة حيث تقول:

(تزوجني رسول الله ﷺ وفوض امر ابنته إليّ، فكنت أؤدبها وأدلها وكانت والله ادب مني وأعرف بالأشياء كلها ..).. ونحن نقول لام سلمة رضوان الله عليها انك حقا قد عرفت ذلك ونقول أيضا أو ليست هي بضعة رسول الله ﷺ ؟

أو ليست هي أم أبيها كما كان يسميها سيد المرسلين ﷺ؟

أو ليست هي التي اصطفاها الله لتكون التيار الذي يحمل نور النبي ﷺ عبر أسلاك الزمن ولتضاء البشرية بعد ذلك من هذا النور الفياض ..

وهكذا عاشت الزهراء البتول ؑ في بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي والتنزيل للرسالة الاسلامية الخالدة ومعلمها ابوها سيد البشرية جمعاء، فيفيض عليها من المعارف الربانية والاشراقات الملكوتية والاخلاق الفاضلة الحميدة ويوجهها

توجيها اسلاميا كاملا لا يشوبه اية شائبة وفق طريق المحبة والخير ولايثار والجود بالنفس وهو اقصى غاية الجود ..

لقد كان الرسول ﷺ المعلم الاول للاخلاق وكما وصفه الله سبحانه وتعالى في كتابه (وانك لعلى خلق عظيم) فكان ﷺ هوالمرّبي الاول لها وهو استاذ التربية والاخلاق والعلوم الربانية وغيرها .

ولو تصفحنا كتب التاريخ والمناقب وجدناها تسجل المناقب لكثير من النساء، قبل الإسلام وبعده، إلا أنها جميعا لا يمكن أن ترقى إلى شخصية ومناقب السيدة الكبرى فاطمة الزهراء ﷺ ولا يمكن أن تقاس بها اطلاقا، فالمناقب إما أن تكون ذاتية موهوبة تكريما من الله عز وجل وإما أن تكون مكتسبة تنتج عن السلوك الحسن الذي يستدعي المدح والثناء ممن يكون مدحه شرفا وثناؤه منقبة .

أما النوع الأول:

اذا كان تكريما من الله سبحانه وتعالى فلا يمكن أن يقاس بفاطمة أحد من نساء العالمين، كيف وهي سيدتهن ؟

وهل يقاس السيد بالمسود والمولى بالعبد ؟

إن الذات الفاطمية المقدسة ﷺ امتازت عن سائر الذوات نساء ورجالا منذ النشأة الأولى وقد خلقها الله حوراء إنسية وطهرها من الرجس وجعلها امتداد النبوة ووعاء الإمامة وصنوا للولاية حتى لم يجعل لها كفوءا (آدم فمن دونه) من الأنبياء والمرسلين إلا أمير المؤمنين ﷺ. فلا يمكن والحال هذه أن نبحث في الفرق بين مناقبها ومناقب غيرها من النساء على هذا الصعيد فهي كما ورد عن الرسول المصطفى ﷺ سيدة نساء العالمين .

وأما النوع الآخر:

فيما يتعلق بالامور المكتسبة وتنتج عن السلوك الحسن الذي يستدعي المدح والثناء، فإن فاطمة ﷺ الميزان الذي تقاس به المناقب فمن كانت من النساء أكثر طاعة وخدمة وتسليما لفاطمة كانت ذات منقبة لأن الله ورسوله جعلوا رضاهم في رضاها وسخطهم في سخطها، فإذا كانت ثمة امرأة ترتفع لنيل وسام من أوسمتهم فلا بد لها أن تتقرب إلى فاطمة ﷺ وتطيعها وتقتدي بها وتخدمها وحينئذ تمدح ويثنى عليها وتصبح ذات منقبة لأنها دخلت في الدائرة الفاطمية المقدسة.

أن السيدة الصديقة فاطمة الزهراء كانت الذروة في كل شئ ..في العصمة والعبادة والطاعة لله ولرسوله وللامام علي ﷺ فهي معدن الرحمة والرأفة والعطاء وجميع ما يتصوره الإنسان في الإنسان الكامل ومع كل ذلك تبقى مناقب السيدة الصديقة الشهيدة مميزة عن غيرها وحتى في نواع الأوسمة التي نالتها بجداره فهي سيدة نساء الاولين والاخرين في الدنيا والاخرة وتبقى القمة والقدوة في شخصيتها سلوكها وافعالها واقوالها لانها تغذت من نبع معلم الانسانية الرسول الاكرم ﷺ وصاحب الاخلاق والفضائل ومن أمها خديجة الكبرى سيدة نساء قريش ذات الشرف وصاحبة العلم والنسب وعندما خرج الرسول الاكرم ﷺ لمباهلة نصارى نجران وترك باقي النساء المؤمنات الصالحات ونساءه الا ابنته فاطمة الزهراء ﷺ فقد خرج بها وعلي والحسنين ﷺ فكانت ﷺ تمثل النساء كافة وهذا دليل على انها تمثل الحق الواضح في صف الرسول الاكرم وعلي والحسنين ﷺ واما الطرف الخصم فكان يمثل الطرف الباطل والخارج عن الحق (فمن حاجّك فيه) أي في الحق وكما قال تعالى في القران الكريم في وصف الموقف:

(الحق من ربك فلا تكن من الممترين * فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين) .

ثانيا: الزهراء هي المسليّة لامها في عزلتها:

ان فاطمة الزهراء ﷺ كانت المحدثة والذي نستفيده من خلال مراجعة مصادر اللغة إن هذا الاسم ومن دون تحريك حرف الدال نحتمل فيه أما أن تكون الدال المشددة مكسورة وأما أن تكون الدال المشددة مفتوحة وعلى الاحتمال الأول يكون معنى هذا الاسم أنها ﷺ كانت تحدث أمها خديجة ﷺ وهذا ما يظهر من خلال مراجعة بعض الروايات، حيث أنها ﷺ كانت تحدث أمها وهي في بطنها وكما ورد عندما سئل رسول الله من زوجته خديجة أثناء دخوله عليها قائلا لها مع من تتحدثين قالت:(الجنين الذي في بطني يؤنسني ويحدثني..) / لقد ذكر المؤرخون تكلم الزهراء مع امها وهي في بطنها ومنهم ما رواه الطبري في كتاب ذخائر العقبى والسيوطي في الدر المنثور، كما وذكر المؤرخون بان نطفة الزهراء من ثمار الجنة ومنهم الخطيب البغدادي في كتاب تاريخ بغداد وذخائر العقبى للسيوطي وفي مستدرك الصحيحين وغيرهم .

لقد قاطعت نساء قريش خديجة ﷺ بعد زواجها من الرسول الاكرم ﷺ عندما منعتها قريش من الزواج من الرسول الاكرم ﷺ لكونه فقيرا فلم تمتثل لامرهم، فأمرت قريش بالقطيعة بها فلم تدخل عليها أيّة أمراة حتى من بني هاشم ..

فعاشت الزهراء ﷺ المؤنسة لامها وباعثة البسمة والاشراقة الجميلة للبيت المحمدي .

لقد أنستها عزلة النساء والوحشة فكانت البنت المثالية والفرحة والاشراقة وهي مبعث البهجة للبيت ولامها وابيها، فعاشت مع امها ثمان سنين من الاخلاق والايمان والاحترام المتبادل.

وعلى الاحتمال الثاني في هذا المقام يكون معنى المحدثة هو أنها ﷺ كانت تحدثها الملائكة وتؤنسها وخصوصا بعد فقد أبيها رسول الله ﷺ.. وهنا سؤال يطرح نفسه في المقام وينقدح في ذهن القارئ وهو هل من الممكن أن تكون الملائكة تحدث بعض الناس مع أن المعلوم أن الوحي انقطع بعد وفاة الرسول ﷺ وفي حالة كون تحديث الملائكة وإمكان وقوعه ولو على غير نحو الوحي هل يقع هذا مع فاطمة ﷺ ؟

وللإجابة على هذا السؤال لا بد لنا من مراجعة القرآن الكريم ونستقرأه في هذه المسألة وإمكان وقوعها في الأمم السابقة باعتبار أن القرآن الكريم المصدر الأول للمسلمين في عرض الأشياء عليه، فنجد من خلال ايات قرانية كثيرة جدا ثبتت هذه الحقيقة وهي أن الملائكة يمكن أن تتحدث مع البشر، فهذا صريح القرآن يثبت هذه الحقيقة الواضحة البرهان والتي لا يبقى معها شك وإليك بعض هذه الأيات القرآنية التي ثبتت هذه المسألة:

١- قال الله تعالى(واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا..).

٢- وقال الله تعالى (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك . .) .

إن الظاهر من خلال التأمل في الايتين المباركتين أن مريم ﷺ تحدثت مع الملائكة، وهذا من أفضل الأدلة على مسألة تحدث الملائكة مع أناس ليسوا بأنبياء فإن مريم ﷺ لم تكن بنبي ولم تكن إمام بل هي أم نبي من أنبياء الله تعالى ومع ذلك فالملائكة تحدثت معها .

وهكذا باقي الايات ومنها قوله تعالى(وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بغلام حليم).

وقوله تعالى (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) ..

وقوله تعالى:(فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا) ..

وقال تعالى: (فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها)..

وقال تعالى: (وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي) ..

وقال تعالى:(إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا) ..

وقال تعالى:(وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا)..

وقال تعالى:(وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه)..

وقال تعالى:(إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى).

ويظهر من خلال هذه الآيات القرآنية وايات أخرى أن الوحي ليس مختص بالأنبياء والرسل فقط بل هو يتعدى إلى أولياء الله تعالى .. نعم الوحي هنا في هذه الآيات المفهوم منه غير الوحي في إبلاغ الرسالات إلى الأنبياء بل هو شأن آخر من الوحي

فالوحي لغة: الإعلام الخفي السريع ..

واصطلاحا:

الطريقة الخاصة التي يتصل بها الله تعالى برسله وأنبيائه لإعلامهم ألوان الهداية والعلم وإنما جاء تعبير الوحي عن هذه الطريقة باعتبارها خفية عن الآخرين ولذا عبر الله تعالى عن اتصاله برسوله الكريم بالوحي...

قال سبحانه وتعالى: (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده)..

وقال الله تعالى:(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم) .

وهذه الآية الأخيرة حددت معنى الوحي الذي يختص بالأنبياء والمرسلين أما الآيات الأخرى المتقدمة الذكر فلها معاني أخر للوحي والذي نقول به أن فاطمة الزهراء إنما كانت محدثة من قبل الملائكة بنحو من أنحاء الوحي الذي بينته الآيات الانفة الذكر، فلا غرابة أن تكون قد حدثت من قبل الملائكة كما دل القرآن على إمكان وقوع ذلك كما حدث مع أم موسى وكيفية إيحاء الله تعالى لها ..

وثمة شواهد أخرى تدل على أنها كانت محدثة من قبل الملائكة وهذا ما نجده في المأثور الروائي الذي نقل إلينا عبر الرواة والمحدثون .. فعن إسحاق بن جعفر بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي قال: سمعت أبا عبدالله ﷺ يقول: إنما سميت فاطمة محدثة لأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتنادتها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة، إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة، اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدثهم ويحدثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران ؟

فقالوا: إن مريم كانت سيدة نساء عالمها وإن الله جعلك سيدة نساء عالمك وعالمها وسيدة نساء الأولين والآخرين.

وجاء في كتاب الغدير الذي يعتبر من أهم الكتب التي ألفت في حق ولاية أهل البيت عليهم السلام حول مسألة الأناس المحدثون حيث قال:

أجمعت الأمة الإسلامية على أن في هذه الأمة كما لدى الأمم السابقة أناس محدثون على صيغة المفعول وقد أخبر بذلك النبي الأعظم كما ورد في الصحاح والمسانيد من طرق الفريقين العامة والخاصة والمحدث من تكلمه الملائكة بلا نبوة ولا رؤية صورة أو يلهم ويلقى في روعه شئ من العلم على وجه الإلهام والمكاشفة من المبدأ الأعلى أو ينكت له في قلبه من حقايق تخفى على غيره أو غير ذلك من المعاني التي يمكن أن يراد منه، فوجود من هذا شأنه من رجالات هذه الأمة مطبق عليه بين فرق الإسلام، بيد أن الخلاف في تشخيصه..ومذهب أهل البيت عليهم السلام يرون ان أميرالمؤمنين علي عليه السلام وأولاده الأئمة صلوات الله عليهم من المحدثين .

وقد ورد: إن في هذه الأمة أناس محدثون كما كان في الأمم الماضية وأميرالمؤمنين وأولاده الأئمة الطاهرون علماء محدثون وليسوا بأنبياء وهذا الوصف ليس من خاصة منصبهم ولا ينحصر بهم بل كانت الصديقة كريمة النبي صلى الله عليه وآله محدثة وسلمان المحمدي محدثا .. نعم كل الأئمة من العترة الطاهرة محدثون وليس كل محدث بإمام ومعنى المحدث هو العالم بالأشياء بإحدى الطرق الثلاث المفصلة في الأحاديث، هذا ما عليه مذهب اهل البيت عليهم السلام .

وورد عن العلامة المناوي في ذيل الحديث الذي جاء عن النبي صلى الله عليه وآله حول مسألة تحديث الملائكة مع الناس ما نصه:

(قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم أناس محدثون) قال القرطبي: الرواية بفتح الدال، اسم مفعول جمع محدث بالفتح أي ملهم أو صادق الظن وهو من ألقي في نفسه شئ على وجه الإلهام والمكاشفة من الملأ الأعلى، أو من يجري الصواب على لسانه بلا قصد، أو تكلمه الملائكة بلا نبوة، أومن إذا رأى رأيا أو ظن ظنا أصاب، كأنه حدث به

والقي في روعه من عالم الملكوت فيظهر على نحو ما وقع له وهذه كرامة يكرم الله بها من شاء من صالح عباده وهذه منزلة جليلة من منازل الأولياء، إذن يظهر من الأحاديث والأقوال المأثورة عن الخاصة والعامة أن مسألة تحديث الملائكة لأناس ليسوا بأنبياء كانت متسالمة وما شذ عنها إلا من يدعي الزوروالبهتان ضد الشيعة. فالأمم الماضية وقع فيها هذا الأمر وهذا ما ظهر لنا من خلال القران الكريم حيث أوحى الله إلى الحواريين وإلى الملائكة وإلى النحل وإلى أم موسى..

ثالثا:الزهراء مع ابيها في محنته مع قريش:

لقد عاشت الزهراءﷺ الى جانب الرسول المصطفى ﷺ في محنته مع قريش لتكون لفاطمة الزهراء ﷺ حياتها الممزوجة بالمكاره مشفوعة بالالام والمأسي منذ طفولتها ونعومة أظفارها.

فلقد فتحت عينيها للحياة وهي ترى أباها سيد الخلق من الاولين والاخرين وحيث مشركي قريش تحيط به وتحاربه وتسخر اطفالها وترسلهم لترميه بالحجارة لايقافه من الاستمرار في دعوته الاسلامية للناس وعدم توجيههم لعبادة الله سبحانه وتعالى.

لقد حضرت فاطمة الزهراء ﷺ يوما الى المسجد الحرام فرأت أباها جالسا عند حجر اسماعيل ﷺ يتلوالقران ورأت بعض المشركين يصلون اليه بانواع الاذى ويحاربونه محاربة نفسية وجسديه .

وحضرت يوما فنظرت الى بعض المشركين وهم يفرّغون فضلات الحيوانات على ظهرابيها خاتم الانبياء والمرسلين وهو ساجد لله سبحانه وتعالى وقد أصبحت الزهراء قطب الرحى في حياة أبيها العظيم حتى أنه كان يسميها بأم أبيها وقد قامت منه مقام البنت والأم فهي تجهد أن تعّوضه بحنانها عما افتقده بافتقاد أمها خديجة وهي تسعى أن تكون المخلصة لرسالته كما كانت أمها من قبل، لم تمنعها حداثة السن عن التعرف إلى جميع مشاكل أبيها وآلامه مهما كانت المشاكل مهمة ومهما كانت الآلام هائلة، لم تضعف ولم تهن ولم تتردد أو تتراجع وقد جاء في رواية عن ابن مسعود قال:

بينما كان رسول الله يصلي عند البيت الحرام وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل أيكم يقوم إلى سلى جزور بني فلان فيضعه بين كتفي محمد إذا سجد (وهي فضلات الذبيحة) فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه وضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر والقول لابن مسعود: لو كانت لي منعة لطرحته عن ظهره والنبي ساجد لا يرفع رأسه حتى أنطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت وطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تؤنبهم على ذلك الفعل الشنيع .

هذه إحدى الروايات التي تدل على منزلة الصديقة في قلب أبيها ومحلها من دعوته ورسالته وكأنها قد شعرت مع حداثة سنها بأنها مسؤولة عن أن تكون المرأة المدافعة عن حياة رسول الله ﷺ وهكذا واكبت سيره بكل شجاعة وإقدام وجرأه .

واشتدّت المحنه حتى أضطر الرسول المصطفى ﷺ ان يبتعد في شُعب ابي طالب ورافقته عائلته وال ابي طالب الى ذلك المكان وكانوا يعيشون جو الارهاب الشديد والخوف من الاعتداء وفي كل ليلة يتوقعون هجوم المشركين عليهم وخاصة بعد ان كتب المشركون صحيفة المقاطعة وحاصروا الرسول المصطفى ﷺ وبني هاشم حصارا اقتصاديا واجتماعيا فلا يبيعون ولا يشترون شيئا معهم ولا يصل اليهم احد، بل وحتى منعوا ايصال الطعام والماء اليهم .

ولقد عاشت الزهراء ﷺ وهي صغيرة السن ذلك الخوف والقلق والجوع والمقاطعة صابرة محتسبة في سبيل الله وفي سبيل نصرة الاسلام والدفاع عن صاحب الرسالة الخاتمة للشرائع وقد طالت فترة الحصار ثلاث سنين وهي تعاني المأساة والمعاناة .. ولكن تلك المعاناة قوّت من عزيمة الزهراء ﷺ فكانت فترة التمرين والتدريب للمستقبل القريب مع قريش .

رابعا: الزهراء تفقد امها وهي صغيره:

بعد ان قارب عمر الزهراء ﷺ ثمان سنين واذا بفاجعة تظهر في حياتها ولتراكم الاحزان على قلبها..لقد كانت تلك الفاجعة هي وفاة امها السيدة خديجة الكبرى الحبيبة والعزيزة على نفسها، تلك الام الطاهرة الحنونة الفاضلة والتي سبقت النساء لعبادة رب الارض والسماء ..فلقد ورد عن الامام الصادق ﷺ .

(ان خديجة لمّا توفيت، جعلت فاطمة ﷺ تلوذ برسول الله ﷺ وتدور حوله وتسأله وتقول: يارسول الله أين أمي ؟).

فبقي الرسول المصطفى ﷺ لا يجيبها حتى نزل جبرئيل وهو يقول: ان ربك يأمرك ان تقرأ على فاطمة السلام وتقول لها:

(أمك في بيت من قصب كِعابه من ذهب واعمدته من ياقوت احمر بين آسية امراة فرعون ومريم بنت عمران).

فقالت الزهراء ﷺ وهي صابرة محتسبة:

(ان الله هو السلام ومنه السلام واليه يرجع السلام) .

خامسا:فاطمة الزهراء ﷺ والهجرة:

لمّا أُصيب الرسول المصطفى ﷺ بوفاة خديجة وعمه ابو طالب رضوان الله عليهما، هبط عليه جبرئيل ويقول للرسول:

ان الله يقرأك السلام ويقول لك:

أخرج من مكة فقد مات ناصرك وعزم ﷺ على الهجرة من مكة وأمر عليا ان يبيت في فراشه، في تلك الليلة وهي الليلة التي اجتمع فيها اربعين رجلا من المشركين وطوقوا دار الرسول ﷺ لقتله، فخرج ﷺ الى الغار وبقيت الزهراء البتول ﷺ في البيت وهي تتوقع هجوم الاعداء على دارها في كل ساعه وهي تستمع الى هتافات المشركين ضد الرسول المصطفى ﷺوكذلك تعلم خشونة طباع المشركين وقساوة قلوبهم فكانت تلك الساعات من احرجها واكثرها خوفا وفزعا على قلب فاطمة

الزهراء ﷺ ولكنها كانت شجاعة لاتخاف ولا تخشى الاعداء صابرة على فراق حبيبها وابوها ومرّبيها الرسول الاكرم ﷺ.

سادسا: الزهراء أم ابيها:

إن للزهراءﷺ منزلة كبيرة عند الرسول الاكرم ﷺ وكما يظهر من خلال ألاحاديث الشريفة فتارة يقول (فداك أبوك) ومرة أخرى يقول لها (أم أبيها) وأخرى يصفها بالبضعة فيقول ﷺ (فاطمة بضعة مني ولحمها لحمي ودمها دمي..) ولكن الأهم من هذا كله فإنهاﷺ يكفي من مقامها ومنزلتها عند الرسول ﷺ أنه قال في حقها:

(من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد وهي بضعة مني وهي قلبي الذي بين جنبي فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله) .

وأيضا قولهﷺ :

(ومن أنصفك فقد أنصفني ومن ظلمك فقد ظلمني، لأنك مني وأنا منك وأنت بضعة مني وروحي التي بين جنبي ثم قال ﷺ:

(إلى الله أشكو ظالميك من أمتي..).

ولكن كثيرا ما لقبّها وكناها رسول الانسانية محمد ﷺ وكان يكنيها ويدعوها (أم ابيها). . انها تمثل الوسام الرفيع الذي وهبه الرسول ومنحه ﷺ لاعظم امراة عرفها التاريخ من الاولين والاخرين الى قيام يوم الدين فكانت الام بكل ابعادها وبكل ما تحمل من ابعاد للاسرة والمجتمع الاسلامي.

لقد اصبحت من ابيها مقام البنت والأم فهي تجهد أن تعوضه بحنانها عما افتقده بافتقاد أمها خديجة وهي تسعى أن تكون لرسالته كما كانت أمها من قبل لم تمنعها حداثة السن عن التعرف إلى جميع مشاكل أبيها وآلامه مهما كانت المشاكل مهمة ومهما كانت الآلام هائلة، لم تضعف ولم تهن ولم تتردد أو تتراجع وتدل مواقفها البطولية على منزلة الصديقة في قلب أبيها ومحلها من دعوته ورسالته وكأنها قد شعرت مع حداثة سنها بأنها مسؤولة عن أن تكون المرأة المخلصة في حياة رسول الله

ﷺ فقد واكبت سيرته بكل شجاعة وإقدام ونحن الآن لا نكاد نتصور مدى ما كانت تتطلبه من شجاعة، هي وجميع المسلمات في ذلك العصر، فنحن الآن وبعد أن عمت كلمة الإسلام جميع الأقطار الإسلامية والحمد لله، لا يكاد يجروئ إحدنا أن يجهر بالكلمة الإسلامية صريحة واضحة سواء كان رجلا ام امراة.

وكانت الزهراء ﷺ قد انصهرت بأفكار الإسلام روحيا وفكريا فقد كانت وهي بنت أعظم رجل عرفه التاريخ وريحانته الغالية والتي كان النبي ﷺ يدعوها بأم أبيها ويقول: (فاطمة بضعة مني من أرضاها فقد أرضاني ومن أغضبها فقد أغضبني) وكان يقول حينما يقبّلها إني أشم منها رائحة الجنة وهي الحوراء الإنسية وكانت عنده بمنزلة ما فوقها منزلة، فكانت آخر من يراه عند سفره وأول من يلقاه عند رجوعه من السفر .

وكانت هي من انحصر فيها نسله صلوات الله عليه ولم يكن رسول الله ﷺ يجهل ذلك، نعم كانت هي هكذا وكانت أكثر من هذا ولكنها ومع كل هذه المميزات الروحية والمعنوية كانت بسيطة في أسلوب حياتها لا تكاد تختلف عن أي امرأة فقيرة فبيتها متواضع للغاية لا يحوي إلا النزر القليل من الأثاث الضروري الذي لا يمكن الاستغناء عنه فهي مثال المرأة المسلمة المترفعة عن المواد الدنيوية والصاعدة بروحها إلى أفق الكمال وسماء العصمة والفضيلة فإن النفس البشرية إذا استنارت بنور الإسلام وإذا نفذت إلى مكنوناتها تعاليمه وحكمه استغنت بمعنوياتها عن كل ما تحتاج إليه النفوس الضعيفة من مقومات لشخصيتها.

نعم هكذا كانت فاطمة الزهراء وهي ريحانة النبوة وزهرة الهاشميين فتاة ترعرعت في أحضان الأبوة الرحيمة وصدق الرسول الاكرم ﷺاذ سماها بأم ابيها، فسلام عليها وعلى ابها سيد المرسلين وحبيب اله العالمين وعلى امها خديجة الكبرى أم المؤمنين وعلى بعلها امام المتقين وعلى ولديها سيّدي شباب اهل الجنة .

ولابد من التعرف على ابعاد الكنى الخاصة بفاطمة الزهراء ﷺ وهي (أم أبيها) ففي مقاتل الطالبين عن الصادق ﷺ أنه قال:

(إن فاطمة تكنى بأم أبيها) .

وفي كشف الغمة ..(إن النبي كان يحبها ويكنيها بأم أبيها) ..وفي هذا اللفظ أمران:

أحدهما:حب النبي ﷺ لفاطمة ﷺ..

والآخر:

تسميتها بأم أبيها لقيامها بواجباتها بافضل وجه وخدمتها الفائقة حيث عوّضت عن أمها في خدمة أبيها في كل مجالات الحياة فهي المسلية والمجاهدة والصابرة . والمتتبع لاحاديث الرسول الاكرم ﷺ وما يحمله من عطف وحنان إذا أمعن النظر في العبارة علم أن إطلاق هذه الكنية على فاطمة الزهراء ﷺ بعد قوله (يحبها) فيه دلالة واضحة على شدة الحب وكثرة الود .

وقد اختلف العلماء في معنى هذه الكنية العظيمة وذهبوا فيها إلى مذاهب تشعبت فيها الآراء والاقوال فذكروا وذكرالمجلسي اعلى الله مقامه في بيان معناها وتوضيحها للأفهام ورفع ما حصل من الإبهام في فهمها مستمدا المدد الوافي من البواطن الشريفة لتلك العصمة الكبرى بالقول:

اولا: الام

(أم) في اللغة بمعنى القصد كما في (اللهم) وقال تعالى (ولا أمين البيت الحرام) ويقال (أم فلان فلانا) أي قصده وبالفارسية (أم) بضم الهمزة أصل كل شئ وجمعه امات وأصل (أم) (أمهة) وجمعه (أمهات) وتستعمل غالبا (أمهات) للإنسان و(أمات) للبهائم وتصغيرها: (أميمة) وهو اسم امرأة وقد تضاف التاء إلى (الأب) أو (أم) بدلا عن الياء، فيقال (يا أبت افعل .. ويا أمت لا تفعلي) .

وقولهم (لا أم لك) ذم ودعاء وإمام مشتقة من نفس المادة وهو من قصده الخلق وتقدمهم وفي التفسير(وكل شئ أحصيناه في إمام مبين) قال: هو الكتاب وفي قوله (وإنهما لبإمام مبين) قال: هو الطريق .

والأمام بالفتح هو القدام والغالب استعمالها بمعنى (الأصل) يقال:(أم الجيش) وهي كما قال الفخر الرازي: الراية العظمى في قلب الجيش وهي ملاذ الجيش وملجأ .

وقال قيس بن الحطيم:عصبنا أمنا حتى ابذعروا وصار القوم بعد ألفتهم شلالا

و(أم الدماغ) كما في مجمع البيان المقدم من كل شئ والجامع منه يقال له (أم الرأس) وقيل (أم الدماغ) لأنه مجمع الحواس والمشاعر.

ويقال للأرض (أم) لأنها أصل الإنسان منها خرج وإليها يعود، قال تعالى جل شأنه:

(ألم نجعل الأرض كفاتا * أحياء وأمواتا) .

وقال أمية بن الصلت: فالأرض معقلنا وكانت أمنا فيها مقابرنا وفيها نولد

وكذا مكة تسمى (أم القرى) لانتشار القرى والمدن منها وذلك تشريفا لها لوجود بيت الله ويقال لرئيس القوم (أم القوم) ويقال لماهية الشيئ (أم الوجود) لأنها مظهر الوجود ويقال للعناصر الأربعة (الأمهات)

وقال الإمام المعصوم للخمر(أم الخبائث) لأنها سبب لكل الذنوب الأخرى ونظائره كثير وكذا يقال للمجرة (أم النجوم) ولإمام الجماعة (أم القوم). .

ثانيا: كيف تكون فاطمة أم أبيها ؟

ومن الواضح أن المراد من هذا اللفظ هو الاستعمال المجازي وليس المعنى الحقيقي وعليه كيف نجد المعنى المجازي المناسب دون التورط بمعارض ؟

ثالثا:تبين مما مر أن (الأم) بمعنى (القصد) . ورأينا في البحث أن الأم تعني أيضا الثمرة، لأنها القصد والمقصود من الشجرة .

والوجوه المذكورة في معنى (أم أبيها) وبناء على ما مر تلوح لنا عدة وجوه في معنى(أم أبيها):

الوجه الأول:

إن فاطمة الزهراء ﷺ هي ثمرة شجرة النبوة وحاصل عمرالرسول المصطفى ﷺ.. وجوهرها ولبها وقد استقرت بها السماوات العلوية والأرضون السفلية وبعبارة أخرى: إن الولد هو المقصود للأب والأم وفاطمة الزهراء ﷺ خاصة هي المقصود الأصلي والأصل الكلي من بين ذرية الرسول الاكرم ﷺ..فمعنى (أم أبيها) أن فاطمة الزهراء ﷺ هي أصل الرسول المصطفى ﷺ وهي الوليد الذي كان يقصده ويريده ﷺ ويريد نتائجها الكريمة وفوائدها العظيمة المترتبة عليها من جهة البنوة ومن فضائلها النفسانية المطلوبة للرسول الاكرم ﷺ.

وعليه فان معنى (أم) أي القصد والأصل والمقصود والمراد وهذا المعنى ينسجم مع مذهب اللغويين، بل والمحدثين أيضا .

وإذا أردنا تطبيق الكنية على الاستعمالات التي ذكرناها آنفا لكلمة الأم، نراها صحيحة منسجمة بأجمعها، فيصح أن نسمي فاطمة الزهراء ﷺ: أم النجوم بلحاظ أبنائها ويصح أن نسميها (أم القرى) بلحاظ الأئمة المعصومين ﷺ ويصح أن نسميها (أم الرأس) بلحاظ التقدم وتناسل ذريتها الطيبة وأم الجيش لأنها ملجأ الرسول المصطفى ﷺ وأمته وانكسارها يعني الانكسار الفاحش للإسلام والمسلمين .

وقد قال المصطفى ﷺ:

(فاطمة روحي ومهجة قلبي وفاطمة مني وأنا من فاطمة) فهي أصل وجود الرسول المصطفى ﷺ وحقيقته ومجمع الأنوارومنبع الأسرارللرسالة وكأن المصطفى فاطمة وفاطمة هي الرسول الاكرم واتحاد نورهما ظاهر وبديهي .

وعليه فان ما ذكر كان جملة من الشواهد على إثبات أن فاطمة الزهراء ﷺ كانت مقصود النبي وثمرة فؤاده ورايته العظمى وظل الرحمة الوارفة وأصل وجود صاحب المقام المحمود وقد مدحها الله وذريتها .

الوجه الثاني:

ان يكون الاستعمال في (أم أبيها) إستعمالا مجازيا لا حقيقيا وهو عبارة عن أسلوب للتعبير المتداول بين الآباء والأبناء للإعراب عن المحبة والعطف وبذلك أراد رسول الله ﷺ أن يخاطب ابنته العزيزة فاطمة الزهراء ﷺ كأنه قال (يا أمي) ليحكي عن شدة حبه لابنته ويشهد له قوله بالحديث:(يحبها ويكنيها بأم أبيها) .

الوجه الثالث:

لما توفيت والدة الرسول المصطفى ﷺآمنة بنت وهب رضوان الله عليها وكان ﷺ صغيرا، فكفلته فاطمة بنت أسد ﷺ أم أميرالمؤمنين علي ﷺ فخدمته بإخلاص غاية الخدمة وكانت تتعبد الله في ذلك، حتى أنها كانت تقدمه على أبنائها: أميرالمؤمنين ﷺ وطالب وعقيل وجعفر وقد شهد بذلك التاريخ والأثرالصحيح وكان ﷺ يخاطبها (أمي) ولما توفيت قال النبي المصطفى ﷺ لعلي ﷺ:

(إنها كانت أمي) فكان ﷺ يناديها وينادي فاطمة الزهراء ﷺ (وهي سميت أم خديجة الطاهرة) حبا لهما بـ(أمي) وبذلك كان يتذكر خديجة المطهرة وفاطمة المكرمة التي رعته في طفولته وكلا الإستعمالين من باب الاعاره لا الحقيقة، غير أنه كان يخاطب فاطمة بنت أسد (أمي) ويخاطب فاطمة الزهراء ﷺ بـ(أم أبيها) وفي الخطاب الأخير إحترام وتعظيم وتكريم إضافة إلى إبراز المحبة والوداد .

الوجه الرابع:

لما توفيت آمنة بنت وهب ﷺ أم النبي ودفنت في الأبواء قرب المدينة على طريق الفرع على المشهور وكان عمر النبي ﷺ يومها ست سنوات أو أقل، فكفلته وحضنته فاطمة بنت أسد ﷺ إلا أنه ﷺ شهد علاقة خاصة ومحبة مخصوصة من الصديقة الكبرى ﷺ منذ ولادتها وحتى وفاته ﷺ سواء كان في مكة أوفي المدينة، علاقة كانت تفوق علاقة البنوة والأبوة، بل كانت علاقة استثنائية ولأن أي محبة لا تبلغ محبة الأم

فكأنه ﷺ كان يقول لفاطمة ؑ:أمي لم تمت..أنت أمي، بمعنى أن للنبي ثلاث أمهات: الأم الأصلية والأم التشريفية وأم المحبة .

وبديهي أن محبة الأمهات تختلف باختلاف مراتب أنسهن بأبنائهن وآمنة بنت وهب ؑ قضت ست سنوات في خدمة الرسول الاكرم ﷺ في فترة لم تعش فيها مضايقات قريش للمولى ﷺ بينما وفقت الصديقة الطاهرة لملازمة النبي والتشرف بخدمته وسعادة مرافقته لمدة ثمان سنوات في مكة المكرمة وعشر سنوات في المدينة الطيبة وشاهدت مضايقات أعداء الدين لخاتم المرسلين وعاشت معه بصدق وإخلاص كل المصاعب والمصائب ورافقته في ازدحام البلايا واقتحام الشدائد وتجلببت بالصبر والشكيمة والتحمل صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها .

الوجه الخامس:

تظافرت الخاصة والعامة على تخريج هذا الحديث في كتبهم ..

قال الرسول الاكرم ﷺ:

(كل بني أنثى فإن عصبتهم لأبيهم، ما خلا ولد فاطمة فإني أنا عصبتهم وأنا أبوهم) (وأنا وليهم) فهو ﷺ عصبتهم وأصلهم وأبوهم تنتهي إليه هذه الفروع النابتة والغصون النامية فصار جد بني فاطمة لأمهم أباهم وصارت فاطمة الزهراء ؑ أبا وأما لأبناءها وللسادات والذرية الطيبة النازلة منها ؑ وهذا المعنى مناسب للمعنى السابق ونظائر هذا الاستعمال موجودة بكثرة كما روي (كل بني آدم من التراب وعلي أمير المؤمنين ؑ أبو التراب).

ولما صار ﷺ بهذا المعنى أبا وهو جدهم لأمهم، صارت فاطمة الزهراء ؑ أم أبيها . وأراد الرسول الاكرم ﷺ بهذا القول أن يظهر شرف فاطمة ويعطي شرفا آخر لأبنائها من حيث نسبتهم إليه وبعبارة أخرى أراد أن يقول تشريفا إني لست أبتر من الأب والولد، فأمي فاطمة وأبنائي أبناؤها .

وبناء على ذلك وبمفاد قوله (أبناءنا وأبناءكم) يقول ولد ابنتي ولدي وأصلهم متصل بأصل العصمة والطهارة وشجرة النبوة والرسالة المباركة وشرف البنوة للنبوة شرف خاص والأئمة المعصومين عليهم السلام وإن كانوا أبناء أمير المؤمنين عليه السلام من فاطمة إلا أنهم كانوا يفتخرون ببنوتهم للنبي صلى الله عليه وآله وهو شرف فوق شرف وفضيلة فوق فضيلة .

الوجه السادس:

لما نزل قوله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) في المدينة وتكنت كل واحدة من أزواج سيد الكائنات بـ(أم المؤمنين) وافتخرن بأنهن صرن أمهات المؤمنين والمؤمنات، فسألت فاطمة الزهراء عليها السلام لنفسها تشريفا ومزية عليهن فضمها النبي المختار إلى صدره كما يضم روحه العزيزة الحلوة وقبلها وشمها وكناها بـ(أم أبيها) يعني إن كن نسائي أمهات أمتي، فأنت أعلى قدرا وأجل رتبة لأنك (أمي) ويؤيد ذلك قوله تعالى في تحريم نكاح زوجات النبي المطهر (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) حيث أن الواضح من هذه الآية الكريمة أن أمومة زوجات النبي صلى الله عليه وآله الطاهرات للمسلمين أمومة من جهة التشريف والتعظيم وليست أمومة حقيقة وذهب العامة إلى أن نساء النبي أمهات رجال المسلمين دون نسائهم .

روي أن امرأة من نساء المسلمين دعت عائشة قائلة (أمي) فقالت عائشة:

إني أم رجالكم دون النساء والخلاصة: كان النبي الخاتم صلى الله عليه وآله يدعو فاطمة عليها السلام بأم أبيها ومن جهة أخرى كان ينفى أبوته لأحد (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) ويسمي الحسنين عليهما السلام ولداه كما في الآية المباهلة من جهة أخرى، لئلا يدعي أحد غيرهم هذه النسبة وهذا الشرف ويسمي أمير المؤمنين في نفس هذه الآية نفسه النفيسة ليثبت له الأولوية على النفوس الثابتة له بجميع مراتبها التي كانت له، فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما أن النبي صلى الله عليه وآله كان كذلك إلا ما خرج بالدليل .

ومدح الشاعر محمد اقبال اللاهوري بقصيدته الرائعة الزهراء ﷺ وقد جاء فيها:

المجد يشرق من ثلاث مطالع في مـهد فاطمة فما اعلاها
هي بنت من؟ هي زوج من؟ هي ام من؟ من ذا يداني في الفخار اباها
هي ومضة من نور عين المصطفى هادي الشعوب اذا تروم هداها
هي اسوة للامهات وقدوة يترسم القمر المنير خطاها

وقال آخر في الزهراء ﷺ وهي تزهر مدى الايام:

ريحانة قطعت لاجل محمد من جنة المأوى هي العلياء
طيب الجنان يفوح من انفاسها وبه لطيب ولدها الخلصاء
الورد يزهر في الرياض لموسم وعلى المدى بنت الهدى زهراء

الفصل الرابع

الزهراء الزوجة المثالية

والام المخلصة والطاهرة ﷺ

لقد تميزت شخصية فاطمة الزهراء ﷺ منذ صغرسنها بالنضج الفكري والرشد العقلي وتقدمت على فتيات عصرها في الحسب والنسب فهي بنت خاتم الانبياء والمرسلين وحبيب اله العالمين المصطفى الاكرم ﷺ وهي بنت أم المؤمنين خديجة الكبرى وسليلة العلم والفضل .

ولقد وهبها الله سبحانه وتعالى عقلا كاملا وذهنا وقادا وذكاءً حَادا وحُسنا وجمالا في اشراقة محياها النورانية وما ان دخلت السنة الثانية للهجرة حتى بدأت الوفود وكبار الشخصيات لترد على ابيها لخطبتها .. فكان ﷺ يقول:(اني انتظر فيها امر السماء) .. لقد بقي امرها دون قرار حتى تقدّم لخطبتها علي ﷺ فقال له الرسول ﷺ: أبشرك ياعلي فان الله عز وجل قد زوجكها في السماء من قبل ان ازوجكها في الارض ولقد هبط عليّ في موضعي من قبل ان يأتيني ملك من السماء فقال: يامحمد ان الله عز وجل اطّلع الى الارض اطلاعة فاختارك من خلقه فبعثك برسالته، ثم اطّلع الى الارض ثانية فاختار لك منها أخا ووزيرا وصاحبا فزوجه ابنتك فاطمة وقد احتفلت بذلك ملائكة السماء، يامحمد ان الله عز وجل امرني ان يتزوج عليا في الارض بفاطمة وتبشرها بغلامين زكيين نجيبين طاهرين خيّرين فاضلين في الدنيا والاخرة: ياعلي فوالله ماعرج الملك من عندي حتى وقفت الباب / بحار الانوار .

لقد كان لزواج فاطمة ﷺ من بين احداث حياتها قصة تروى وحديثا يُنقل بين المسلمين، فلنأخذ جانبا من حياتها لتوضيح ابعاد زواجها والقيم الاسلامية والذي اصبح

النموذج والمثل لكل زواج والذي لابد منه لينعكس على حياة كل انسان يسير على هدي الزهراء ﷺ وسيرتها العظيمة .

لقد جعل الفقه الاسلامي الطريقة التي أتبعت في زواج فاطمة ﷺ سنّة مندوبة لانها كانت صورة مجسدة لتعاليم الاسلام العملية ولابد من توضيح بعض اهم احداثها:

أولا: الخطبة

كان الزواج يتحقق في بساطة ودون ان يغالي فيه او ينقص من شأنه، فمفهوم الزواج الاسلامي مفهوم نابع عن واقعه وطبيعته من انه ظاهرة فطرية، جعلت في الانسان لبقاء النوع واستمرار الحياة.. وهكذا قرر الاسلام الزواج وهكذا وضع تعاليمه بالنسبة للبشرية .

كان يبدأ الزواج بخطبة الرجل للمراة من أهلها، فالمرأة التي تعجبه من حيث الحسب والنسب فيتقدم لخطبتها واما بالنسبة لاهل المرأة باختيار الزوج فينظرون في الرجل بما هو صالح في اخلاقه وسيرته وطاعته لله، فيعيّنوا مهرا بسيطا ويزوجوه ابنتهم من دون مقدمات او مؤخرات وبدون ان تمشي الى بيت الطرفين، طائفة من هؤلاء او من هؤلاء ولكن في الوقت الحاضر يختلف كثيرا وكأن الزواج حاليا تحديد للعلاقات الدولية بين الشعوب وعقد مؤتمرات وزيارات متتابعة من الطرفين..

لذلك نرى أمير المؤمنين ﷺ تقدم الى الرسول الاكرم ﷺ فسلم عليه واتخذ موقعه.

فسأله ﷺ عن سبب مجيئه ؟

فيعرض عليه امر الزواج من فاطمة ﷺ.

فيقول النبي المصطفى ﷺ بكل بساطة: أهلا ومرحبا وهو دليل على الموافقة.

ثانيا: القبول

بقي الرسول المصطفى ﷺ بانتظار ان يعرض الامر على فاطمة الزهراء ﷺ ليتعرّف على نتيجة الامر منها.

لقد عرض الامر على ابنته فاطمة الزهراء ﷺ وهي سيدة نساء العالمين وقد أكّد على تاريخ علي ﷺ وشيئا من فضائله ومناقبه وفاطمة ﷺ لم تتكلم بشيئ مشيرة الى رضاها بذلك .

فيقول المصطفى ﷺ في هذا المجال: الله اكبر ، سكوتها رضاها..

ان الاسلام يعتبر المرأة انسانة لها كرامتها ولها حقها في اختيار شريك حياتها ورغم ان لوالدها الحق ايضا بالمساهمة في اختيار الافضل والزوج الصالح وفق المواصفات الاسلامية باختيار صاحب الاخلاق الحسنة، لانه الاعرف بمصلحة ابنته ولكنه ان اجحف الوالد وتطرف في استغلال هذا الحق، فان الشرع سوف يحدّد سلطته ويضع كل الحق بيد ابنته وبهذا يتخذ المنهج الاسلامي في اختيار الزواج بلا افراط ولا تفريط فلا يتفق مع الاسلوب الغربي والذي يفصل المرأة عن اسرتها ويجعل لها الحق كاملا دون تدخل الاهل وكذلك فان الشرع الاسلامي لا يوافق بمنهج الجاهلية الذين كانوا يبتاعون ويبيعون المرأة وكانها سلعة تباع وتشترى وكما يتعاطون الامتعة والسلع .

ثالثا: الكفاءة والمقدرة

لقد بلغت فاطمة الزهراء مبلغ النساء في الوقت الذي كانت فيه رجال قريش تتسابق وتريد ان تكتسب شرف الزواج من بنت اشرف الخلق من الاولين والاخرين محمد المصطفى ﷺ وهي فاطمة الزهراء ﷺ والتي اشتهرت مأثرها ومناقبها وما لها من عفة وحياء وحكمة وسداد وورع واجتهاد وعلم ومعرفة، هذا من جانب ومن جانب آخر، كان المسلمون يعرفون مدى حب النبي ﷺ لفاطمة ﷺ فلذلك تعرض الكثير من ذوي الجاه والمال والشرف لخطبتها وطلب اليد من ابيها ولكن الحبيب المصطفى ﷺكان يردّهم ردا جميلا ولطيفا لما كان يعرف من عدم صلاحيتهم لزواج فاطمة ﷺ مضافا الى ما كان يعرفه ﷺ عن الوحي من ان زواج فاطمة المرأة المفضلة المعصومة في كل حركاتها وسكناتها والتي كان المقرران يكون نسل النبي ﷺ

وذريته واوصيائه وخلفائه..ان زواجها يجب ان يكون بالرجل الذي يختاره الله سبحانه وتعالى لها.

ولذلك كان ﷺ يقول لكل من يعترض لهذا :(إنّي أنتظر بها قضاء الله) / إحقاق الحق ٤ : ٤٧٤ ، عن تذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي.

وحين جاء علي ﷺ يعرض عليه ذلك، اخبره جبرئيل قد سبقه بذلك وهو يخبر بان الله تعالى قد زوجها في السماء واشهد على ذلك الملائكة .

كل ذلك لان عليا ﷺ كان افضل من مشى على الارض بعد رسول الله ﷺوهو الكفوء الوحيد لفاطمة ﷺ ففي الحديث المأثور عن الامام الصادق ﷺ قال:

(لولا ان الله تبارك وتعالى خلق امير المؤمنين لفاطمة ماكان لها كفوء على وجه الارض ..)

ففاطمة الزهراء ﷺ هي الصّديقة الكبرى وعلي ﷺ هو الصّديق الاكبر وبهذا فهو الكفوء وليس غيره أحد .

رابعا: مهر الزهراء والتجهيز

كلما كانت البساطة والزهد في الحياة الزوجية كلما اعطت حياة مملوءة بالراحة والهدوء والانسجام وكما قال الامام علي ﷺ:

(اصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم) .

ولعل بساطة مهر سيدة نساء العالمين ﷺ وتجهيز بيتها، فكانت بالاضافة الى الزهد في درجات الدنيا الدنية والتي زهدت فيها ﷺ ايضا.

لقد كان مهر الزهراء ﷺ بمقدار اربعمائة وثمانين درهما وقيل خمسمائة درهم.

لقد تميز أثاث زواج بنت خير البشرية وقائد الامة الاسلامية الرسول المصطفى ﷺ بثمن اربعمائه وثمانون درهما او خمسمائه درهم .

وقد تم توزيع ذلك المبلغ الى:ثلث المبلغ للطيب وثلثه للثياب والباقي تم تقسيمه لمتاع البيت وبعضه دفعه ﷺ الى أم سلمه لاكمال ماتبقى لاكمال متطلبات البيت .

لقد تم شراء مايلي: قميص بسبعة دراهم وخمار باربعة دراهم وقطيعه سوداء خيبريه وسرير مزمل (أي ملفوف بشريط من الخوص الملفوف) وفراشان من خيش مصر حشو أحدهما ليف وحشو الآخر من صوف الغنم واربع مرافق (متكأت) من ادم الطائف حشوها (أذخر) وهو نبات طيب الرائحه وستر رقيق من الصوف حصير هجري (مما يصنع في البحرين) ورحى يد ومخضب من نحاس لغسل الثياب ومسقاء من ادم (قربة صغيره) وقعب من خشب على هيئة قدح اللبن وشن للماء (وهو قربة صغيرة عتيقة لتبريد الماء) ومطهرة وهي اناء مزفت وجرة خضراء وكيزان من خزف وعباءة قطوانيه (مما كان يصنع في موضع الكوفه) نقع من ادم (أي بساط من الجلد) وقربة للماء.

ولّما وضع كل ذلك بين يدي الرسول المصطفى ﷺ تنهد وقال:

اللهم بارك لقوم جل آنيتهم الخزف.

أما اعداد الامام لبيت الزوجة فاقتصر على:فرش حجرة النوم بالرمل الناعم ونصب خشبه من حائط الى حائط واهاب كبش ومخده ليف وضعها على الارض وعلق على الحائط منشفه ووضع على الارض قربة ماء ومنخلا لنخل الدقيق .

هذا الاثاث البسيط المتواضع والمكون من مخدة من ليف وفراش من ليف ايضا وارض مفروشة بالرمل الناعم هوالمكان الذي تزوجت فيه افضل امراة عرفها التاريخ وهي بنت اشرف نبي وطأ الارض وقد شاركت الامام علي ﷺ هموم الحياة، فكانت البلسم له وكانت الزوجة المثالية والمطيعة له .

ان هذه أثاث تمثل البساطه من الجمال وما يشتمل من القناعة والطمئنينة لاعظم بيت جمع العصمة بين الزوجين لزواج النور من النور وبهذا الجهاز المتواضع والبسيط، فقد وُلد سيّدي شباب أهل الجنة وولدت عقيلة الطالبيين وشريكة أخيها الحسين في واقعة الطف ليس لها مثيل في الدنيا كلها، فكان ذلك البيت مهبط الوحي والقرآن وفيه تراجمة وحي الله وخزّان علم الله وفيه حجج الله على خلقه، ذلك البيت الذي كان لايدخله الرسول المصطفى ﷺ حتى يستأذن لدخوله .

لقد وصف القران ذلك البيت بقوله تعالى:(في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال ، رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وايقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ، ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) .

خامسا: الخطاب

قال الرسول المصطفى ﷺ للامام علي عليه السلام تكلم لنفسك خطيبا:

فقال عليه السلام: الحمد لله الذي قرب من حامديه ودنا من سائليه..ووعد الجنة لمن يتقيه وأنذر بالنار من يعصيه ..

فحمده على قديم احسانه وأياديه، حمد من يعلم خالقه وباريه ومميته ومحييه وسائله عن مساويه..ونستعينه ونستهديه ونؤمن به ونستكفيه..ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، شهادة تبلغه وترضيه وان محمدا عبده ورسوله ﷺ..صلاة تزلفه وتحضيه وترفعه وتصطفيه..وهذا رسول الله ﷺ زوّجني ابنته فاطمة على خمسمائة درهم فأسألوه وأشهدوا/ مناقب ال أبي طالب / ابن شهر آشوب ٣ : ٣٩٩ .

فقال الحبيب المصطفى ﷺ :قد زوّجتك ابنتي فاطمة على ما زوّج الرحمن وقد رضيت بما رضي الله فنعم الختن انت ونعم الصاحب انت وكفاك الله رضا .

ثم دخل الرسول ﷺ على فاطمة عليها السلام فقامت فأخذت رداءه ونزعت نعليه وأتته بالوضوء وتوضئ وغسلت رجليه، ثم قعدت فقال لها:

يافاطمة ..فقالت لبيك لبيك حاجتك يارسول الله ؟

قال:ان علي بن ابي طالب من قد عرفت قرابته وفضله واسلامه واني قد سألت ربي ان يزوجك خير خلقه واحبهم اليه وقد ذكر من أمرك شيئا، فما ترين ؟

فسكتت ولم تقول شيئ ولم ير كراهة في وجهها فقام وهو يقول: الله اكبرسكوتها اقرارها ..فاتاه جبرئيل عليه السلام فقال:يامحمد زوجها علي بن ابي طالب، فان الله قد رضيها له ورضيه لها ..ثم قال علي عليه السلام: فزوجني رسول الله .

سادسا: زفاف النورين ..

لقد أمر الرسول الاكرم ﷺ بنات عبدالمطلب ونساء المهاجرين والانصار أن يمضين في صحبة فاطمة الزهراء ﷺ وان يفرحن ويكبّرن ويحمدن ولا يقولنّ مالا يرضي الله.

قال جابربن عبدالله الانصاري:فأركبها ﷺ على الناقة وفي رواية على بغلته الشهباء وأخذ سلمان زمامها والنبي وحمزة وجعفر وعقيل وأهل البيت يمشون خلفها، شاهرين سيوفهم، ونساء النبي ﷺ قدّامها يرجزون، فأنشأت أم سلمه تقول:

سِرن بعون الله جاراتي وأشكرنه في كل حالات
واذكرن ما أنعم رب العلى من كشف مكروه وافات
فقد هدانا بعد كفر وقد انعشنا رب السماوات
وسرن مع خير نساء الورى تُفدّى بعمّات وخالات
يابنت مَن فضّله ذو العلى بالوحي منه والرسالات

وقالت عائشة:

يانسوة استترن بالمغابر واذكرن ما يحسن في المحاضر
واذكرن رب الناس اذ خصنا بدينه مع كل عبد شاكر
والحمد لله على افضاله والشكر لله العزيز القادر
سرن بها فالله أعطى ذكرها وخصها منه بطهر طاهر

وقالت حفصه:

فاطمة خير نساء البشر ومن لها وجه كوجه القمر
فضّلك الله على كل الورى بفضل من خص باي الزمر
زوجك الله فتى فاضلا اعني عليا خير من في الحضر
وسرن جاراتي بها فانها كريمة بنت عظيم الخطر

وقالت معاذة ام سعد ابن معاذ:

محمد خير بني آدم ما فيه من كبر ولا تيه

بفضله عرفنا رشدنا فالله بالخير يجازيه

ونحن مع بنت نبي الهدى ذي شرف قد مكنت فيه

في ذروة شامخة أصلها فما أرى شيئا يدانيه

وكانت النسوة يرجعن اول بيت من الشعر من كل رجز ثم يكّبرن ودخلن الدار، فاخذ الرسول المصطفى ﷺ بيد ابنته الزهراء ؑ ووضعها بيد علي ؑ وقال:

بارك الله في ابنة رسول الله .

ثم قال: ياعلي: نعم الزوجة فاطمة ويافاطمة نعم الزوج علي .

ثم قال ﷺ :ياعلي هذه فاطمة وديعتي عندك..

ثم قال: اللهم اجمع شملهما وألّف بين قلوبهما واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة واجعل في ذريتهما البركة واجعلهم أئمة يهدون بامرك الى طاعتك ويامرون بما يرضيك، اللهم انهما أحب خلقك اليّ، فاحبهما واجعل عليهما منك حافظا واني أعيذهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم.

ثم خرج ﷺ الى الباب وهو يقول: طهّركما وطهّر نسليهما، أنا سلم لمن سالمكما وحرب لمن حاربكما، استودعكما الله واستخلفه عليكما .

لقد استجاب الله تعالى دعاء نبيّه الكريم في تلك الساعة (جمع الله شملكما وأعزّ جدكما وبارك عليكما وأخرج منكما كثيراً طيباً) / ينابيع المودة / القندوزي الحنفي : ٢٠٧.

أجل بارك الله تعالى لعلي وفاطمة ؑ زواجهما السعيد وحصر ذرّية نبيّه المختار ﷺ في أولاد ابنته وحبيبته فاطمة الزهراء ؑ .لقد وضح الرسول ﷺتلك الحقيقة قائلاً: (إنّ الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذرّيتي في صلب هذا - يعني عليّاً -) وكذا بقوله ﷺ(كل ولد أب فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم) عن ذخائر العقبى/المحبّ الطبري: ١٢١ وتاريخ بغداد /الخطيب البغدادي ١١ : ٢٨٥..

وباتت أسماء عندها في البيت واصبح الصباح وجاء الرسول المصطفى ﷺ الى العروسين وقال: السلام عليكما، أأدخل ؟

ففتحت أسماء الباب فدخل ﷺ فسأل عليا ؑ:كيف وجدت اهلك ؟ ..

قال ؑ: نعم العون على طاعة الله ..

وسأل فاطمة ؑ فقالت:خير بعل..

وجاء النبي بعس (قدح) فيه لبن فقال لفاطمة: اشربي فداك ابوك

وقال لعلي: أشرب فداك ابن عمك .

ثم قال ﷺ :ياعلي آتيني بكوز من ماء، فجاء بماء فقرأ عليه آيات من كتاب الله تعالى ثم قال:ياعلي أشربه واترك فيه قليلا، ففعل ؑ فرشّ النبي ﷺ باقي الماء على رأسه وصدره ثم قال: أذهب الله عنك الرجس ياعلي وطهّرك تطهيرا.

وامره بالخروج من البيت وخلى بابنته فاطمة وقال:كيف أنت يابنيه؟ وكيف رأيت زوجك ؟

قالت يابه خير زوج، الا انه دخلن عليّ نساء قريش وقلن لي:(زوّجك رسول الله من فقير لامال له) ..

فقال الرسول الاكرم ﷺ: يابنيه ما أبوك بفقير ولابعلك بفقير ولقد عُرضت عليّ خزائن الارض من الذهب والفضة فاخترت ماعند ربي عز وجل، ثم قال: اني زوجتك أقدمهم اسلاما واكثرهم علما واعظمهم حلما ..

يابنية ان الله عز وجل اطلع الى الارض اطلاعه فاختار من اهلها رجلين فجعل احدهما أباك والاخر بعلك، يابنية نعم الزوج زوجك لاتعصي له أمرا.

وهكذا كانت الزهراء البتول ؑ حريصة للقيام بمهام الزوجية وما خرجت يوما من بيتها بدون اذن من زوجها وما أسخطته يوما وما كذبت وما خانته وما عصت له امرا وقابلها الامام علي ؑ بنفس الاحترام، حتى قال عنها:

(فوالله ما أغضبتها ولا أكذبتها من بعد ذلك حتى قبضها الله اليه ولا اغضبتني ولا عصت لي امرا) .

وحين ودعته قبل لحاقها بالرفيق الاعلى قالت:

(يابن العم ما عدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني)..

فقال عليه السلام:(معاذ الله، أنت أعلم بالله وأبر وأتقى واكرم واشد خوفا منه والله جددّت عليّ مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد عظمت وفاتك وفقدك فانا لله وانا اليه راجعون) .

سابعا :الوليمة وكرامة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله :

روى الشيخ الطوسي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لما زوج رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة أمير المؤمنين عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام :

يا علي اصنع لأهلك طعاما فاضلا ، ثمّ قال : من عندنا اللحم والخبز وعليك التمر والسمن ، فاشتريت تمرا وسمنا فحسر رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذراعه وجعل يشدخ التمر في السمن حتى اتخذ خبيصاً (الخبيص الحلواء المخبوصة من التمروالسمن).وبعث إلينا كبشا سمينا فذبح وخبز لنا خبزا كثيرا.

قال علي عليه السلام : ثمّ قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : أُدع من أحببت ، فأتيت المسجد وهو مشحن بالصحابة ، فاستحييت أن أشخّص قوما وأدع قوما ، ثمّ صعدت على ربوة هناك وناديت : أجيبوا إلى وليمة فاطمة ، فأقبل الناس أرسالاً فاستحييتُ من كثرة الناس وقلّة الطعام ، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ما تداخلني ، فقال لي : يا علي سأدعوا الله بالبركة.

قال علي عليه السلام : وأكل القوم عن اخرهم طعامي وشربوا شرابي ودعوا لي بالبركة وصدروا وهم أكثر من أربعة الاف رجل ولم ينقص من الطعام شيء ثمّ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله بالصحاف فمُلئت ووجّه بها إلى منازل أزواجه ثمّ أخذ صحفة وجعل فيها طعاما وقال :هذا لفاطمة وبعلها) / الأمالي للطوسي : ٤٢ / ٤٥ .

وعن جابر الأنصاري قال : حضرنا وليمة فاطمة فما رأيت وليمة أطيب منها /ينابيع المودّة / القندوزي الحنفي : ٢٣٣..

وعن أسماء بنت عميس قالت : لقد أولم علي على فاطمة ، فما كانت وليمة في ذلك الزمان أفضل من وليمته /ذخائر العقبى للمحب الطبري : ٣٣..

المرأة في الاسلام

لقد كانت المرأة المسلمة تذهب إلى ساحات الجهاد لتشجع إخوتها وأولادها على خوض غمار الحرب وهي معهم تطبب وتداوي وتسقي العطشى وتعين المصاب .. ولا يزيدها فقد الأولاد والأخوة والأعمام إلا حرصا على الإسلام وتفانيا فيه وقد كانت المرأة المسلمة تسمع بأذنيها نعي أعزائها وأحبائها وهي متلهفة في الوقت نفسه للإطمئنان على سلامة رسول الله ﷺ وعلى هذا فلا عجب إذا كانت خديجة زوجة الرسول الاكرم ﷺ أول مصدقة به وأقوى ساعد لديه .

وعند مراجعة سيرة النساء المسلمات في صدر الإسلام ونقرأ تضحياتهن ومواقفهن فاننا نجد اخلاصهن وتضحيتهن في سبيل الدين الاسلامي وفي الدفاع عن رسول الانسانية ﷺوذلك من خلال مشاركة اخاها المسلم بما يتناسب وطبيعتها الفسلجية ومنها الاعمال الطبية ومداواة الجرحى .

هذا هو الإسلام الذي نوّر قلب خديجة بعد إذ انبثقت أنواره من غار حراء ومن بيتها هي بالذات ولهذا فقد كانت خديجة ﷺ جديرة بهذا الاندفاع الإسلامي وهي التي اصطفت محمدا لنفسها منذ زمن بعيد وبعد أن عرفت أنه صاحب رسالة مقدسة ولذلك فهي لم تفاجئ ولم تستغرب عند سماعها بخبر الوحي الذي نزل على زوجها ﷺ في غار حراء وقد قنعت من زوجها بكلمات قلائل سرعان ما صدّقته بعدها وأزرته وهي أقوى ما تكون فكرة راسخة مركزة وإحساسا فياضا صادقا ..

وهكذا استمرت خديجة أم المؤمنين تحيى بحياة الرسالة المحمدية وتضحي في سبيلها بكل المصاعب والمحن وقد بذلت في هذا الطريق كل ما تملك من مال حتى أصبحت وهي الغنية الواسعة الثراء فقيرة لا تملك شيئا وقد استنفدت بدعوتها رصيدها الضخم من المال ولم يبق منه حتى النزر القليل، فهي تطوي جوعا إذا طوى النبي ﷺ وتشبع إذ يشبع بالذي يشبع فيه وهذا يبين مدى التفاوت بينها وبين باقي أمهات المؤمنين،

الفارق الذي جعل رسول الله ﷺ يحن إليها إلى آخر يوم من حياته الشريفة، فهي قد بذلت للإسلام كل ما تملك يوم كان الإسلام وحيدا ومؤيدوه فقراء.

لقد صلت مع رسول الله ﷺ يوم لا مصلية غيرها، بينما احتجت أمهات المؤمنين الأخريات على النبي ﷺ بعد أن عمت كلمة الإسلام جميع البقاع وطالبن بزيادة النفقة وتوسيع المعيشة عليهن ولم تثنهن نصائح الرسول الاكرم ﷺ عن ذلك حتى أنه جاء في الروايات أن أبا بكر دخل على النبي ﷺ ومعه نساؤه فوجده حزينا وعرف السبب في ذلك فقام على أبنته عائشة يريد أن يجأ عنقها لأنها آلمت الرسول ﷺ واعترضت طريق دعوته بمطاليبها المادية حتى نزلت الاية الكريمة (يايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن واسرحكن سراحا جميلا * وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما) والتي خيرت نساء النبي ﷺ بين متاع الحياة الدنيا وبين رسول الله ﷺ فاخترن صحبة الرسول الأعظم بعد أن قطعت أمامهن السبل .

وقد كانت خديجة صلوات الله عليها لا تألو جهدا في بذل يد العون للدعوة الإسلامية بكل ما يسعها ذلك وقد حدث مثلا أن فرضت قريش على بني هاشم حصارا في منطقة تسمى بمنطقة الشعب أو شعب أبو طالب وقد منعوا عنهم في هذا الحصار الماء والزاد وكان الموت جوعا يهدد جميع بني هاشم لولا أموال خديجة فإنها كانت تبعث من يشتري لهم الطعام سرا وفي أغلى ثمن، تستنصر وتستعين بأولاد إخوتها وأخواتها على ذلك وبذلك أمنت الغذاء لبني هاشم المحاصرين في الشعب، فلهذا ولغيره من المواقف الفذة في تاريخ الإسلام احتلت رضوان الله عليها الصدارة في قلب النبي ﷺ وفي حياته الشريفة وقد توفيت رضوان الله عليها في السنة الثالثة عشر للبعثة وقد حزن عليها رسول الله ﷺ حزنا عظيما وكانت وفاتها في عام وفاة عمه أبو طالب ﷺ ولذلك فقد سمي ذلك العام بعام الحزن لحزنه على فقدها وفقد عمه أبو طالب .

نعم لقد توفيت خديجة ﷺ وقد دخلت حياة النبي المصطفى ﷺ في أحرج أدوارها ولم تخرج من حياته أبدا فقد خلفت له أغلى وأثمن ذكرى مقدسة الا وهي الصديقة

الطاهرة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ﷺ فخلدتها وكانت المؤنسة لابيها وقد سماها ﷺ بأم ابيها .

الابعاد العامة في شخصية الزهراء ﷺ

لقد أصبحت فاطمة الزهراء ﷺ قطب الرحى في حياة أبيها العظيم حتى أنه كان يكنيها ويدعوها بأم أبيها وقد قامت منه مقام البنت والأم فهي تجهد أن تعوضه بحنانها عما افتقده بافتقاد أمها خديجة وهي تسعى أن تكون لرسالته كما كانت أمها من قبل .

لم تمنعها حداثة السن عن التعرف إلى جميع مشاكل أبيها وآلامه مهما كانت المشاكل مهمة ومهما كانت الآلام هائلة .. لم تضعف ولم تهن ولم تتردد أو تتراجع وقد جاء في الرواية عن ابن مسعود قال:

بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نُحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل أيكم يقوم إلى سلى (فضلات) جزور بني فلان فيضعه بين كتفي محمد إذا سجد فانبعث أشقى القوم فأخذه .. فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه .. فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة لطرحته عن ظهره والنبي ساجد لا يرفع رأسه حتى أنطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت وطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تؤنبهم على ذلك .. هذه إحدى الروايات التي تدل على منزلة الصديقة في قلب أبيها ومحلها من دعوته ورسالته وكأنها قد شعرت مع حداثة سنها بأنها مسؤولة عن أن تكون المرأة المخلصة في حياة رسول الله ﷺ فقد واكبت سيرته بكل شجاعة وإقدام ..

ونحن الآن لا نكاد نتصور مدى ما كانت تتطلبه من شجاعة وجرأة، هي وجميع المسلمات في ذلك العصر، فنحن الآن وبعد أن عمت كلمة الإسلام جميع الأقطار الإسلامية والحمد لله لا يكاد يجرئ أحدنا أن يجهر بالكلمة الإسلامية صريحة واضحة وكانت الزهراء ﷺ قد انصهرت بأفكار الإسلام روحيا وفكريا فقد كانت وهي بنت

أعظم رجل عرفه التاريخ وريحانته الغالية والتي كان النبي ﷺ يدعوها بأم أبيها ويقول أيضا:

(فاطمة بضعة مني من أرضاها فقد أرضاني ومن أغضبها فقد أغضبني). . وكان يقول حينما يقبلها.. إني أشم منها رائحة الجنة وهي الحوراء الإنسية وكانت عنده بمنزلة ما فوقها منزلة، لقد كانت أخر من يراه عند سفره وأول من يلقاه عند رجوعه من السفر وكانت هي من انحصر فيها نسله صلوات الله عليه ولم يكن رسول الله ﷺ يجهل ذلك ..

نعم كانت هي هكذا وكانت أكثر من هذا ولكنها ومع كل هذه المميزات الروحية والمعنوية كانت بسيطة في أسلوب حياتها لا تكاد تختلف عن أي امرأة بسيطة، فبيتها متواضع للغاية لا يحوي إلا النزر القليل من الأثاث الضروري الذي لا يمكن الاستغناء عنه، فهي مثال المرأة المسلمة المترفعة عن حطام الحياة الدنيا.. فهي مترفعة عن ذلك وتسمو بروحها وروحياتها إلى أفق الكمال وسماء العصمة والفضيلة، فإن النفس البشرية إذا استنارت بنور الإسلام القويم وإذا نفذت إلى مكنوناتها تعاليمه وحكمه وقيمه الانسانية.. استغنت بمعنوياتها عن كل ما تحتاج إليه النفوس الضعيفة من مقومات لشخصيتها.. نعم هكذا كانت فاطمة الزهراء ؑ وهي ريحانة النبوة وزهرة الهاشميين فتاة ترعرعت في أحضان الأبوة الرحيمة وهكذا كانت هي عروس تزف إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ فقد خطبت من أبيها من قبل كثيرين كان منهم أكابر الصحابة والرسول الاكرم ﷺ يردهم بشتى الحجج والمعاذير ويقول لهم أنه ينتظر فيها أمر السماء..

فقد كان ﷺ يعلم أن نسله قد انحصر في فاطمة ؑ.. وأن فاطمة وبعلها وأبناءها هم الذين سوف يكونون الامتداد لرسالته ولدعوته السماوية ولهذا فقد كان ينتظر الرجل الجدير بتحمل هذه المسؤولية فلم يكن يتوخى في زواجها مالا ولا ثراء ولكنه كان ينتظر لها الكفى والمخلص في دينه وحياته.

وفي يوم مبارك وبعد أن كان النبي ﷺ قد رد كل من تقدم لخطبة الزهراء ؓ وبما فيهم أبو بكر وعمر.. اذ أقبل علي أميرالمؤمنين ؑ إلى رسول الله ﷺ كما كان يقبل فيحييه ويجلس إليه كما كان يجلس ولكن الرسول المصطفى ﷺ يحس أن ابن عمه قادم لأمرهام وقد عرف ذلك بفراسته الشخصية وبالإيحاء النبوي، فيقبل عليه وهو يسأله متلطفا مشجعا وكله حب واشتياق للشاب العزيز الجالس أمامه، هذا الشخص الغالي الذي أخاه واصطفاه والذي فتح له قلبه رضيعا ومهد له بيته صبيا وها هو الآن يوشك أن يسلمه أغلى شيء عنده وأعزمخلوقة عليه، ثم يقول: ما حاجة ابن أبي طالب وما الذي يشغل فكرك يا ابن العم ؟

وكانت هذه الكلمات الرحيمة هي التي شجعت أبن عم الرسول ﷺ على أن يقول بصوت منخفض وهو يغض بصره للارض أمام رسول الله ﷺ قال:

ذكرت فاطمة بنت رسول الله ثم يسكت ولا يقوى على الإفاضة أكثر مما قال، فيجيبه الرسول الاكرم ﷺ وهو على ما عليه من بشر ورقة لا متناهية مرحبا وأهلا.. ويسكت لحظة ليعود فيسأله حدبا مشفقا وهل عندك شيء ؟

فيجيبه علي ؑ وهو لا يزال مغض ببصره إلى الأرض .. لا يا رسول الله، فيمسك الرسول لحظة ثم يتذكر أن عليا أصاب درعا من مغانم بدر فيعود ليسأله أين درعك الذي أعطيتك إياه يوم كذا ؟

فيجيب علي ؑ وقد غلبه التأثر لما يلقى من بر النبي ﷺ ورعايته وما يلمس من روح ابن عمه وصفائها وهو يعلم أنه جاء يخطب إلى النبي ﷺ: فاطمة التي هي أعز مخلوقة عند رسول الله، فيجيب:

هي عندي يا رسول الله .. فيقوم النبي ﷺ ثم يدخل على أبنته الغالية ليرى رأيها فيما يطلبه أبن عمه وأخوه ويقول لها متلطفا رفيقا بارا: يا عزيزة أبيها الغالية لقد ذكرك أبن عمك علي فما رأيك في هذا يا بنتاه .. والزهراء ؓ كانت تعرف ابن عمها عليا وتعرفه كما لا يعرفه غيرها من الناس، فهو سيف أبيها ودرعه والفادي له بنفسه

والبانت على فراشه وهو الذي جاء بها والفاطميات من مكة الى المدينة متحديا شجعان وفرسان مشركي مكة وبكل شجاعة وبسالة وهو الحامل للواء ابيها ..

هذا عدا أنها كانت تسمع دائما مدحه والإعجاب فيه من قبل رسول الله ﷺ.. وكانت تشعر دائما وأبدا أن ابن عمها عليا هو أقرب المسلمين للرسول وأحبهم إليه وهي الآن على ثقة من أن رسول الله ﷺ راغبا في هذا محبذا له وإلا فما كان ليسألها عن رأيها فيه، فما أكثر ما خطبت إلى أبيها قبل اليوم وكان يردهم دون أن يسألها عن رأيها في الخطاب وعلى هذا ولكونه جاء ليرى رأيها في علي بن أبي طالب ﷺ عرفت الزهراء ﷺ رأي أبيها في علي وفي هذه الخطبة ولكنها مع هذا تسكت ولا تتمكن أن تجيب، فما عساها أن ترد على رسول الله ﷺ وبهذا فقد عرف الرسول الاكرم ﷺ بان سكوتها هو رضاها .

بماذا اسهم زواج الامام علي من فاطمة ﷺ :

ان ما يحمله زواج الامام علي وفاطمة ﷺ من مدلولات مهمة ساهمت على صعيدي الدين والحياة ويمكن اجمالها بالنقاط التالية:

الامر الاول:

الحفاظ على ذرية المصطفى ﷺ لتبقى حية نابضة على طول التأريخ فكانت فاطمة الزهراء البتول ﷺ البنت الوحيدة لرسول الله ﷺ وعن طريقها حُفظ نسل النبي المصطفى ﷺ.

الامر الثاني:

تثبيت هوية الانتماء لاهل بيت النبوة ﷺ وتثبيت المنزلة الدينية والجمع بين النبوة والامامة في بيت واحد وهو بيت رسول الله ﷺ فقد كانت حجرة فاطمة ﷺ في مسجد

رسول الله ﷺ تأخذ منه ﷺ العلم والحكمة والقران وتستلهم من اخلاقه الفاضلة أكمل الفضائل والخصال الدينية وتشاركه كل يوم في العبادة والنقاء والطهارة الروحية.

لقد سرت في شرايين الاسرة العلوية دماء رسول الله ﷺ ودماء الامامة، فالابناء أخذوا من أبائهم علوم الدين وأخلاقية الرسالة والبنات تعلمن الصفاء الروحي والثقافة الدينية من امهاتهن وكلٌ سدد الآخر في تقواه وزهده وفصاحته وشجاعته.

الامر الثالث:

لقد بقيت أسرة آل البيت عليهم السلام القدوة والمثل الاعلى في المجتمع الاسلامي..فهي العائلة المتكافئة في القيم الدينية والعصمة والممارسات التعبدية والاخلاق والصدق والجهاد وتحمل المشقة والقناعة وكل ما يحمله السموّ الديني والشرف الاجتماعي من معانٍ سامية وأهداف عظيمة.

ومن الامثلة العملية فقد كانت الزهراء ﷺ تطوي الايام بلا طعام.. وكما تحكي الرواية بأن علياً عليه السلام قال لها يوماً: هل عندك شيء تطعميني؟

قالت: لا والله يا ابا الحسن ما عندنا منذ ثلاث شيء الا شيء أثرك به على نفسي و على ابنيّ..

فقال لها: فهلاّ أعلمتيني؟

قالت: اني لاستحيي من ربي أن أكلّفك ما لا تقدر عليه..

ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: كنا مع النبي ﷺ في حفر الخندق اذ جائته فاطمة (ﷺ) بكسرة من خبز فرفعتها اليه، فقال: ما هذه يا فاطمة؟

قالت: من قرص اختبزته لابنيَّ جئتك منه بهذه الكسرة، فقال: يا بنية أما انها لاول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث، وكان رداؤها الحياء والحجاب الشرعي ومع ان بيتها كان ملحقاً بمسجد رسول الله ﷺ الا ان الروايات لم تذكر ان أحداً رأى وجهها، وحتى عندما خطبت الخطبة المشهورة في مسجد رسول الله ﷺ بعد وفاة ابيها ﷺ كان الحجاب ضارباً أطنابه على وجهها فضلاً عن جسدها وكان ملبسها في غاية التواضع.

الامر الرابع:

قدم الزواج العلوي للبشرية جمعاء الانموذج المتكافئ والعادل والمثالي للتعاون بين الزوجين وليكون للانسانية وعلى مر الدهور والايام ..فكانت فاطمة ﷺ لا تلعب دور الام الحنون التي تظهر حنانها لاطفالها فحسب، بل كانت تغذيهم احكام الدين والاخلاق وضوابط العصمة..

وكان علي ﷺ يربي الحسنين ﷺ على الامامة ودور الدين في المعترك الاجتماعي.. بينما كان رسول الله ﷺ يمدّ الاسرة الشريفة بمختلف وسائل الامداد الروحي السماوي وينقلهم الى عالم الاخلاق الامثل في كل لحظة من لحظات وجوده.

وبعبارة اوضح فقد كانت تلك الاسرة الشريفة محطة لانظار علماء الكلام والقانون والشريعة والاخلاق والفلسفة، لانه لم تشهد الانسانية عائلة تجمعت فيها كل صفات الشرف والكمال والنبوة والامامة كأسرة أصحاب الكساء وهم النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسنان ﷺ خصوصاً وان تلك الاسرة المتكاملة كانت تسكن على ارض مسجد واحد وهو المسجد النبوي.

ولا شك ان التضامن الروحي الذي كان يشد افراد الاسرة المعصومة لم يكن تضامناً عضوياً بحتاً يدور حول (عقد الزواج) المبرم بين علي وفاطمة ﷺ تحت نظر والدها رسول الله ﷺ بل كان تضامناً في اصل الدين وتضافراً بين النبوة والامامة من اجل الاسلام، أي ان الدعم السماوي لزواج علي ﷺ بفاطمة ﷺ والذي اعلنه رسول الله ﷺ في غير مرة، كان دعماً من اجل منصب الامامة.. فقد كان (عقد الزواج) الذي باركته السماء كان من اجل دعم تلك المنزلة الرفيعة التي نالها علي ﷺ وحتى الواجبات البيتية والحقوق والالزامات الشرعية والاخلاقية بين اعضاء لاسرة كانت تمثّل القيم الدينية بأعلى صورها.

ان فاطمة الزهراء ﷺ كانت تقضي الليل بالعبادة والدعاء والاستغفار وكان علي ﷺ يقضي الليل في الصلاة والدعاء والتهجد ايضاً وبينما كانت ﷺ تعمل جاهدة من اجل ترتيب القضايا المنزلية وكان علي ﷺ يعمل ويكدح خارج البيت من اجل كسب لقمة

العيش.. وكانت فاطمة ﷺ تقبل بالقليل من الطعام والشراب وزوجها ﷺ زاهد لا يتعدى طعامه الخبز اليابس والماء القراح وأولادها يطوون الليل جوعاً وهم ساجدون لله سبحانه وتعالى وينظرون الى طعامهم وهو يسلّم الى المسكين والفقير والاسير وهم مطمئنون راضون بقدر الله وابوها ﷺ خاتم الانبياء وأفضل البشر على وجه الارض يأكل من خبز ابنته ﷺ ولم يدخل في فمه طعام منذ ثلاثة ايام.. فأي قدوة وأي مثل أعلى تقدمه لنا عائلة رسول الله ﷺ ؟

لقد كان بالامكان تبديل تلك الحياة العائلية الى حياة الطبقة الوسطى على الاقل، الا ان رسول الله ﷺ وعلياً ﷺ وفاطمة ﷺ لا يقبلون بذلك لان اهل بيت النبوة ﷺ ارادوا ان يكونوا مثلاً ابدياً للنزاهة والطهارة والعفة والزهد والتقوى.. وقد اكرمهم الله تعالى لانهم كانوا اتقى الناس وأفضلهم وأقربهم الى السماء.

ومن نافلة القوم ان نذكر ان البيت النبوي كان مثالاً للسلام الديني والوئام الاجتماعي، فلم يكن هناك صراع على ملك زائل او صراع بين الزوج والزوجة او صراع على ملذات الدنيا كالذي رأيناه بين هند وابي سفيان حيث زعمت بأنها لم تسرق في عمرها شيئاً الا ما كانت تأخذ من مال زوجها ابي سفيان، او الذي رأيناه بين عمر بن الخطاب قبل اسلامه وبين اخته، حيث لطم وجهها لطمة فشجّه وأدماه ونحوها كثير من اساليب الصراع النفسي والفكري بين الرجال والنساء.

وليس غريباً أن نستوعب الفارق اذا فهمنا بان الاسرة العلوية كانت تمثّل قيم الدين بانصع صورها واجلى معانيها في التعاون والحب والتعبد والزهد والتقوى والجهاد في سبيل الله، بمعنى ان تلك الاسرة عكست السلوك المثالي الذي ينبغي ان يُحتذى من قبل المؤمنين بالاسلام وبرسوله ﷺ وبولاية أمير المؤمنين ﷺ.

وما كان يميز تلك الاسرة العلوية انها كانت تعيش اجواء الثراء الروحي والارتباط بالله تعالى في الوقت الذي كانت تعيش فيه الغربة الاجتماعية.. فعندما كان آل الرسول ﷺ يحاربون نظرياً الظواهر الجاهلية العالقة في المجتمع الجديد، كانوا في الوقت ذاته يخوضون جهاداً عملياً مريراً ضد مجتمع تربى على الاعراف الجاهلية القَبَلية ولذلك

كانت مهمتهم الاجتماعية والدينية صعبة وشاقة..ولكن الذي خفّف من مشقة الصراع على الساحة الاجتماعية هو ان الارضية الدينية للانسجام النفسي والاجتماعي في الاسرة العلوية كانت ارضية صالحة، تحقق اهدافها في بناء مجتمع اسلامي مصغّر يذوب تماماً في المثاليات الدينية.

حديث المفاخرة بين فاطمة الزهراء والامام علي عليه السلام

ورد عن جابر بن عبدالله الانصاري قال:

كان ذات يوم الامام علي بن ابي طالب عليه السلام هو وزوجته فاطمة عليها السلام يأكلان تمرا فقال علي عليه السلام لفاطمة عليها السلام:ان النبي صلى الله عليه وآله يحبني اكثر منك .

فقالت فاطمة عليها السلام :واعجبا منك، يحبك أكثر مني وأنا ثمرة فؤاده وعضو من أعضائه وغصن من اغصانه وليس له ولد غيري..

قال علي عليه السلام: إن لم تصدقيني فأمضي بنا إلى أبيكِ محمد صلى الله عليه وآله..

قال عليه السلام..فمضينا إلى حضرته صلى الله عليه وآله فتقدمت فاطمة عليها السلام.

ففالت: يا رسول الله أينا أحب إليك أنا أم علي عليه السلام ؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: أنت أحب إلي وعلي أعز علي منكِ ..

فعندها قال مولانا الامام علي عليه السلام:

الم أقل لك أنا زوج فاطمة ذات التقى ..

قالت فاطمة عليها السلام : وأنا ابنة خديجة الكبرى..

قال علي عليه السلام : وأنا ابن الصفا..

قالت فاطمة عليها السلام : وأنا ابنة سدرة المنتهى..

قال علي عليه السلام : وأنا فخر الورى..

قالت فاطمة عليها السلام :وأنا ابنة من دنى فتدلى وكان من ربه قاب قوسين أو أدنى..

قال علي عليه السلام : وأنا ولد المحصنات

قالت فاطمة ﷺ : أنا بنت الصالحات والمؤمنات ..

قال علي ﷺ : وأنا خادمي جبرئيل

قالت فاطمة ﷺ : وأنا خاطبني في السماء راحيل وخدمتني الملائكة جيلا بعد جيل

قال علي ﷺ : وأنا ولدت في المحل البعيد المرتقى ..

قالت فاطمة ﷺ : وأنا زوجت في الرفيع الاعلى

قال علي ﷺ : أنا حامل اللواء..

قالت فاطمة ﷺ : وأنا ابنة من عرج به إلى السماء..

قال علي ﷺ : أنا ابن صالح المؤمنين..

قالت فاطمة ﷺ : وأنا ابنة خاتم النبيين

قال علي ﷺ : وأنا الضارب على التنزيل..

قالت فاطمة ﷺ : وأنا صاحبة التأويل..

قال علي ﷺ : وأنا شجرة تخرج من طور سينين

قالت فاطمة ﷺ : وأنا الشجرة التي تؤتي أكلها كل حين

قال علي ﷺ : وأنا من تكلم مع الثعبان ..

قالت فاطمة ﷺ : وأنا الشجرة التي تخرج أكلها اعني الحسن والحسين..

قال علي ﷺ : وأنا السبع المثاني والقرآن الحكيم..

قالت فاطمة ﷺ : وانا ابنة النبي الكريم..

قال علي ﷺ : وأنا النبأ العظيم ..

قالت فاطمة ﷺ : وانا ابنة الصادق الأمين

قال علي ﷺ : وأنا الحبل المتين..

قالت فاطمة ﷺ : وأنا ابنة خير الخلق أجمعين..

قال علي ﷺ : أنا ليث الحروب..

قالت فاطمة ﷺ : أنا من يغفر الله به الذنوب ..

قال علي ﷺ : وأنا المتصدق بالخاتم

قالت فاطمة ﷺ : انا ابنة سيد العالم..

قال علي ﷺ : أنا سيد بني هاشم

قالت فاطمة ﷺ : أنا ابنة محمد المصطفى ..

قال علي ﷺ : أنا الإمام المرتضى

قالت فاطمة ﷺ : أنا ابنة سيد المرسلين ..

قال علي ﷺ : أنا الشجاع الكمي..

قالت فاطمة ﷺ : وأنا ابنة أحمد النبي ..

قال علي ﷺ : أنا البطل الأروع

قالت فاطمة ﷺ : أنا الشفيع المشفع

قال علي ﷺ : أنا قسيم الجنة والنار..

قالت فاطمة ﷺ : أنا ابنة محمد المختار..

قال علي ﷺ : أنا قاتل الجان ..

قالت فاطمة ﷺ : أنا ابنة رسول الملك الديان

قال علي ﷺ : أنا خيرة الرحمن

قالت فاطمة ﷺ : وأنا خيرة النسوان

قال علي ﷺ : وأنا مكلم أصحاب الرقيم..

قالت فاطمة ﷺ :وأنا ابنة من أرسل رحمة للمؤمنين وبهم رؤوف رحيم

قال علي ﷺ : وأنا الذي جعل الله نفسي نفس محمد ﷺ حيث يقول في كتابه العزيز (وانفسنا وانفسكم) ..

قالت فاطمة ﷺ :وأنا الذي قال في القران (وأبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم)..

قال علي ﷺ : أنا علمت شيعتي القران ..

قالت فاطمة ﷺ : وأنا يعتق الله من أحبني من النيران..

قال علي ﷺ : أنا شيعتي من عملي يسطرون..

قالت فاطمة ﷺ : أنا من بحر علمي يغترفون

قال علي عليه السلام :أنا الذي اشتق الله تعالى اسمي من اسمه فهو العالي وأنا علي..

قالت فاطمة عليها السلام : وأنا كذلك فهو الفاطر وأنا فاطمة..

قال علي عليه السلام : أنا حياة العارفين..

قالت فاطمة عليها السلام : أنا مسلك نجاة الراغبين..

قال علي عليه السلام : وأنا الحواميم..

قالت فاطمة عليها السلام : وأنا ابنة الطواسين..

قال علي عليه السلام : وأنا كنز الغنى ..

قالت فاطمة عليها السلام : وأنا الكلمة الحسنى ..

قال علي عليه السلام : أنا بي تاب الله على آدم في خطيئته..

قالت فاطمة عليها السلام : وأنا بي قبل الله توبته..

قال علي عليه السلام : أنا كسفينة نوح من ركبها نجا

قالت فاطمة عليها السلام : وأنا اشاركك بالدعوى ..

قال علي عليه السلام : أنا طوفانه..

قالت فاطمة عليها السلام : وأنا سورته..

قال علي عليه السلام : وأنا النسيم المرسل لحفظه..

قالت فاطمة عليها السلام : وأنا مني انهار الماء واللبن والخمر والعسل في الجنان..

قال علي عليه السلام : وأنا الطور..

قالت فاطمة عليها السلام : .وأنا الكتاب المسطور ..

قال علي عليه السلام : وأنا الرق المنشور..

قالت فاطمة عليها السلام : وأنا البيت المعمور..

قال علي عليه السلام : وأنا السقف المرفوع..

قالت فاطمة عليها السلام : وأنا البحر المسجور..

قال علي عليه السلام : أنا علمي علم النبيين..

قالت فاطمة عليها السلام : وأنا ابنة سيد المرسلين من الأولين والآخرين..

قال علي ﷺ : أنا البئر والقصر المشيّد

قالت فاطمة ﷺ : أنا مني شبر وشبير.

قال علي ﷺ : وأنا بعد الرسول خير البرية

قالت فاطمة ﷺ : أنا البرّة الزكية..

عندها قال.. النبي ﷺ : لا تكلّمي عليّا فإنّه ذو البرهان

قالت فاطمة ﷺ : أنا ابنة من انزل عليه القرآن

قال علي ﷺ : أنا البطين الأصلع..

قالت فاطمة ﷺ : أنا الكوكب الذي يلمع..

قال النبي ﷺ :فهو الشفاعة يوم القيامة ..

قالت فاطمة ﷺ : وأنا خاتون يوم القيامة ..

فعند ذلك قالت فاطمة ﷺ : يارسول الله لا تحام لابن عمك ودعني واياه

قال علي ﷺ : أنا من محمّد عصبته ونخبته

قالت فاطمة ﷺ : وأنا لحمه ودمه

قال علي ﷺ أنا الصحف..قالت فاطمة ﷺ : وأنا الشرف

قال علي ﷺ : وأنا نور الهدى..قالت فاطمة ﷺ : وأنا فاطمة الزهراء..

فعندها قال النبي ﷺ لفاطمة:يافاطمة قومي وقبّلي راس ابن عمك..

فهذا جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل مع أربعة آلاف من الملائكة يحامون مع علي ﷺ وهذا أخي راحيل ودردائيل مع أربعة آلاف من الملائكة ينظرون باعينهم.

فقامت فاطمة ﷺ فقبلت راس علي بن ابي طالب ﷺ بين يدي رسول الله ﷺ..

الفصل الخامس

مقامات الزهراء عليها السلام

من خلال الأسماء والصفات

ان لسيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام مقامات رفيعة حباها وتوجّها بها ربها وخالقها فاصبحت أسماؤها وهي تُدل على سمو منزلتها في السماء كما هي في الارض ولهذا فهي سيدة نساء العالمين من الاولين والاخرين. .

كما ان لكل اسم من اسماؤها اسرارا كما وردت في الاخبار ويمكن ان نستعرض ما يمككنا من عرضه وبما يتسع به المجال وندرجها بما يلي:

فقد ورد في الحديث عن كتاب علل الشرائع عن الامام الصادق عليه السلام قال:

(لفاطمة تسعة أسماء عند الله عز وجّل: **فاطمة والصدّيقة والمباركة والطاهرة والزكيّة والراضية والمرضية والمحدّثة والزهراء**) .

ولابد من ان نستعرض بعض مدلولات وابعاد هذه الاسماء النورانية السماويةالكريمة:

اولا: فاطمة

ان اسم فاطمة هو الاسم الذي سماها الله عز وجل به عن طريق وحيه إلى رسوله صلى الله عليه وآله وقد تعامل أهل البيت عليهم السلام مع هذا الاسم بمنتهى العرفان والحرمة وما له من مكانة في قلوبهم عليهم السلام وأن معظم الأئمة عليهم السلام قد سموا بناتهم بهذا الاسم المبارك فالامام الحسن المجتبى عليه السلام قد سمى بنته بفاطمة وكذلك الامام الحسين الشهيد عليه السلام كما وإن الإمام الكاظم عليه السلام قد سمى أربعا من بناته بهذا الاسم ..

وكذا أوصوا المسلمين بتسمية بناتهم بهذا الاسم وبإكرامه فليس للأب إذا سمى ابنته فاطمة أن يضربها أو يلعنها أو يسبها، حتى أن السكوني وهو من رجالات العامة قال: (دخلت على أبي عبدالله ﷺ وأنا مغموم مكروب فقال لي يا سكوني ما غمك فقلت: ولدت لي أبنة فقال: يا سكوني على الأرض ثقلها وعلى الله رزقها، تعيش في غير أجلك وتأكل من غير رزقك فسري والله عني فقال:ما أسميتها؟

قلت فاطمة.. قال: آه ..آه.. آه ..ثم وضع يده على جبهته إلى أن قال أما إذا سميتها فاطمة فلا تسبها ولا تلعنها ولا تضربها).

ان اسم فاطمة هو احد الاسماء الخمسة التي تلّقى أدم من ربه كلمات فتاب عليه وهي مكتوبة على العرش قبل ان يخلق الله أدم بسبعة آلاف سنة كما ورد في الاخبار وهي أكرم الخلق على الله بعد ابيها وما سئل الله عبد بحقهم الا استجاب له .

ان اسم فاطمة له عدة معاني واشتقاقات ومنها:

أ ـ اسم فاطمة مشتق من اسماء الله سبحانه وتعالى:

ورد في الحديث القدسي:(أني خلقت فاطمة وشققت لها اسما من أسمائي فهي فاطمة وأنا فاطر السماوات والارض) وكما ورد في الادعية المأثورة والمشهورة ومنها:

(الهي بحق محمد وانت المحمود وبحق علي وانت الاعلى وبحق فاطمة وانت فاطر السماوات والارض وبحق الحسن وانت المحسن وبحق الحسين وانت قديم الاحسان).

ب ـ اسم فاطمة مشتق من الفطم:

ورد بان اسم فاطمة مشتق من الفطم وهذا يعني الفصل ومنه الفطام للطفل بمعنى فصله عن اللبن والارضاع ويقال فطمت المرضع الرضيع فطما .

ففي علل الشرائع قال المصطفى ﷺ :

يافاطمة أتدرين لم سميت فاطمة ؟ فقال علي ﷺ: يارسول الله لم سميت فاطمة ؟

فقال ﷺ: لانها فطمت هي وشيعتها من النار .

وروى المحب الطبري في (ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى) فقال: اخرج الحافظ الدمشقي عن الإمام علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة: يا فاطمة، أتدرين لم سميت فاطمة ؟

قال علي: يا رسول الله لم سميت فاطمة ؟

قال إن الله عز وجل قد فطمها وذريتها من النار يوم القيامة ..

وفي الاخبار سميت فاطمة لان الله فطم من احبها من النار وقيل لانها فطمت من الشر.

وورد عن الامام الصادق عليه السلام قال:والله لقد فطمها الله تعالى بالعلم وعن الطمث .

وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله (ان ابنتي فاطمة حوراء إذ لم تحض ولم تطمث وانما سماها فاطمة لان الله عز وجل فطمها ومحبيها من النار) ..

ج - سميت فاطمة لان الناس فطموا عن معرفتها:

ورد عن الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله في فاطمة الزهراء عليها السلام: (من عرفها حق معرفتها أدرك ليلة القدر) . وروي في بحار الانوار عن الامام الصادق عليه السلام قوله:(من عرف فاطمة حق معرفتها فقد ادرك ليلة القدروانما سميت فاطمة لان الخلق فطموا عن معرفتها) .

وهذه التسميات المتعددة والوجوه يمكن اشتمالها جميعا عليها عليها السلام وعلى ابيها وبعلها وبنيها .

ان اسم فاطمة هو اسم لم يكن غريبا عند العرب فقد كانت زوجة أبي طالب وهي أم الامام علي عليه السلام تسمى فاطمة وكان الرسول صلى الله عليه وآله يناديها (يا أماه) وهناك فاطمة بنت حمزة سيد الشهداء وأسد الله ورسوله وهناك فاطمة بنت عتبة وغيرهن غير أن اسم فاطمة للزهراء انما كان له معنى خاصا ..

ثانيا:الصدّيقة الكبرى

وهو لقب شريف وعظيم مدح الله تبارك وتعالى به مريم ابنة عمران عليها السلام في القرآن المجيد بالصديقة فقال تعالى:(ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل

وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين الآيات ثم انظرأنى يؤفكون).. والصّديقة بالتشديد هو كثرة التصديق .

ولقب رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء بالصديقة الكبرى..فقد ورد عنه ﷺ :

(..وهي الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى) .

والصّديق على وزن فعيل من أبنية المبالغة كما يقال: وهو كثير الصدق والصدق نقيض الكذب ومنه قوله تعالى: (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) والصديق والصديقة بالتخفيف: الخل والمحب رجلا أو امرأة والصديق يطلق على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وبديهي أن مقام الصدق والاستقامة في القول والفعل يأتي تلو مقام النبوة ومنه قوله تعالى: (ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) .

وقال تعالى: (والذين امنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون) .

وقال أيضا: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) .

وقال رسول الله ﷺ في مدح أميرالمؤمنين ﷺ: (هذا خيرالأولين وخير الآخرين من أهل السماوات وأهل الأرضين وهذا سيد الصديقين وسيد الوصيين) .

وقد مدح القرآن الكريم يحيى بن زكريا ونعته بالتصديق فقال: (إن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله) روي أنه لما دخلت مريم على أم يحيى لم تقم لها فأذن الله تعالى ليحيى وهو في بطن أمه فناداها: يا أماه تدخل إليك سيدة نساء العالمين مشتملة على سيد رجال العالمين فلا تقومين لها ؟

فقامت إليها وسجد يحيى وهو في بطن أمه لعيسى ابن مريم، فذلك كان أول تصديقه له وإنما مدحت مريم ووصفت بالصديقة لصدقها في دعواها أن عيسى منها ولم يمسسها بشر، فشهد الله لها بالصدق، فصارت صديقة لكثرة تصديقها .

وسميت فاطمة الزهراء ﷺ بالصديقة الكبرى لأنها صدّقت بوحدانية الحق تعالى ونبوة أبيها وإمامة بعلها وإمامة أبناءها المعصومين واحدا بعد واحد وهي في رحم أمها وعند ولادتها .. ثم إنها كانت وهي طفلة صغيرة أول من سبق إلى التصديق بنبوة

النبي ﷺ بعد أمها وعاشت في كنف الرسالة واقتدت في جميع أحوالها وأفعالها وأقوالها بمربيها العظيم سيد الكائنات واشرف الخلق اجمعين وأكملت منذ طفولتها ملكاتها القدسية النفسانية وعاشت مع الصادقين والصديقين وقد وصفها أبوها وهو أصدق القائلين وأفضل الصّديقين بأنها (الصديقة الكبرى) وفضلها بذلك على مريم العذراء وقد قال: (فاطمة مريم الكبرى) .

كما وشهد لها بذلك أيضاعائشة بنت أبي بكرعلى ما رواه المشاهير من العلماء أنها قالت مرارا: (ما رأيت امرأة أصدق منها إلا أباها).

وهذا الخبر صحيح ومعتبر عند الجميع ومع ذلك فقد آذاها أبوعائشة وأعوانه حينما طالبت بحقها الثابت وغمها وخذلها المهاجرون والأنصار وهي تشكو وتتظلم بينهم وتستنصرهم لإحقاق حقهم، فلم تجد منهم ناصرا ولا من مغيث ولم يصّدقوا قول تلك الصادقة المصدقة وكانت العاقبة أن عاشت أياما قليلة تكابد الهم والألم وفارقت الدنيا لتقف لهم غدا يوم القيامة بين يدي المنتقم الحق وتحاسب الرجال والنساء القساة الجفاة الذين صدقوا قولها وأذعنوا أن الحق معها ومع ذلك خذلوها .

ان للصديقين مقام عظيم عند الله، فقد ذكر القرأن الكريم النبي ابراهيم الخليل ﷺ بانه كان صدّيقا، فقال تعالى:

(واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صدّيقا نبيا) .

وكذلك ذكر النبي ادريس بانه كان صدّيقا، قال تعالى:

(واذكر في الكتاب ادريس انه كان صدّيقا نبيا)

والصّديق والصديقة الكثرة في التصديق ومن مصاديقها الزهراء ﷺ وهي على سيرة ابيها الصادق الامين .

فهي الصادقة في اقوالها وفي افعالها ووفائها واذا كانت مريم ابنة عمران صديّقة فان فاطمة الزهراء هي الصدّيقة الكبرى وهي افضل نساء العالمين بقوله ﷺ لابن عباس:واما ابنتي فاطمة فانها سيدة نساء العالمين من الاولين والاخرين .

وقال ﷺ:(فاطمة سيدة نساء أهل الجنة)

وقال ﷺ :(فاطمة سيدة نساء العالمين)

قالت عنها عائشة:(ما رأيت اصدق منها الا اباها)

وهي من مصاديق الاية المباركة من الصادقين (ياايها الذين أمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)..وهكذا بلغت الزهراء البتول ﷺ مرتبة الصدّيقين وسماها الرسول المصطفى ﷺ بالصدّيقة الكبرى.

فقد ورد عن الرسول الاكرم ﷺ قال لعلي ﷺ:

أتيت ياعلي ثلاثا لم يؤتهن احد ولا أنا، أوتيت صهرا مثلي ولم أوت أنا مثله وأوتيت زوجة صديقة مثل ابنتي ولم أوت انا مثلها زوجه وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبي مثلهما ولكنكم مني وانا منكم.

شهادة أهل البيت ﷺ بكونها صديقة

١- عن المفضل بن عمر قال:

(قلت لأبي عبدالله ﷺ من غسل فاطمة ﷺ ؟

قال: ذاك أمير المؤمنين ﷺ..

فكأنما أستفضعت ذلك من قوله..

فقال لي: كأنك ضقت مما أخبرتك به فقلت قد كان ذلك جعلت فداك؟

فقال لا تضيقن فإنها صديقة لم يكن يغسلها إلا صديق أما علمت أن مريم لم يغسلها إلا عيسى ..).

٢- وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال لعلي ﷺ:

(أوتيت ثلاثا لم يؤتهن أحد ولا أنا: أوتيت صهرا مثلي ولم أوت أنا مثلي وأوتيت زوجة صديقة مثل أبنتي ولم أوت مثلها زوجة وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبي مثلهما ولكنكم مني وأنا منكم).

٣- وعن الصادق عليه السلام:(وهي الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى).

٤- وعن الإمام الكاظم عليه السلام:(إن فاطمة عليها السلام صديقة شهيدة).

وهكذا كانت فاطمة الزهراء عليها السلام الصديقة الكبرى وكان زوجها أميرالمؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام كفؤا لها فكان الصديق الاكبر كما نعته الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله بذلك .

ثالثا: المباركة

وهي ذات البركة في العلوم الربانية والفضائل النفسانية والكمالات الشريفة والكرامات المنيفة وأن هذا اللقب المعظم يبين الخيرات الكثيرة والبركات الوفيرة الواصلة من منبع العصمة الكبرى والرحمة العظمى إلى الجميع بما سوى الله وقد أخبرالله عيسى ابن مريم في الإنجيل عن السيدة المخدرة فاطمة الزهراء ووصفها بهذا الوصف، ففي كتاب الأمالي وإكمال الدين وإتمام النعمة عن عبدالله بن سليمان قال:

قرأت الإنجيل في وصف النبي صلى الله عليه وآله:

نكاح النساء ذو النسل القليل، إنما نسله من مباركة لها بيت في الجنة لا صخب فيه ولا نصب، يكفلها في آخر الزمان كما كفل زكريا أمك، لها فرخان مستشهدان) .

ففاطمة الزهراء عليها السلام أم البركات والأصل الأصيل للخيرات وكل بركات عالم الإمكان من حسيات وعقليات من وجودها الجواد وذاتها المباركة وجاء في خبر ولادتها قال رسول الله صلى الله عليه وآله لخديجة وللنساء اللاتي حضرن ولادتها من الجنة:

(خذيها طاهرة مطهرة زكية ميمونة النقيبة بورك فيها وفي نسلها. .)..

نقل الجوهري عن أبي عبيدة في معنى (النقيبة النفس).. يقال: فلان ميمون النقيبة أي مبارك النفس .

قال ابن السكيت: إذا كان ميمون المشورة، فالمباركة من البركة بمعنى الزيادة . والبركات على قسمين:

منها ظاهري ومنها باطني وكلاهما ظهرا بنحو الكمال والتمام في مرآة صفات الجلال والجمال الإلهي فاطمة الميمونة .

وقال رسول الله ﷺ في تزويجها:

(لم تزل ميمون النقيبة مبارك الطائر رشيد الأمر) ومعنى مبارك الطائر ظاهرا أي عمل الخير وهو من الأمثال السائرة، قال تعالى:

(وألزمناه طائره في عنقه) قيل: أي عمله وفي المثل عن كثيرة الخيروزيادة الخصب: (هم في شئ لا يطير غرابه) والتبريك من نفس الجذر وهو دعاء للزيادة وبركة الطعام، يقال (بارك فيك ولك وعليك) تقال للتيمن ..

وقال رسول الله ﷺ ليلة زفاف المخدرة الكبرى في دعاء لها ولأميرالمؤمنين عليه السلام:

(بارك الله لكما وبارك فيكما وأخرج منكما النسل الكثير).

كما وأن خديجة عليها السلام كانت معروفة بين نساء قريش بلقب سيدة النسوان والطاهرة والكريمة والمباركة ولكن معنى كثرة النسل وغيره تحقق فيها من خلال هذه الكريمة الزكية والمباركة السماوية فاطمة النورية وقد ورد في تفسير أهل البيت عليهم السلام في معنى (الكوثر) أنه الذرية الطيبة والنسل الكثير وإنها كرامة لخاتم النبيين ﷺ .

وفي قوله تعالى: (إنا أنزلناه في ليلة مباركة)

قالوا: الليلة المباركة هي الذات المقدسة لأم البركات ومباركة الخيرات فاطمة الزهراء عليها السلام وقد رشحت منها المنافع الخيرية وكليات الأمور الدنيوية والأخروية التي شملت العالمين وقال تعالى:

(وهذا كتاب أنزلناه مباركا) قيل: تنزيلها وتأويلها في فاطمة عليها السلام الجامعة لعلوم الأولين والآخرين وقد استفاض منها العلماء في كل عصر ونهلوا من خيراتها في كل زمان .

والشاهد الآخر على المراد قول عيسى عليه السلام:(وجعلني مباركا) وهو صريح في أن وجوده المقدس كان معدن الخيرات ومنبع البركات .

فالسيدة الصديقة الطاهرة سادت في هذا اللقب والوصف عيسى ويحيى، فهما مباركان وفاطمة ﷺ مباركة، تبريك إنما نعت هذان النبيان بالبركة بلحاظ ما يناسب الأنبياء من الإفاضات العلمية وغيرها من الإفاضات التي تناسب مهمتهم، أما الصديقة الكبرى فالمطلوب منها بغض النظر عن بركاتها وفيوضاتها الأخرى كثرة النسل وازدياد الذرية وهو أمر ممدوح في النساء (الولود وكثيرة الخلف) والحمد لله على ذلك فهذه ذريتها الطاهرة تملأ الآفاق وتنشر في أطراف الأرض بعدد ذرات الهواء (كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) .

والبركة هي النماء والزيادة وهو الخير الكثير والذي يأتي من قبلها ولقد بارك الله سبحانه وتعالى في السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء ﷺ فكان فيها تعدد البركات وجعل فيها ذرية اشرف الانبياء والمرسلين وخاتمهم محمد ﷺ وقد جعل من نسلها الخير الكثير وقد وصفها القرآن بالكوثر، فهي أم الائمة الاطهار ومنها الذرية المباركة الطاهرة للرسول الاكرم ﷺ حيث فاقت ذريته كل الذريات الاخرى .

رابعا: الطاهرة

وهذا من أحب وأجمل أسماؤها ﷺ لما يحمل في أكنافه من المعاني الغائصة والابعاد الجميلة ويمكن استخراجها من آيات القرآن الحكيم واستعمالاتها في الكلام المعصومين وهناك سنجد فيها معاني شريفة ومنها:

١- المطهرة من الأدناس والأرجاس في روحها فهي المعصومة الممتنعة بالله عن محارم الله عز وجل وفي بدنها فليست ترى حمرة الطمث ولا يمتنع عليها دخول المسجد جنبا وقد كان منعه رسول الله ﷺ عن جميع الرجال والنساء وأمر بسد الأبواب الشارعة في ذلك المسجد عدا باب علي وفاطمة..

في الحديث عنه ﷺ: (ألا أن مسجدي حرام على كل حائض من النساء وكل جنب من الرجال إلا على محمد وأهل بيته علي وفاطمة والحسن والحسين).

٢ـ المطهرة في سلالة الآباء والأمهات من الشرك بالله عز وجل فمما يعمهم جميعا صلوات الله عليهم ما يقرأ في الزيارة:(نورا في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة) وقد كان هذا للصديقة مريم العذراء فعن أبي جعفر عليه السلام في تفسيرقوله تعالى: (وإذْ قالتِ الْملائكَةُ يا مَرْيَمُ إنّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهّرَكِ واصْطَفَاكِ عَلَى نِساءِ الْعالَمِينَ). قال عليه السلام: وطهرها من أن يكون في ولادتها من آبائها وأمهاتها سفاحا.

٣ـ المطهرة لنداء الملائكة الكرام لها بذلك شأنها شأن مريم بنت عمران ولا أفصح في ذلك من آية التطهير المباركة قال عز اسمه:

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً).

وهو ما تواتر عن طريق الفريقين من المؤالف والمخالف نزوله فيهم عليهم السلام وفيهم الزهراء عليها السلام.

وفي خبر العلل بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: (أنما سميت فاطمة عليها السلام محدثة لأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران ..فتقول يافاطمة إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين).

وفي أمالي الصدوق باسناده إلى النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في شأن ابنته فاطمة:

(وأنها لتقوم في محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين وينادونها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون: يافاطمة إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين).

ولا يشك مؤمن بعد تلك الأحاديث الكثيرة التي قرنت السيدة فاطمة بالسيدة مريم في كثير من الحالات أن فاطمة مستحقة لهذه المقامات بل إن فاطمة الزهراء أفضل من أختها مريم، يعلم ذلك من خلال النظر في الآثار والمأثورات الكثيرة عن رسول رب العالمين صلى الله عليه وآله مما روي لدى الفريقين وإلا فمجرد المقارنة بينهما لمرة واحدة أو لمرات

لا يدل على تساوي الفضيلة فقد قرن بين أربع من النساء مريم وكلثم او خديجة وآسية وفاطمة ولا يقول أحد من علماء المسلمين بتساويهن في الدرجة.

وهكذا لقبت فاطمة الزهراء ﷺ بالطاهرة لطهارتها من كل دنس وكل خبث، بل انها ما رأت قط يوما حمرة من نفاس او حيض كما جاء عن الامام الباقر ﷺ وكما قال عنها ﷺ :(ابنتي فاطمة حوراء ادميه لم تحض ولم تطمث وانما سماها فاطمة لان الله فطمها ومحبيها من النار)

وقد شهد القرآن الكريم بطهارتها من الدنس في اية التطهير.. (إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً).

خامسا: الزكيّة

في معنى الزكية هذا اللقب المبارك يدل على طهارة الذات المباركة لفاطمة الزهراء ﷺ وهي من صفات المعصومين ﷺ وفي بعض النسخ (زاكية) بدل زكية والجمع أولى، قال تعالى في القرآن المجيد عن لسان الروح الأمين في قصة مريم ﷺ : (لأهب لك غلاما زكيا) أي تصدر منه أعمال البر وأفعال الخير دون تقصير في إتيانها وأدائها والتزكية في اللغة بمعنى التطهير وإنما سميت الزكاة زكاة لأنها تطهر الأموال.

وقال المفسرون في قوله تعالى: (قد أفلح من زكاها):

التزكية التطهير من الأخلاق الذميمة الناشئة من الغضب والحسد والبخل وحب الجاه وحب الدنيا والكبر والعجب، فمن عالج هذه الأمراض بالأعمال الصالحة صارت نفسه مطهرة مزكاة وقد ورد لفظ (زكية) في القران بالوصف المذكور في خطاب موسى للخضر ﷺ قال تعالى: (أقتلت نفسا زكية) أي طاهرة لم ترتكب جناية توجب القتل وقرأ البعض (زاكية) وفرقوا بين معنى الزاكية وزكية فالأول من لم يرتكب ذنبا من الاساس والثاني من ارتكب ذنبا ثم غفر له والزكاة في اللغة النماء، يقال: زكى الزرع أي نمى وحصل فيه نمو كثير وبركة ومنه تزكية القاضي الشاهد وكذا الصلوات

الزاكية وكذا قوله (ذلك أزكى لكم وأطهر) وعلى أي حال من معاني الزكية: الطاهرة وقد مر معنى الطاهر.

ولعل الفرق بين الطاهرة والزكية في أن الزكية تعني المزكاة والطاهرة ليست كذلك وإنما هي طاهرة مهما بقيت حتى لو لم تزك، فهي منزهة من الأخلاق الرذيلة، بينما الزكية تحتاج إلى تزكية لتكون كذلك وبعبارة أخرى: إن نتيجة التزكية الطهارة والطاهرة هي نفس الطهارة فتكون الطاهرة أوفى وأقوى، فيكون معنى تسمية الزهراء الطاهرة بالزكية، أنها فازت وأفلحت بالزكاة والطهارة الفطرية الذاتية وكانت بعيدة عن الأخلاق الدنية الردية وفازت بكل موجبات النجاة يوم القيامة، قال تعالى:
(قد أفلح من زكاها) أي تزكية النفس . ولكن التزكية على قسمين:

الأول: من جانب الحق تعالى .

والثاني: من جانب الخلق .

أما الأول: فهو هبة وقذف وخلق وفطرة (فطرة الله التي فطر الناس عليها) وهو معنى الطاهر .

وأما الثاني: فهو سعي واجتهاد وكسب، أي أن الملكة الإلهية والقوة العقلية تتغلب مع وجود الملكات المتضادة والقوى الأخرى المنازعة فتقهرالقوى بالأعمال الصالحة والأفعال القوية القاهرة، فهي تحاول ما في وسعها لتنمية قوى الخير وتقويتها بالمثابرة والاجتهاد .

قال علماء الأخلاق: إن النفس تحتاج إلى التزكية من الأهواء الفاسدة والميولات الكاسدة كما تحتاج الأرض المزروعة إلى التطهير من الحشائش والأدغال لتصفو

التربة للبذرة وكما تحتاج الحنطة إلى التصفية والغربلة لتنقى من القش والتزكية بمعنى إظهار الأفعال الصالحة والإقبال على الطاعات المفروضة لا تنافي الطهارة الأصلية بل هي ثمرة لذلك، أي أن كل من جاء بالطهارة الذاتية لا بد أن يكون موصوفا بالتزكية ولا بد أن تظهر منه هذه الآثار .

والفرق الآخر بين الطاهرة والزكية: أن العصمة الكبرى ولدت طاهرة من الأرجاس الأخباث الظاهرية، فقد ورد في حديث طويل:(فوضعت فاطمة طاهرة مطهرة) وقالت سادات الجنان لخديجة:(خذيها طاهرة مطهرة زكية ميمونة) فهذا الوصف خاص بالأخباث الظاهرية بشهادة القرائن الحالية ولكنه إذا استعمل مطلقا بدون قرائن، دل على العموم وشمل الطهارة المعنوية أيضا، أما لفظ الزكية فيدل على الطهارة وتزكية الأخلاق بالنحو المذكور وبناء على ذلك يكون لقب زكية أقوى من الطاهرة وهذا البيان لا يحتاج إلى برهان اوبيان اكثر وذكرنا سابقا أن الزكاة في اللغة بمعنى النماء ولربما سميت فاطمة ﷺ بالزكية لنماء جسدها العنصري وابعادها الحسية، على خلاف العادة المألوفة في بقية الأجساد، فقد روى في حديث المفضل: فكانت فاطمة تنمى في اليوم كما ينمى الصبي في الشهر وتنمى في الشهر كما ينمى الصبي في السنة وفي مصباح الأنوار مثله وفي بحار الأنوار عن دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري عن ابن عباس قال:

لم تزل فاطمة تشب في اليوم كالجمعة وفي الجمعة كالشهر وفي الشهركالسنة إلى آخر الحديث وهذا جواب شاف لمن ينكر حمل فاطمة في سن الحادي عشر، فكأنه لم يقرأ هذا الحديث أو أنه قاس فاطمة على غيرها من النساء والغرض من رواية هذه الأخبار وبيان هذه الآثار أن يعلم أن هيكل العصمة الفاطمية على خلاف الهياكل الأخرى، فيكون ما ذكرناه حينئذ موافقا لاصطلاح اللغويين ومطابقا للأحاديث وإذا كان المراد من (زكية) كثيرة الخير كما ورد في معنى (غلاما زكيا) يكون ما ذكرناه صحيحا أيضا، بل الجمع على العموم أوفى وأصفى .

والزكاة هي النماء والزيادة وقد ورد ذكرها في تسميتها بالمباركة.

ولقد كانت فاطمة الزهراء ﷺ أزكى أنثى عرفتها البشرية والى قيام الساعة .

سادسا: الراضية

أما الراضية: فهذا اللقب الشريف يحكي رضا تلك المقدسة ويحكي عالم الرضوان الأكبر وهو عالم لا يكون إلا للمعصومين ﷺ كما أخبر الحق تعالى في سورة الغاشية:

(وجوه يومئذ ناعمة * لسعيها راضية * في جنة عالية) .

قال بعض العرفاء في تفسير هذه الفقرة من الدعاء: (وخذ لنفسك رضاء من نفسي) أي أرضي نفسي بكل ما ينزل منك ويرد عليها، فإذا صارت النفس راضية، صارت يوم القيامة إلى عيشة مرضية وعلامة النفس الراضية أنها لا تسخط على ما قدره الله لها ولا ترضى من نفسها بالقليل من العمل.

روي في المجمع: (من رضي بالقليل من الرزق، قبل الله منه اليسير من العمل ومن رضي باليسير من الحلال، خفت مؤنته وتنعم أهله وبصّره الله داء الدنيا ودوائها وأخرجه منها سالما إلى دار السلام).

والراضي:

الذي لا يسخط بما قدر عليه ويرضى لنفسه بالقليل وهذا الحديث غاية في الشرف والجلال وأن النفس إذا صارت مطمئنة، بلغت زمان الرجوع إلى الحق والخروج من علائق البدن والتوجه إلى عالم القدس، فهي حينئذ راضية ومرضية وهذا الإرضاء ناشئ من الإطمئنان المودع في النفس والاطمئنان يلي مقام الإيقان وهو راشح من ترقي الملكات الحقة ومعنى الإطمئنان أن العناية التي تحفه في الآخرة يراها بالمشاهدة والعيان في دار الدنيا، أي إن عالم الشهود والكشف لديه في الدنيا والآخرة على نهج واحد وهو معنى ما قاله علي ﷺ:

(لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا).. قال في المجمع: (النفس المطمئنة الآمنة من الخوف والحزن أو المطمئنة للحق تعالى) قال تعالى:

(يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية) ففي التفسير عن أهل البيت عليهم السلام عن الامام الصادق عليه السلام: النفس المطمئنة إلى محمد صلى الله عليه وآله والراضية بالولاية والمرضية بالثواب وادخلي في عبادي: أي محمد وأهل بيته عليهم السلام والخلاصة: إن هذا اللقب غاية في تمجيد فاطمة الصديقة الطاهرة عليها السلام وقد ظهرت صفة الرضا بنحو الكمال في حبيبة ذي الجلال، بل اتحد رضاها برضا الله ورسوله وارتفعت المغايرة وإلا لما قال النبي صلى الله عليه وآله: رضا فاطمة رضاي وسخط لفاطمة سخطي .

وقد استفاد المرحوم المجلسي من هذا الحديث ونظائره عصمة الزهراء عليها السلام وقد نزل في رضا فاطمة آي من الذكر الحكيم في قوله:(ولسوف يعطيك ربك فترضى) وروي في سبب نزولها أنه دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على فاطمة وعليها كساء من ثلة الإبل وهي تطحن بيدها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله لما أبصرها، فقال: يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقد أنزل الله عليّ (ولسوف يعطيك ربك فترضى).

لقد كانت فاطمة الزهراء عليها السلام هي الراضية بما قدّر الله لها ويعتبر الرضا اعلى درجات الايمان بالله تعالى .

وكانت الزهراء راضية قانعة بما قدّر لها من مرارة الدنيا وآلامها ومصائبها وهي الصابرة المحتسبة وما عانت من مظلوميه وهي الممتحنة، فكانت راضية وكما اخبر الله تعالى في سورة الدهر وهي ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه.

وكما قال لها صلى الله عليه وآله: (يافاطمة اصبري على مرارة الدنيا تفوزي بنعيم الابد).

فكانت راضية باليسير من العيش صابرة على شظف الحياة قانعة بالقليل من الحلال راضية بما قدّر الله لها .

سابعا: المرضية

وأما المرضية: وهذا اللقب المبارك يأتي في الذكر الحكيم وفي الروايات ضمن أوصاف النفس المطمئنة، ويذكر بعد الراضية، إلا أنه أشرف وأقوى من حيث ما قاله النيسابوري في تفسيره: إن الراضية هي النفس الراضية والمسلمة لكل المقدرات

الكائنة والأحكام الجارية التي تصلها من الله، أما المرضية: فهي التي رضى الله عنها فصارت مرضية للحق تعالى، ففي الأولى الرضا من العبد، وفي الثانية الرضا من الله والمناط رضا الحق عن العبد، لأن العبد إذا رضي عن الله رضي الله عنه، كما يقال:(رضي الله عنه ورضي عنه) .

وفي مجمع البحرين: الراضية وهي التي رضيت بما أوتيت والمرضية هي التي رضى عنها وإن للنفس خمس مراتب:

الأولى: النفس الأمارة، قال تعالى: (إن النفس لأمارة بالسوء) .

الثانية: النفس اللوامة وقال: (ولا أقسم بالنفس اللوامة) الأولى تتبع الهوى وتأمربالسوء والثانية تلوم على المخالفة وتذعن بالتقصير في الطاعة والإحسان .

الثالثة: النفس المطمئنة وهي الآمنة .

الرابعة: الراضية .

الخامسة: المرضية وذهب بعض إلى القول بالنفس الملهمة التي تنزل عليها الخيرات من الله أو تلهم بواسطة الملك ولربما أخذت من قوله تعالى:(فألهمها فجورها وتقواها) والنفس المطمئنة للسيدة لو لم تكن راضية من الله، لما كانت مرضية عند الله ولما حازت هذا اللقب ومثلها أيضا نفوس الأئمة المعصومين عليهم السلام خصوصا نفس سيد الشهداء الحسين عليه السلام الذي أولوا فيه قوله تعالى: (يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي الى ربك راضية موضية..)

وهي المنزلة الرفيعة والسامية والتي قلما يصل لها العبد وقد رضي الله عنهم وكانوا مرضين عند الله وقد وصف الرسول الاكرم ﷺ ابنته الزهراء البتول ﷺ بان الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها .

ثامنا: المحدّثة (بفتح الدال)

وهو من أعظم وأفضل الألقاب الطيبة لأم الأئمة النجباء فاطمة الزهراء ﷺ وهذه الدرجة السامية والرتبة النامية التي تلي مقام النبوة والإمامة خاصة بالزهراء ﷺ وهي تعني أن صاحب هذا اللقب والمقام يكون ملهما ومؤيدا بالإفاضات الغيبية والعنايات الربانية، حيث تحدثه الملائكة فيسمع أصواتها والظاهر من أخبار الكافي أن من مراتب النبوة قبل البعثة سماع صوت الملك ومعاينة الروح الأمين .

والمحدثة: اسم مفعول أي التي حدثت ولا بد للمحدثة من محدث وكان جبرئيل وغيره من الملائكة يحدثون النبي ﷺ والوصي وفاطمة الزكية ﷺ..

لقد كان لفاطمة الزهراء ﷺ لقاءات لا تحصى مع الملائكة.. وفي حديث مصحف جبرئيل، كانت فاطمة تلتقي جبرئيل خمسة وسبعين يوما أوقات الصلاة المفروضة وتسمع منه الأحاديث والأخبار في ما كان وما هو كائن وكانت تلتقيه من قبل في زمان أبيها كما جاء في الاخبار وفي مرثيتها:

وكان جبرئيل بالآيات يؤنسنا فقد فقدت فكل الخير محتجب

وقد ورد في أوصافها (المحدثة العليمة) ولما كان الحديث عن هذا المطلب الأسنى والمقصد الأعلى بنحو الإطناب لذا سننقل أقوال العلماء أولا، ثم نذكر علائم وصفات المحدثة من الأخبار المعتبرة ثانيا لننهل من فيوضاتها العالية ..

قال المحدث المرحوم الفيض في الوافي: المحدث بفتح الدال وتشديده هو الذي يحدثه الملك في باطن قلبه ويلهمه معرفة الأشياء ويفهم وربما يسمع صوت الملك وإن لم

يرشخصه..وورد في مجمع البحرين في معنى (المحدثين): أي يحدثهم الملائكة وفيهم جبرئيل من غير معاينة وقال شارح أصول الكافي الفاضل المحدث المازندراني (هو الذي يلقى في قلبه شئ من الملأ الأعلى) وقال بعض الأفاضل: هو الذي يحدث ما في ضميره بأمور صحيحة وهو نوع من الغيب، فتظهر على نحو ما وقع له وهي كرامة من الله يكرم بها من شاء من صالح عباده وهو من صفاء القلب فيتجلى فيه من اللوح المحفوظ عند المقابلة بينه وبين القلب ومن كلماتهم أيضا: هو الذي يخلق الله في قلبه الصافي الأمور الكائنة بواسطة الملك الموكل به وقد ينتهي به الاستعداد إلى أن يسمع الصوت ويرى الملك وهذه العبارات الشيقة والمقالات المنيفة مأخوذة من العبارات الباهرة الايات للأئمة المعصومين عليهم السلام المذكورة في الكافي والبصائر، منها: ما روي عن الامام الصادق عليه السلام في وصف المحدث قال: إنه يسمع الصوت ولا يرى الشخص، فقلت له: جعلت فداك كيف يعلم أنه كلام الملك ؟

قال: إنه يعطى السكينة والوقار حتى يعلم أنه كلام ملك، ومنها: ما ورد عن سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:إني وأوصيائي من ولدي كلنا محدثون .

قال سليم: قلت لمحمد بن أبي بكر: وهل تحدث الملائكة إلا الأنبياء ؟

قال: أما تقرأ القرآن: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث ؟

قال: قلت له: أمير المؤمنين عليه السلام محدث هو ؟

قال: نعم وكانت فاطمة محدثة ولم تكن نبية .

وفي حديث الامام أبي جعفر الباقر عليه السلام: فقال نعم وجدنا علم علي عليه السلام في آية من كتاب الله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ..) قلت: وأي شئ المحدث ؟

فقال: ينكت في أذنه فيسمع طنينا كطنين الطست أو يقرع على قلبه فيسمع وقعا كوقع السلسلة على الطست .

وروى هذا المعني في الكافي، ومنتخب البصائر عن الأئمة المعصومين عليهم السلام .

وفي كتاب تأويل الآيات عن الامام علي بن الحسين ﷺ قال للحكم بن عيينة: هل تدري الاية التي كان علي بن أبي طالب ﷺ يعرف قاتله بها ويعرف بها الأمور العظام التي كان يحدث بها الناس ؟ ..

قال: فقلت: لا والله لا أعلم .. قال: هو والله قول الله عز ذكره:(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث) ثم قال: وكل إمام منا محدث..ونظيره الحديث المشهور:(في كل أمة محدثون ومفهمون وإن أوصياء محمد ﷺ محدثون في هذه الأمة) .

وعقد في الكافي بابا خاصا لذلك والتأمل في هذه الأخبار يوضح لنا الفرق بين الرسول والنبي والمحدث، فالمحدث لا رسول ولا نبي والنبي والرسول محدثان، أي أن مرتبة المحدث تلي المرتبتين، أو أنها رتبة من رتب النبوة والرسالة، كما ورد في علل الشرائع للصدوق رحمه الله: (إن فاطمة كانت محدثة) وروي أن سلمان كان محدثا .. فسئل الامام الصادق ﷺ عن ذلك وقيل له: من كان يحدثه ؟

فقال: رسول الله ﷺ وأميرالمؤمنين وإنما صار محدثا دون غيره ممن كان يحدثانه، لأنهما كانا يحدثانه بما لا يحتمله غيره من مخزون علم الله ومكنونه.

ويلاحظ في ذيل الحديث الفرق الفاصل بين سلمان وغيره حيث كان سلمان يحدث عن إمامه والإمام يحدث عن الله سبحانه لأنه حجة الله (ولا يحدث عن الله إلا الحجة).

وقد يستبعد هذا البيان مع ما مرسابقا ولكن يمكن الجمع بينهما بأن يقال أن أميرالمؤمنين ﷺ كان يؤكد ما يحدث به جبرئيل أو الملك.

وروى شيخ الطائفة في الأمالي عن الامام الصادق ﷺ قال: كان علي ﷺ محدثا وكان سلمان محدثا.. قال: قلت: فما آية المحدث ؟

قال: يأتيه ملك فينكت في قلبه كيت وكيت.. والواضح من هذه الأخبار أن تحديث الملك فيض خاص وعلم مخصوص للمحدث دون سواه وهذه الإفاضة (أي النكت بالسمع والقذف في القلب) تكون للاستعداد والقابلية الكاملة الموجودة في المحدث خاصة، وهذا الاستعداد والقابلية موهبة رحمانية ومكرمة ربانية ولذا قيل في سلمان: (سلمان

منا أهل البيت) فإذا كان سلمان كذلك فلماذا لا تكون فاطمة الزهراء من أهل البيت عليها السلام والحال أنهم قالوا إن آية التطهير تشمل زوجات النبي عامة وأصروا على هذه العقيدة الخاطئة في مؤلفاتهم مع أن النبي صلى الله عليه وآله قال مرارا (فاطمة مني وأنا من فاطمة) وعلى أية حال فإن هذا القلب النبيل والوصف الجميل من شرائف أوصاف السيدة الكريمة وأفضل ألقابها وكثيرا ما كان يجري على لسان النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين عليهم السلام وهو يحكي كمال المخدرة الكبرى في العلم .

وروي في بصائر الدرجات في الجزء السابع أن الأئمة يخاطبهم الملائكة المقربون ويسمعون الصوت ويعاينون خلقا أعظم من جبرئيل وميكائيل .

وعن علي بن حمزة عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن منا لمن ينكت في قلبه وإن منا لمن يؤت في منامه وإن منا لمن يسمع الصوت مثل صوت السلسلة في الطست وإن منا لمن تأتيه صورة أعظم من جبرئيل وميكائيل، بل إن علوم الأئمة عليهم السلام تزداد ليل نهار من خلال الإفاضات والنكتات والتقريعات والتوقيرات والقذفات والإلهامات المستمرة بلا نفاد ولا انقطاع كذرات الشمس وأشعتها، تمدهم بالمدد الغيبي وهم يخبرون الناس ويبلغونهم ما يتعلمون .

وسنذكر في خصيصة مستقلة حضور الملائكة بطبقاتهم من جبرئيل وغيره، لنعلم كيف أن فاطمة كانت تتجلى فيها اثار الولاية والمعرفة الكاملة والعلوم الحقة وتأنس بالكرام من الملائكة المقربين وتتلقى العلوم الغيبية وتستفيض وتفيض من خطاباتهم، مع أنها ليست في رتبة الإمامة ولم تكلف بهذا التكليف ويكفينا في هذا الباب الاستشهاد بحديث مصحف فاطمة ولا حاجة إلى شاهد آخر .

ففي الكافي في باب المصحف عن حماد بن عثمان عن الامام الصادق عليه السلام في حديث: جاء فيه.. فأرسل إليها ملكا يسلي غمها ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال لها: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته بذلك، فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كلما سمع، حتى أثبت من ذلك مصحفا، قال: ثم قال: أما إنه ليس فيه شئ من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون .

أما حديث بصائر الدرجات، ففيه بعد ذكر الجامعة والجفر معنى المصحف وفيه تصريح باسم جبرئيل، قال: وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزائها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان علي عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام وروى الصدوق عليه الرحمة في علل الشرائع في ذيل الآية المذكورة قال: مريم لم تكن نبية وكانت محدثة وأم موسى بن عمران كانت محدثة ولم تكن نبية وسارة امرأة إبراهيم قد عاينت الملائكة فبشروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ولم تكن نبية وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كانت محدثة ولم تكن نبية، ثم قال الصدوق رحمه الله:

قد أخبر الله عز وجل في كتابه: بأنه ما أرسل من النساء أحدا إلى الناس في قوله تبارك وتعالى (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم) ولم يقل نساء والمحدثون ليسوا برسل ولا أنبياء . وفي علل الشرائع أيضا عن الامام الصادق عليه السلام: إنما سميت فاطمة عليها السلام محدثة، لأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمة إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقنتي لربك واسجدي..

اذن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت محدثة (بالفتح) ومحدثة (بالكسر) كاملة في غاية الكمال، حيث كانت المستورة الكبرى تحدث أمها وهي في بطنها وقد ذكرنا ذلك في فصل ولادتها ونقتصر هنا على ذكر ما قاله الشيخ عزالدين عبد السلام الشافعي في كتاب (مدائح الخلفاء) بعد أن ذهب إلى تفضيل فاطمة على مريم لأنها تكلمت في بطن أمها وكانت تحدثها وتؤنسها في وحدتها..

كما ان فاطمة عليها السلام كانت تحدثها الملائكة كما كانت الملائكة تحدث مريم وكما قال تعالى:(واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين)..

وقال تعالى (اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم).

وكذلك كلمت الملائكة ام موسى بقوله تعالى: (واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين)..

وكذلك ساره امراة ابراهيم فقال تعالى:

(قالوا اتعجبين من امر الله رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت) .

لذا فان فاطمة ﷺ هي ليست الاولى التي كلمتها الملائكة من النساء وهي سيدة نساء العالمين .

تاسعا: الزهراء:

وهو من الألقاب المشهورة للسيدة فاطمة ﷺ وقد شاع وذاع على ألسنة الناس واشتهر في كتب الأخبارعن الأئمة الأطهار وهو لقب ممدوح، حتى عد من أسمائها ﷺ ويا له من لقب شريف مبارك، وأصله من زهر وزهور: اتقاد النار واشتعالها والزهرة بتحريك الوسط نجم والزهرة بضم وفتح الأول والثاني: نور كل نبات وبالسكون بمعنى البياض ومنه رجل أزهر أي أبيض مشرق الوجه وأم الأزهار كنية الزهراء ﷺ والمراد من الأزهار الأئمة الأطهار عليهم السلام.

والزهرة بفتح الزاي وسكون الهاء بمعنى الزينة والبهجة، قال تعالى: (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا زهرة الحياة الدنيا) فالزهر والزهور بمعنى النور والسطوع والإشراق وصفاء اللون والتلألؤ وعلى ما في المصباح: الأبيض المشرق، زهرالرجل أي أبيض وجهه، مفرده زهرة وجمعه زهر مثل تمر وتمرة واليوم الأزهر يوم الجمعة وبالجملة فهذا اللقب النبيل والوصف الجميل غالبا ما يلازم اسم العصمة الكبرى، حتى في الدعوات والزيارات وهذا يعني أن أئمة الهدى عليهم السلام كانوا يحبون أن تدعى أمهم المخدرة باسم فاطمة الزهراء من بين كل ألقابها وأوصافها الكثيرة الأخرى وذلك لأن هذا الاسم الشريف قارن الكثير من الوقائع والأحداث وله أسباب وعلل كثيرة نذكر بعض منها في هذه الخصيصات وهب كما يلي:

الخصوصية الأولى:

روى المرحوم الشيخ الصدوق رحمه الله في كتاب علل الشرائع عن جابر عن الامام الصادق عليه السلام قال: قلت له: لم سميت فاطمة الزهراء زهراء ؟

فقال: لأن الله عز وجل خلقها من نورعظمته، فلما أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها وغشيت أبصار الملائكة وخرت الملائكة لله ساجدين وقالوا: إلهنا وسيدنا ما لهذا النور ؟

فأوحى الله إليهم هذا نور من نوري أسكنته في سمائي، خلقته من عظمتي، أخرجه من صلب نبي من أنبيائي، أفضله على جميع الأنبياء وأخرج من ذلك النورأئمة يقومون بأمري يهدون إلى حقي وأجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي .

الخصوصية الثانية:

وفي علل الشرائع أيضا: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن فاطمة لم سميت الزهراء ؟

فقال: لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما تزهر نور الكواكب لأهل الأرض .

الخصوصية الثالثة:

في كتاب بحارالأنوار: عن أبي هاشم العسكري: سألت الامام العسكري عليه السلام: لم سميت فاطمة الزهراء ؟

فقال: كان وجهها يزهر لأميرالمؤمنين عليه السلام من أول النهار كالشمس الضاحية وعند الزوال كالقمر المنير وعند غروب الشمس كالكوكب الدري وقد قيل فيها:

خجلا من نور بهجتها تتوارى الشمس بالشفق

وحياء من شمائلها يتوارى الغصن بالورق

الخصوصية الرابعة:

في البحار أيضا عن الحسن بن يزيد قال: قلت لأبي عبدالله ﷺ: لم سميت فاطمة الزهراء ﷺ ؟

قال: لأن لها في الجنة قبة من ياقوت حمراء ارتفاعها في الهواء مسيرة سنة، معلقة بقدرة الجبار، لا علاقة لها من فوقها فتمسكها ولا دعامة لها من تحتها فتلزمها، لها مائة ألف باب، على كل باب ألف من الملائكة، يراها أهل الجنة كما يرى أحدكم الكوكب الدري الزاهر في أفق السماء، فيقولون: هذه الزهراء لفاطمة ﷺ.

الخصوصية الخامسة:

في البحار وغيره من كتب المناقب عن سلمان في حديث طويل:.. فخلق نور فاطمة الزهراء ﷺ يومئذ كالقنديل وعلقه في قرط العرش فزهرت السماوات السبع والأرضون السبع، من أجل ذلك سميت فاطمة الزهراء .

وكانت الملائكة تسبح الله وتقدسه، فقال الله: وعزتي وجلالي لأجعلن ثواب تسبيحكم وتقديسكم إلى يوم القيامة لمحبي هذه المرأة وأبيها وبعلها وبنيها . .

الخصوصية السادسة:

روي في علل الشرائع عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبدالله ﷺ:يابن رسول الله لم سميت الزهراء ﷺ زهراء؟

فقال: لأنها كانت تزهر لأميرالمؤمنين ﷺ في النهار ثلاث مرات بالنور: كان يزهر نور وجهها صلاة الغداة والناس في فرشهم، فيدخل بياض ذلك النور إلى حجراتهم بالمدينة، فتبيض حيطانهم فيعجبون من ذلك، فيأتون النبي ﷺ فيسألونه عما رأوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمة ﷺ فيأتون منزلها فيرونها قاعدة في محرابها تصلي والنور يسطع من محرابها ومن وجهها فيعلمون، أن الذي رأوه كان من نور فاطمة، فإذا نصف النهار وترتبت للصلاة، زهر وجهها ﷺ بالصفرة فتدخل الصفرة حجرات الناس فتصفر ثيابهم وألوانهم، فيأتون النبي ﷺ فيسألونه عما رأوا، فيرسلهم إلى منزل

فاطمة ﷺ فيرونها قائمة في محرابها وقد زهر نور وجهها ﷺ بالصفرة، فيعلمون أن الذي رأوا كان نور وجهها . فإذا كان آخر النهار وغربت الشمس، احمر وجه فاطمة ﷺ فأشرق وجهها بالحمرة فرحا وشكرا لله عز وجل، فكان يدخل حمرة وجهها حجرات القوم وتحمر حيطانهم، فيعجبون من ذلك ويأتون النبي ﷺ ويسألونه عن ذلك فيرسلهم إلى منزل فاطمة ﷺ فيرونها جالسة تسبح الله وتمجده ونور وجهها يزهر بالحمرة، فيعلمون أن الذي رأوا كان من نور وجه فاطمة ﷺ فلم يزل ذلك النور في وجهها حتى ولد الحسين ﷺ فهو يتقلب في وجوهنا إلى يوم القيامة في الأئمة منا أهل البيت إمام بعد إمام ..

ان نكتة زاهرة لا تعارض بين العلل المذكورة والأحاديث المسطورة في تسمية فاطمة ﷺ بالزهراء، بل كلها صحيحة ويمكن الجمع بينها بأن يقال: إن من كانت في بداية إيجاد نورها المبارك تزهر لأهل السماوات والأرضين وما بينهما وخلق من نورها المشرق الموفور بالسرورالقبة الزهرائية بتلك الأوصاف لا يبعد أن تسطع أنوارها الوجودية في عالم الملك صبحا وظهرا وغروبا على أهل المدينة عموما وتزهر لأميرالمؤمنين على وجه الخصوص شمسا وقمرا وكوكبا دريا ومن البديهي أن أميرالمؤمنين ﷺ كان يراها بعين الولاية والمحبة وينظر إليها بعين الباطن والظاهر، فهو يرى ما لا يراه غيره، فتتجلى له على وجه الخصوص بشكل يختلف عما تتجلى به إلى أهل المدينة عامة وبعبارة أخرى: إن أميرالمؤمنين ﷺ كان يرى الشمس والقمر والكوكب الدري بحقائقها، أما الآخرون فيشاهدون شعاع الشمس وضوء القمر.

وهكذا قد يحجب البعض حتى عن رؤية أنوارها ويحرم من مشاهدة شعاعها لعدم توفر الاستعداد والقابلية فيهم لتلقي الأنوارالفاطمية (ولهم أعين لا يبصرون بها) و (إنهم عن لقاء ربهم لمحجوبون) وباختصار: فقد ورد عن أحد فضلاء العصر في محضر من العلماء حيث أجاب عن سبب اختلاف الألوان الباهرة الساطعة من فاطمة الصديقة الطاهرة، فمرة البياض ومرة الصفرة وثالثة الحمرة والأنوار ولا شك ﷺ

والأئمة الأطهار ﷺ لقد كان هذا الأمر مطروحا للبحث والنقاش مدة من زمان وجالت فيه الأنظار والأفكار وللاختصار فان فيه وجهان:

الوجه الأول:

إن التنور بالألوان الثلاثة في الأوقات الثلاثة إشارة إلى اختلاف حالات تلك المطهرة الطاهرة حين العبادة وبعد الفراغ من أداء الفريضة في محرابها:

أما الصبح:

فهو أول طلوع النبي الأعظم وابتداء إشراق الشمس من الأفق، فبياض محيا السيدة الطاهرة يحكي الرحمات الإلهية الخاصة التي أفيضت عليها طيلة الليل من مصدر الرحمة الحقة، والبياض علامة الرحمة وهذه الصفة تشير إلى رجاءها وأملها بقبول العبادات والطاعات السابقة واللاحقة .

أما وقت الظهر:

فهو زمان نزول البركات العامة وهبوط ملائكة الرحمة، والحد الوسط بين الصباح والمساء وفيه الصلاة الوسطى، فكانت آثار الخوف تسطع في جبين سيدة نساء العالمين وتظهر لعيون الملأ المشاهدين وهذا الخوف يعني الحذر من الغفلة عن العبادات والذهول عن الطاعات، لئلا تكون قد قصرت في أداء حق من له الحق، فلم تؤده كما يستحقه،فهل من رجاء في العفو؟ وهل من توفيق للطاعات في الزمن اللاحق؟

والأثر الطبيعي للخوف والخشية هو الإرتعاش والاضطراب واصفرار الوجه، خصوصا في محضر الرب القاهر القادر الحاضر الناظر، إن مناجاته وطلب الحاجة منه مخوف موحش حقا، كما روي عن نساء النبي ﷺ أنهن كن لا يعرفن النبي ﷺ إذا دخل وقت الصلاة، بل هكذا كان كل أئمة الدين والأوصياء المرضيين ﷺ

خصوصا الإمام السجاد ﷺ حيث روي أنه إذا حضرت الفريضة ارتعدت فرائصه واصفر لونه.

أما وقت الغروب:

فهو آخر زمان أداء التكاليف والوظائف اليومية ووقت إقبال الليل والمناجاة مع قاضي الحاجات، للنشاط والانبساط والسرور الذي يعتريها من قبول الطاعات والتوفيق للعبادات لحضرة ذي الجلال، يعني أنها كانت ترى وتلمس بالحس والعيان محبة الله تبارك وتعالى لها، فكانت تتوهج وتهيج في أعماقها المحبة الباطنية التي تلمسها وتعيشها، فتتحرك إلى الله، وآية المحبة والشوق احمرار الوجه وإشراق المحيا، فشرط المحبة الحرارة والإشتعال والتوهج وهذه الحالات الثلاثة جميعها من لوازم العبودية وآثارها ولهذا كانت تتجلى ﷺ في محرابها بهذه الأنوار وتسطع بهذه الألوان المختلفة.

الوجه الاخر:

وورد في تسمية الزهراء ﷺ في الاخبار المستفيضة ومنها خبر عن ابن عباس وفي خبر طويل قال: قال رسول الله ﷺ:

(واما ابنتي فاطمة فانها سيدة نساء العالمين والاخرين وهي بضعة مني وهي نور عيني وهي قرة فؤادي وهي روحي التي بين جنبي وهي الحوراء الانسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربها جل جلاله زهرنورها لملائكة السماء كما يزهرنور الكواكب لاهل الارض).

وورد عن الامام الصادق ﷺ: بانها سميت زهراء لانها اذا قامت في محرابها زهر نورها لاهل السماء كما يزهر نور الكواكب لاهل الارض.

وقد ورد من اسمائها (البتول):

لقد ورد في تسمية فاطمة الزهراء ﷺ بالبتول وذلك لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسبا وقيل لانقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى وفي تاج العروس للزبيدي، لقبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ بالبتول تشبيها لها بمريم في المنزلة عند الله تعالى .

وقد ورد بان النبي ﷺ سُئل عن البتول، وقد قيل له: سمعناك يا رسول الله تقول: مريم بتول وفاطمة بتول، فما ذاك فقال ﷺ:

البتول التي لم تر حمرة قط (اي لم تحض) فان الحيض مكروه في بنات الأنبياء عليهم السلام وفي الواقع فلقد كانت فاطمة الزهراء ﷺ إلى جانب انسانيتها، تحمل صفات الملائكة وصفات الحور العين وكما كانت انسانة، فقد كانت حوراء، أو هي حوراء إنسية ..وقد ورد عن الرسول الاكرم ﷺبانها سميت بالبتول لانها تبتلت من الحيض والنفاس وغيرها مما يتعلق بالنساء .

فاطمة الزهراء والسر المستودع فيها

ان لفاطمة الزهراء ﷺ درجة ومقاما لا يصله نبي ولا وصي ولا ملك مقرب ولا بشر كريم الا سيد الانبياء وخاتمهم محمد ﷺ وعلي والائمة المعصومين عليهم السلام .

ان اعلى درجة يصل اليها العبد في قربه الى الله سبحانه وتعالى هو ان يرضى الله عنه، ولكن الزهراء ﷺ وصلت درجات اعلى من ذلك وهو (ان الله يرضى لرضاها) وكما ورد عن الرسول المصطفى ﷺفي فاطمة (ان الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها) وورد في الحديث القدسي:

(ياحمد لولاك لما خلقت الافلاك ولولا علي لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما)

وورد عن الامام الصادق عليه السلام في معرفة فاطمة ﷺ:

(من عرف فاطمة حق معرفتها فقد ادرك ليلة القدر) ..

قال ﷺفي فاطمة: (فاطمة ابنتي خير أهل الارض عنصرا وشرفا وكرما) .

وقد ورد عن احد الائمة المعصومين عليهم السلام (ان امرنا صعب مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرّب او نبي مرسل او مؤمن امتحن الله قلبه للايمان) .

وفي الاخبار الواردة عن عائشة ان فاطمة ﷺ كانت اذا دخلت على ابيها رحب بها وقام اليها وقبّل يدها واجلسها في مجلسه، أي عظمة واي منزلة لها، فالانبياء يتشرفون ان يُقبّلوا يد الرسول ﷺ فكيف برسول الانسانية يقبّل يد ابنته فاطمة الزهراء ﷺ؟ ولابد من التعرف على بعض مضامين الحديث الشريف ومنها:-

١- ان معنى (كانت اذا دخلت على ابيها رحب بها) تعني الاستمرارية وانها كلما دخلت رحب بها وهذا مايدلل على ان افعال الرسول ﷺحجة وليجعلها سنة لاحترامها ولبيان عظمتها ولكن الصحابة اعتدوا على دارها وهموا باحراقه .

٢- ومعنى (قام اليها) وليس (لها) تعني كان ﷺ يتقدم نحوها في استقبالها وهذا ما لايعمله لغيرها.

٣- وكان ﷺ يأخذ بيدها ويقبل يدها في كل مرة وهذا لم يقوم به ﷺ لغيرها من أهل بيته وحتى نساءه ايضا .

٤- وكان ﷺيجلسها في مكانه وهذا مالا يمكن تصور عظمتها في اجلاسها في مجلسه .
ومن الجدير بالاشارة لما اورده ابن القيم الجوزية في كتابه بدائع الفوائد ما ورد فيه كلام عن ابن عقيل وهو من العلماء الاجلاء المعروفين بقوله حين سأله سائل: ايهما أفضل حجرة النبي ﷺأم الكعبة ؟
فقال ابن عقيل للسائل: اذا اردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل .
فقال السائل وان اردت الحجرة وفيها النبي ﷺ؟
فقال ابن عقيل: فلا والله ولا العرش وحملته ولا جنة عدن ولا الافلاك .. ولا..ولو وزن الكونين لرجح هذا الجسد (وهو جسد الرسول المصطفى ﷺوهو مسجى أي بعد التحاقه بالملئ الاعلى) هذا جسده فما بالك بروحه وما قال ﷺفي فاطمة: (فاطمة

روحي التي بين جنبيّ) وقال: (فاطمة روحي التي بين جسدي) ومن مصاديق السر المستودع في الزهراء ﷺ ومنها:

١- ما ورد في ادعية العلماء المعروفين ومنها: (اللهم اني اسئلك بحق فاطمة وابيها وبعلها وبنيها والسر المستودع فيها) وفي الدعاء الوارد عن ائمة اهل البيت ﷺ بالتوسل بها الى الله (يافاطمة الزهراء يابنت محمد ياقرّة عين الرسول ياسيدتنا ومولاتنا، انا توجهنا واستشفعنا وتوسلنا بك الى الله وقدّمناك بين يدي حاجاتنا، ياوجيهة عند الله اشفعي لنا عند الله)

وهذا مايؤيده حديث الكساء المواتر وما ورد عن عائشة ايضا .. عندما يسأل جبرئيل ربه: يارب ومن تحت الكساء ؟

فقال عز وجل: هم اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، **هم فاطمة** وابوها وبعلها وبنوها ، فقدم الله تعالى فاطمة ﷺ على اصحاب اهل الكساء .

٢- ان الزهراء ﷺ جنبتين سماوية فهي حوراء نطفتها من ثمار الجنة وهي انسانية كباقي البشر .

٣- كانت ﷺ تزهر لعلي ﷺ في الصباح وعند الظهر وعند الغروب فيشع نورها فيسأل أهل المدينة عن ذلك ؟ فيقال لهم انه نور فاطمة ﷺ.

٤- أن السر المستودع فيها هم أهل البيت ﷺ وكما هو معروف أن الائمة ﷺ كلهم من الزهراء ﷺ فهم الأئمة الطاهرون المطهرون فلذا أمرهم واجب الطاعة وحفظهم لأسرارالغيب والعلم وهذا يفسرالقول: (السلام على محال معرفة الله ومساكن بركة الله ومعادن حكمة الله وحفظة سر الله).

فهي امهم وهم يفتخرون بهذا الشئ بل ان الزهراء هي افضل من كثير من الائمة عليهم السلام فهي افضل من الحسن والحسين وباقي الائمة عليهم السلام حتى عدها الرسول كما هو وارد روحه وبضعته ونفسه وغيرها عليها السلام.

٥- أن السر المستودع في الزهراء هوالمحسن عليه السلام فهو جنينها الذي اسقط ظلما على يد شياطين الانس ونحن لا نعلم اجمالا عن هذا الطفل الصغيرأي شئ سوى انه اسقط ولم يعش أي يوم فيكون سرا لا يكشف الا لمن نظر بالعينين لا بالعين اليمنى فقط ولا بالعين اليسرى فقط وانما بعين البصيرة.

٦- ان يكون السر المستودع فيها هو الامام المهدي عليه السلام حيث يكون هو السرالذي اخفى الله حقيقته عن الخلق وجعله ختام المسك للكمال البشري واليه اشارت الكثير من الروايات من ان المهدي هو من ولد الزهراء عليها السلام تاكيدا وتذكيرا بهذا الامر كما قال الرسول الكريم صلى الله عليه وآله (المهدي من عترتي من ولد فاطمة).. فصاحب العصر والزمان هو من ولد السيدة فاطمة وهو الذي سيملئ الأرض قسطاً وعدلاً كما ستملئ ظلماً وجوراً فهو ما إحد الاحتمالات وقد يكون السر المستودع هو ظهور الإمامة والولاية من نسلها:

فمن المعروف أن الإمامة هو من نسل السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

٧- ان يكون السر المستودع فيها هو الولاية وهو ولاية الائمة عليهم السلام وهذه بالحقيقة ليست كما هو معروف من ان الولاية هو خلافة الرسول وكفى بل ما يتعداها الى حقيقة هذه الولاية في عالم الامر حيث ان الولاية من اكثر الامور المعنوية غموضا وان ما نعرفه عنها لا يتعدى القشور.

٨- ان يكون السر المستودع فيها علة الايجاد وهي ما ورد بما مضمون الحديث (اني ما خلقت الكون الا من اجل محمد واني ما خلقتك الا من اجل علي واني ما خلقتكما الا من اجل فاطمة).

فتكون هذه الحقيقة كالاتي (ظاهرها الرسول وباطنها علي وحقيقتها فاطمة) سبحان الله حقيقة لو عرفناها لما احتجنا لغيرها ؟.

٩- بالحقيقة هذه الاطروحة ليست كالسابقات حيث ان السر المستودع فيها هي نفسها الزهراء ﷺ حيث ان لها حقيقة في عالم المعنى مستقلة عن غيرها من الانوار الالهية كما ورد من انها نورا قرب العرش..

فهي لها حقيقة في عالم الباطن حيث الكمال فمثلا لماذا اصبح هذا النور(الزهراء) أمراة وما هو تاثيرها على تكامل النساء ولماذا اختلفت هيئتها التكوينية عن المعصومين ﷺ وما هو تاثيرها على الكمال وفائدتها في هذه النقطة تحديداً..سبحان الله ما خلقت هذا عبثاً.

١٠- ان السر المستودع فيها هو سر الفاطر حيث ان الله شق لها من اسمه الفاطر فاسماها فاطمة فالفاطر هو فاطر السماوات والارض والذي يريد السر فعليه معرفة حقيقة سر اسم الله (الفاطر).

١١- ان سرها في اسمها كما ورد قال: قلت لِمَ سميت فاطمة زهراء فقال: لأن الله عز وجل خلقها من نور عظمته فلما أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها وغشيت أبصار الملائكة وخرت الملائكة لله ساجدين وقالوا إلهنا وسيدنا ما هذا النور فأوحى الله إليهم هذا نور من نوري أسكنته في سمائي من عظمتي أخرجه من صلب نبي من أنبيائي أفضله على جميع الأنبياء واخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمري يهدون إلى حقي واجعلهم خلفائي في ارضي بعد انقضاء وحيي.

١٢- ان الزهراء ﷺ تعني رسول الله وأميرالمؤمنين فهي مظهر النبوة والولاية وهي مجمع النورين: النور المحمدي والنور العلوي وكما ورد في تمثيل نور الله في سورة النوروآيته (اللّه نورالسَّمَاوَات وَالْأَرْض مَثَل نوره كَمشْكَاة)/النور:٣٥، بأنه كالمشكاة وورد في تفسيرها وتأويلها ان المشكاة فاطمة ﷺ وفي هذه المشكاة نور رسول الله وأميرالمؤمنين .

13- وأخيراً قد يكون السرالمستودع هو علومها الربانية:

فهي العالمة غير المعلمة صاحبة العلوم الإلهية ومن المشهور المصحف الذي أعطته السيده فاطمة الزهراء ﷺ أولادها الأئمة ﷺ وتناقلوه فيما بينهم الذي في أجلى العلوم وقد يكون هذا المصحف هو السر الذي لم يطلع عليه إلا أهل البيت ﷺ.

وهكذا تبقى الزهراء ﷺ السر المستودع ولا يمكننا معرفة حقيقة شخصيتها وكما ورد في الاخبار، انما سميت فاطمة لان الخلق فطموا عن معرفتها ..

آثار وأسرار تسبيح الزهراء ﷺ :

وردت الاحاديث المتواترة والمأثورة في فضل تسبيح الزهراء ﷺ ومن المستحبات المؤكدة ولها أهمية خاصة من قبل أئمة أهل البيت ﷺ فقد ورد في الاخبار بان فاطمة ﷺ طلبت من اباها خادما يخدمها في البيت، فقال لها ﷺ:

يافاطمة اعطيك ما هو خير لك من الخادم ومن الدنيا بما فيها، ونحلها التسبيح وقال لها تجرّعي مرارة الدنيا .

وهذا التسبيح هو الآن يسمى بتسبيح الزهراء ﷺ وهو: اربع وثلاثون (الله أكبر) وثلاثة وثلاثون (الحمد لله) وثلاثة وثلاثون(سبحان الله).

وقد ورد في الاخبار المعتبرة بان الاية الكريمة (اذكروا الله ذكرا كثيرا) هو تسبيح الزهراء .

ان تسبيح الزهراء ﷺ هو من العبادات السهلة والبسطية، الاان لها آثار وبركات وفضائل كثيرة .

ورد عن الامام الصادق ﷺ:

(من بات على تسبيح فاطمة ﷺ كان من الذاكرين الله كثيرا) ..

وعن الامام الصادق ﷺ انه قال:

(انّا نأمر صبياننا بتسبيح الزهراء ﷺ كما نامرهم بالصلاة)

وورد عنه ﷺ:

(من سبّح تسبيح فاطمة الزهراء ﷺ قبل ان يثني رجليه من صلاة الفريضة غفرالله له وليبدأ بالتكبير)

وقال الامام الباقر ﷺ:

(ما عبدالله بشئ من التحميد أفضل من تسبيح فاطمة ولو كان شيئ أفضل منه لنحله رسول الله ﷺ فاطمة ﷺ) .

روي ان فاطمة الزهراء ﷺ كانت سبحتها من خيط صوف مفتّل معقود عليه، فكانت تديرها بيدها، تكبّر وتسبّح الى ان قتل حمزة بن عبدالمطلب ﷺ فاستعملت تربته، وعملت التسابيح فاستعملها الناس، فلما استشهد الحسين سيد شباب اهل الجنة ﷺ عُدل بالامر اليه من قبل الناس فاستعملوا تربته الشريفة .

وعن الامام المنتظر عجل الله فرجه انه قال في التأكيد على تربة الامام الحسين ﷺ:

(من نسي الذكر وفي يده سبحة من تربة الحسين ﷺ كتب له أجره)

وعن الامام الصادق ﷺ:

(السبحة التي من قبر الحسين ﷺ تسبّح بيد الرجل من غير ان يسبّح) .

الفصل السادس

فاطمة الزهراء وفدك

وابعادها المختلفة

ان التحدث عن قضية فدك وابعادها وحقيقتها تشمل امورا كثيرة ومتنوعة ولابد من شرح اهم تلك الامور والابعاد والاحداث التي واكبتها وما هي حقيقة فدك وهي على شكل اسئلة:

الامر الاول: ما هي الفدك ؟

الامر الثاني: هل كانت فدك لرسول الله ﷺ خاصة أم للمسلمين عامة ؟

الامر الثالث: هل دفع الرسول الاكرم ﷺ فدكاً إلى ابنته فاطمة الزهراء ؑ نحلة وعطية في حياته أم لا ؟

الامر الرابع: هل يورث رسول الله ﷺ أم لا ؟

الامرالخامس: هل كانت السيدة فاطمة الزهراء ؑ تتصرف في فدك في حياة أبيها الرسول أم لا ؟

الامر الاول: ماهي فدك ؟

فقد ذكر اللغويون أقوالهم في فدك وتعريفها وما هي حقيقتها:

ففي القاموس: فدك قرية بخيبر .

وفي المصباح: فدك (بفتحتين) بلدة بينها وبين مدينة النبي ﷺ يومان وبينها وبين خيبر دون مرحلة وهي مما أفاء الله على رسوله ﷺ.

وفي معجم البلدان للحموي/ باب الفاء والدال: فدك: بالتحريك وآخره كاف.. هي قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبع صلحاً، ذلك أن النبي الاكرم ﷺ لما نزل خيبر وفتح حصونها ولم يبق إلا ثلاث واشتد بهم الحصار أرسلوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن ينزلهم على الجلاء وفعل وبلغ ذلك أهل فدك..فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم فأجابهم لذلك فهو مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله ﷺ.

الامر الثاني: هل كانت فدك لرسول الله ﷺ خاصة أم للمسلمين ؟

لقد كانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ ولابد من توضيح ذلك:

قال تعالى في محكم كتابه المجيد: (وما أفاء الله على رسوله منهم أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير، ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل).. أفاء الله أي رد الله ما كان للمشركين على رسوله بتمليك الله إياه منهم أي من اليهود الذين أجلاهم ..

(فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) أوجف خيله أي أزعجه في السير والركاب هنا - الأبل - والمعنى ما استوليتم على تلك الأموال بخيولكم أي ما ركبتم خيولكم وإبلكم لأجل الاستيلاء عليها ..(ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) أي يمكن الله رسله من عدوهم من غير قتال، بأن يقذف الرعب في قلوبهم، فجعل الله أموال بني النظير لرسوله خالصة يفعل بها ما يشاء وليست كالغنائم التي توزع على المقاتلين .

(ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) أي من أموال كفار أهل القرى (فلله) (وللرسول) أي جعل الله تلك الأموال ملكاً لرسوله (ولذي القربى) يعنى قرابة النبي ﷺ (واليتامى والمساكين وابن السبيل) من القربى.

وروى الطبرسي عن ابن عباس قال: نزل قوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى.) في أموال كفار أهل القرى وهم قريظة وبني النظير وهما بالمدينة وفدك هي في المدينة على ثلاثة أميال وخيبر وقرى عرينة وينبع جعلها الله لرسوله، يحكم فيها ما أراد وأخبر أنها كلها له فقال أناس: فهلا قسمها ؟

فنزلت الآية مدار البحث . وقد مر كلام الحموي بمعجم البلدان حول فدك انها مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكانت خالصة للرسول ﷺ.

الامر الثالث: هل دفع الرسول الاكرم ﷺ فدكاً إلى ابنته فاطمة الزهراء ؑ نحلة وعطية في حياته أم لا ؟

وقد مر ما ذكره المحدثون في تفسير قوله تعالى (وآت ذا القربى حقه) إن النبي ﷺ أعطى فاطمة ؑ فدكاً . فقد ورد عن ابي سعيد الخدري قال:لما نزلت الاية: (وآت ذا القربى حقه) دعا رسول الله ﷺ فاطمة ؑ واعطاها فدكا / رواه السيوطي في الدر المنثوركما رواه الحاكم النيسابوري في تاريخه.

ولابد من المزيد من الأدلة حول موضوع فدك وتأكيداً للبحث فقد ذكر ابن حجر في الصواعق المحرقة والشيخ السمهودي في تاريخ المدينة أن عمر قال: إني أحدثكم عن هذا الأمر: إن الله خص نبيه في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره فقال: (ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير) فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ . . الخ .

الامرالرابع: هل يورث رسول الله ﷺ أم لا ؟

ان المستفاد من مجموعة الأيات والروايات أن فدك كانت لرسول الله ﷺ خالصة وأن النبي ﷺأعطى فاطمة فدكاً بعنوان النحلة والعطية بأمر الله تعالى حيث أمره بقوله تعالى:(وآت ذا القربى حقه) .

الامر الخامس: هل كانت السيدة فاطمة الزهراء ﷺ تتصرف في فدك في حياة أبيها الرسول أم لا ؟

يستفاد من تصريحات المؤرخين والمحدثين أن السيدة فاطمة الزهراء كانت تتصرف في فدك وأن فدك كانت في يدها .

فمنها تصريح الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ في الكتاب الذي أرسله إلى عثمان بن حنيف وهو عامله على البصرة فإنه ذكر فيه. .(بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين ونعم الحكم الله ..).. وذكر ابن حجر في (الصواعق المحرقة) في الباب الثاني: إن أبا بكر انتزع من فاطمة فدك . . الخ ومعنى كلام ابن حجر أن فدك كانت في يد الزهراء ﷺ من عهد أبيها الرسول ﷺ فانتزعها أبو بكر منها .

وقد روى العلامة المجلسي عن كتاب(الخرائج):..فلما دخل رسول الله ﷺ المدينة (بعد استيلائه على فدك) دخل على فاطمة ﷺ فقال: يا بنية إن الله قد أفاء على أبيك بفدك واختصه بها، فهي له خاصة دون المسلمين، أفعل بها ما أشاء وإنه قد كان لأمك خديجة على أبيك مهر وإن أباك قد جعلها لك بذلك وأنحلها لك ولولدك بعدك قال: فدعا بعلي بن أبي طالب فقال: أكتب لفاطمة بفدك نحلة من رسول الله ﷺ. فشهد على ذلك علي بن أبي طالب ومولىً لرسول الله وأم أيمن .

ولما توفى رسول الله ﷺ واستولى أبو بكر على منصة الحكم ومضت عشرة أيام واستقام له الأمر بعث إلى فدك وأخرج وكيل فاطمة بنت رسول الله ﷺ وكانت فدك للسيدة فاطمة الزهراء ﷺ من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول:

لقد كانت الزهراء ﷺ متصرفة في فدك، فلا يجوز انتزاع فدك من يدها إلا بالدليل والبينة . كما ورد عن رسول الله ﷺ: البينة على المدعي واليمين على من أنكر..وما كان على السيدة فاطمة ﷺ أن تقيم البينة لأنها ذات اليد.

لقد ورد ذلك في الروايات الصحيحة بان فدك كانت بيد فاطمة الزهراء ﷺ وكانت تتصرف بها بعهد رسول الله ﷺ خمس سنوات.. ويستدل من ذلك ان الامام علي ﷺ في رسالته لواليه على البصرة عثمان بن حنيف بقوله:

(بلى كانت في ايدينا فدك من كل ما اضلته السماء .. فشحّت عليها نفوس وسخت عنها نفوس قوم اخرين .

الوجه الثاني:

أنها كانت تملك فدك بالنحلة والعطية والهبة من أبيها رسول الله ﷺ وكما اسلفنا .

الوجه الثالث:

أنها كانت تستحق فدك بالإرث من أبيها الرسول ولكن القوم خالفوا هذه الوجوه الثلاثة، فقد طالبوها بالبينة وطالبوها بالشهود على النحلة وأنكروا وراثة الأنبياء .. وبإمكان السيدة فاطمة أن تطالب بحقها بكل وجه من هذه الوجوه .

ولهذا طالبت بفدك عن طريق **النحلة أولاً**، ثم طالبت بها عن طريق **الإرث ثانياً** كما صرح بذلك الحلبي في سيرته قال:إن فاطمة أتت أبا بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ وقالت: إن فدك نحلة أبي، أعطانيها حال حياته . وأنكر عليها أبي بكر وقال: أريد بذلك شهوداً فشهد لها علي، فطلب شاهداً آخر فشهدت لها أم أيمن فقال لها: أبرجلٍ وإمرأة تستحقينها ؟

وذكر الطبرسي في الاحتجاج: فجاءت فاطمة ﷺ إلى أبي بكر ثم قالت: لم تمنعني ميراثي من أبي رسول الله ؟ وأخرجت وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول الله ﷺ بأمر الله تعالى ؟..

فقال: هاتي على ذلك بشهود فجاءت أم أيمن فقالت: لا أشهد يا أبا بكر حتى أحتج عليك بما قال رسول الله ﷺ أنشدك بالله ألست تعلم أن رسول الله قال: أم أيمن امرأة من أهل الجنة ؟..فقال: بلى . قالت: فاشهد أن الله عز وجل أوحى إلى رسول الله ﷺ وأنت ذا

القربى حقه . فجعل فدك لها طعمة بأمر الله تعالى . فجاء علي ﷺ فشهد بمثل ذلك فكتب لها كتاباً ودفعه إليها فدخل عمربن الخطاب فقال: ما هذا الكتاب ؟

فقال: إن فاطمة ادعت في فدك وشهدت لها أم أيمن وعلي، فكتبته لها . فأخذ عمر الكتاب من فاطمة، فتفل فيه فمزقه، فخرجت فاطمة ﷺ تبكي..وفي سيرة الحلبي أن عمر أخذ الكتاب فشقه .

نعود إلى ما ذكره الطبرسي قال: فلما كان بعد ذلك جاء علي ﷺ إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار.. فقال: يا أبا بكر لِمَ منعت فاطمة ميراثها من رسول الله ﷺ وقد مَلكته في حياة رسول الله ؟

فقال أبو بكر:هذا فيء للمسلمين، فإن أقامت شهوداً أن رسول الله جعله لها وإلا فلا حق لها فيه .

فقال علي: يا أبا بكر تحكم بيننا بخلاف حكم الله في المسلمين ؟ ..فقال: لا .

قال: فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه فادعيت أنا فيه من تسأل البينة؟ ..

قال:إياك أسأل. .قال: فما بال فاطمة سألتها البينة على ما في يديها وقد مَلَكته في حياة رسول الله وبعده ولم تسأل المسلمين البينة على ما ادعوها شهودا كما سألتني على ما ادعيت عليهم ؟

فسكت أبو بكر فقال: يا علي دعنا من كلامك، فإنا لا نقوى على حجتك، فإن أتيت بشهود عدول، وإلا فهي فيئ للمسلمين، لا حق لك ولا لفاطمة فيه.

فقال علي ﷺ: يا أبا بكر تقرأ كتاب الله ؟ ..قال: نعم .

قال: اخبرني عن قول الله عز وجل: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً . فيمن نزلت ؟ فينا أو في غيرنا ؟ ..قال: بل فيكم .

قال:فلو شهدوا على فاطمة بنت رسول الله ﷺ بفاحشة ما كنت صانعاً بها؟

قال: كنت أقيم عليها الحد كما أقيم على نساء المسلمين .

قال علي: كنت إذن عند الله من الكافرين ..قال: لِمَ ؟

قال: لأنك رددت شهادة الله بالطهارة وقبلت شهادة الناس عليها، كما رددت حكم الله

وحكم رسوله أن جعل لها فدك وزعمت أنها فيئ للمسلمين وقد قال رسول الله ﷺ : البينةعلى المدعي واليمين على من ادعي عليه .

قال: فدمدم الناس وأنكر بعضهم بعضاً وقالوا: صدق والله علي .

وقد روى العلامة في كشكوله عن المفضل بن عمر عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: لما قام أبو بكر بن أبي قحافة بالأمر نادى مناديه: من كان له عند رسول الله دين أو عدة فليأتني حتى أقضيه ؟

وجاء جابر بن عبدالله وجرير بن عبدالله البجلي وادعى كل منهما على رسول الله ﷺ فأنجز أبو بكر لهما ..فجاءت فاطمة إلى أبي بكر تطالب بفدك والخمس والفيئ فقال: هاتي بينة يا بنت رسول الله، فاحتجت فاطمة عليها السلام بالآيات وقالت: قد صدقتم جابراً بن عبدالله وجرير بن عبدالله البجلي ولم تسألوهما البينة وبينتي في كتاب الله .. وأخيراً طالبوها بالشهود، فبعثت إلى علي والحسن والحسين وأم أيمن وأسماء بنت عميس وكانت تحت أبي بكر (أي زوجة أبي بكر) ..وشهدوا لها بجميع ما قالت .. فقالوا: أما علي فزوجها وأما الحسن والحسين فابناها وأما أم أيمن فمولاتها وأما أسماء بنت عميس فقد كانت تحت جعفر بن أبي طالب فهي تشهد لبني هاشم وقد كانت تخدم فاطمة وكل هؤلاء يجرون إلى أنفسهم.

فقال علي: أما فاطمة فبضعة من رسول الله ومن آذاها فقد آذى رسول الله ومن كذبها فقد كذب رسول الله ..وأما الحسن والحسين فابنا رسول الله وسيدا شباب أهل الجنة ومن كذبهما فقد كذب رسول الله إذ كان أهل الجنة صادقين..

وأما انا فقد قال رسول الله: أنت مني وأنا منك وأنت أخي في الدنيا والآخرة والراد عليك هو الراد علي من أطاعك فقد أطاعني ومن عصاك فقد عصاني .

وأما أم أيمن فقد شهد لها رسول الله بالجنة ودعى لأسماء بنت عميس وذريتها .

فقال عمر: أنتم كما وصفتم به أنفسكم ولكن شهادة الجار إلى نفسه لا تقبل .

فقال علي: إذا كنا نحن كما تعرفون ولا تنكرون وشهادتنا لأنفسنا لا تقبل وشهادة رسول الله لا تقبل فإنا لله وإنا إليه راجعون وإذا ادعينا لأنفسنا تسألنا البينة فما من

معين يعين وقد وثبتم على سلطان الله وسلطان رسوله فأخرجتموه من بيته إلى بيت غيره من غير بينة ولا حجة وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

ثم قال لفاطمة: إنصرفي حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين .

ولما رأت السيدة فاطمة الزهراء ﷺ أن القوم أبطلوا شهودها الذين شهدوا لها بالنحلة ولم تنجح مساعيها، جاءت تطالب حقها عن طريق الإرث واتخذت التدابير اللازمة لتقوم بأكبر حملة دعائية واسعة النطاق وهي تعلم أن السلطة لا تخضع للدليل الواضح والبرهان القاطع، فقد قال الشاعر: وآية السيف تمحو آية القلم .

وكل قوم تحكم فيهم الدكتاتورية فإن المنطق فاشل ولا يجدي فائدة .

وعلى كل حال فللسيدة فاطمة هدف آخر وهو يتحقق قطعاً وهدفها تسجيل مظلوميتها بسجل التاريخ وكشف الغطاء عن أعمال القوم ونواياهم فقررت أن تذهب إلى المسجد وتخطب خطبة تتحقق بها أهدافها الحكيمة.

فدك ومراحل اغتصابها

ورد في معجم البلدان:ان فدك هي قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة. وقد أفاءها الله تعالى على رسوله المصطفى ﷺ في سنة سبع من الهجرة صلحاً..فهي مما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، فكانت خالصة لرسول الله ﷺ.. وكان فيها عين فوّارة ونخيل كثيرة.. بعد أن أصبحت خالصة لرسول الله ﷺ أوحى الله سبحانه وتعالى لنبيه:(فآت ذا القربى حقّه)..فجعل النبي ﷺ فدكاً طعمة لفاطمة ﷺ بأمر الله هذا.

وقد تتابعت عليها الاحداث وعمليات اغتصاب الارض وبالشكل الاتي:

١- كانت فدك بيد فاطمة الزهراء ﷺ وبعهدتها من السنة السابعة من الهجرة النبوية وخلال حياة الرسول الاكرم ﷺ وحتى تولى أبوبكر الخلافة فكانت ﷺ تديرها بواسطة وكيل لها فيها، توزّع ثمارها وما تنتجه على فقراء المسلمين والمحتاجين لمدة خمس

سنوات.

٢ـ لما تولى أبوبكر الخلافة.. فسلبها من الزهراء ﷺ بحجة أنها فيء المسلمين.

٣ـ وهبها معاوية الى مروان بن الحكم ليغيظ بذلك آل الرسول ومعنى ذلك أنها لم تكن قطعة أرض وإنما معناها أكثر قيمة واهمية منها.

٤ـ وهبها مروان الى ابنه عبدالعزيز، فورثها ابنه عمر منه ولما ولي الامر عمر بن عبدالعزيز ردّ فدكاً الى أبناء فاطمة وعلي ﷺ.

٥ـ لما ولي يزيد بن عبدالملك قبضها فلم تزل في أيدي بني أمية حتى ولي أبوالعباس السفاح الخلافة.

٦ـ دفعها أبو العباس السفاح الى ولد علي ﷺ مرة ثانية الى أن ولي الامر المنصور.

٧ـ لما خرج بنو الحسن على المنصور قبض فدكاً منهم. فرجعت بيد بني العباس.

٨ ـ لما استوى الامر للمأمون ردّ فدكاً الى ابناء فاطمة وعلي ﷺ بعد أن استوثق عنها من القضاة في دولته وكتب لهم بذلك كتاباً فقام دعبل الشاعر وأنشد:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا بردّ مأمون هاشم فدكا

ورد ذلك في معجم البلدان والكشاف للزمخشري وتفسير فتح القدير للشوكاني.

ماذا ارادت الزهراء ﷺ من المطالبة بفدك

لقد ارادت الزهراء ﷺ من وراء المطالبة بفدك جوانب كثيرة ومتعددة ولتكشف حقائق وامور قد تكون خافية عن الامة الاسلامية ولتبقى خالدة الى يوم القيامة وكان من اهمها:

أولا:لقد أرادت الزهراء ﷺ استرجاع حقها المغصوب وهذا أمر طبيعي وسليم ووارد لكل إنسان غصب حقه أن يطالب به بالطرق المشروعة .

إن فدكاً من حق الله للسيدة فاطمة ﷺ فبعد ما رجع النبي ﷺ إلى المدينة، نزل الأمين جبرئيل بالآية الكريمة:

(وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ والْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا) / سورة الإسراء: الآية٢٦.. فنزل جبرئيل وقال: إن الله سبحانه يأمرك أن تعطي فدكاً لفاطمة ﷺ فطلبها النبيﷺفأعطاها وهي تصرّفت فيها وأخذت حاصلها وأنفقته على المساكين..

وقد صرّح بالحديث الثعلبي في تفسير كشف البيان والسيوطي في الدرالمنثوركما أخرجه عن الحافظ ابن مردويه من أعلام القرن الرابع والحافظ الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل.. كما جاء في كنز العمال وكذلك في ينابيع المودة للقندوزي عن الثعلبي وعن جمع الفوائد وعيون الأخبار أنه لما نزلت: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) دعا النبي ﷺ فاطمة ﷺ فأعطاها فدكاً وهي كانت تصرفها كيفما شاءت ولكن بعد وفاة رسول الله ﷺأرسل أبو بكر جماعة فغصبوها وتصرّفوا فيها تصرّفاً عدوانياً.

ثانيا:لقد كان الحزب الحاكم قد استولى على جميع الحقوق السياسية والاقتصادية لبني هاشم وألغى جميع امتيازاتهم المادية والمعنوية، فهذا عمربن الخطاب يقول لابن عباس: أتدري ما منع قومكم (أي قريش) منكم بعد محمد ﷺ ؟

كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحا، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت هذا بالنسبة للخلافة..واما بالنسبة للأموال فقد منعوا بني هاشم

فدك والميراث والخمس أي سهم ذوي القربى واعتبروهم كسائر الناس . وكان بنو هاشم وفي مقدمتهم علي ﷺ لا يقدرون على المطالبة بحقوقهم المغصوبة بأنفسهم فجعلت الزهراء ﷺ من نفسها المطالبة بحق بني هاشم وحقها ومدافعة عنهم اعتمادا على فضلها وشرفها وقربها من رسول الله ﷺ واستنادا إلى أنوثتها حيث النساء أقدر من الرجال في بعض المواقف.. ومعلوم أن الزهراء ﷺ إذا استردت حقوقها استردت حينئذ حقوق بني هاشم معها .

ثالثا: لقد استهدفت الزهراء ﷺ من مطالبتها الحثيثة بفدك فسح المجال أمامها للمطالبة بحق زوجها بالامامة والتي نصّبه الله بها ورسوله ﷺ والواقع أن فدك صارت تتمشى مع الخلافة جنبا إلى جنب، كما صار لها عنوان كبير وسعة في المعنى، فلم تبق فدك قرية زراعية محدودة بحدودها في عصرالرسول المصطفى ﷺ بل صارمعناها الخلافة والرقعة الإسلامية بكاملها .. ومما يدل على هذا المعنى هو تحديد الأئمة ﷺ الابعاد الحقيقية لمساحة وحدود فدك، فقد حدها الامام علي ﷺ في زمانه بقوله:

(حد منها جبل أحد، وحد منها عريش مصر وحد منها سيف البحر وحد منها دومة الجندل..) .وهذه الحدود التقريبية للعالم الإسلامي آنذاك .

أما الإمام الكاظم ﷺ فقد حدها لهارون الحاكم بعد أن ألح عليه هارون أن يأخذ فدكا فقال له الإمام ﷺ: ما آخذها إلا بحدودها..قال هارون: وما حدودها ؟

قال: الحد الأول عدن والحد الثاني سمرقند والحد الثالث أفريقيه والحد الرابع سيف البحر مما يلي الخزر وأرمينية ..

فقال له هارون: فلم يبق لنا شئ فتحول في مجلسي، أي أنك طالبت بالرقعة الإسلامية في العصر العباسي بكاملها ..فقال الإمام: قد أعلمتك أني إن حددتها لم تردها .

ففدك تعبير الامرالمهم للخلافة الإسلامية والزهراء ﷺ جعلت فدكا مقدمة للوصول إلى الخلافة، فأرادت استرداد الخلافة عن طريق استرداد فدك . ومما يدل على هذا

تصريحات الزهراء في خطبتها بحق علي وكفاءته وجهاده، فهي القائلة في خطبتها الكبيرة التي ألقتها في مسجد رسول الله ﷺ:

(فأنقذكم الله بأبي محمد بعد اللتيا والتي وبعد أن مني ببهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله أو نجم قرن للشيطان، أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه (أي عليا) في لهواتها، فلا ينكفي حتى يطأ صماخها بأخمصه ويخمد لهبها بسيفه، مكدودا في ذات الله، مجتهدا في أمر الله، قريبا من رسول الله، سيد أولياء الله، مشمرا ناصحا، مجدا كادحا وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون امنون تتربصون بنا الدوائر وتتوكفون الأخبار وتنكصون عن النزال وتفرون من القتال) .

وتقول ﷺ أيضا:(ألا وقد أرى والله أن قد أخلدتم إلى الخفض وبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض) وهو أميرالمؤمنين علي ﷺ..

وكان لإشادة الزهراء ﷺ بفضل علي ﷺ في خطبتها أثر بالغ في نفوس الأنصار حتى هتف قسم منهم باسمه، فاستشعر أبو بكر الخطر من هذه البادرة وشق عليه مقالتها، فصعد المنبر وقال:

(أيها الناس ما هذه الرعة إلى كل قالة، أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله ؟ ألا من سمع فليقل ومن شهد فليتكلم، إنما هو **ثعالة شهيده ذنبه**، مرب لكل فتنة، هو الذي يقول كروها جذعة بعد ما هرمت، يستعينون بالضعفة ويستنصرون بالنساء كأم طحال أحب أهلها إليها البغي، ألا إني لو أشاء أن أقول لقلت ولو قلت لحبت، إني ساكت ما تركت) . ثم التفت إلى الأنصار فقال:

(قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم وأحق من لزم عهد رسول الله أنتم، فقد جاءكم فاويتم ونصرتم، ألا إني لست باسطا يدا ولا لسانا على من لم يستحق ذلك منا) ثم نزل.

قال ابن أبي الحديد: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري وقلت له: بمن يعرض؟

فقال: بل يصرح، قلت: لو صرح لم أسألك، فضحك وقال: بعلي بن أبي طالب .
قلت: هذا الكلام كله لعلي يقوله ؟
قال: نعم، إنه الملك يا بني، قلت: فما مقالة الأنصار ؟
قال: هتفوا بذكر علي، فخاف من اضطراب الأمر عليهم - انتهى .
لهذافلقدادركت الزهراء ﷺ ان تكشف الحقائق للامة ويظهر المستور بالمطابة بفدك..
لقد اتخذت من فدك طريقا للوصول إلى استرداد خلافة علي ﷺ وإلا فما الذي حداها وهي تطالب بميراثها أن تشيد بمواقف الإمام وأحقيته بالخلافة حتى أثارت الأنصار فهتفوا بذكر علي ﷺ؟
وما الذي حدا أبا بكر أن يذكر عليا بسوء في خطبته كقوله:
إنما هو ثعالة شهيده ذنبه، مرب لكل فتنة !.

رابعا:ان فدك بحقيقة الامر كانت ارضا غنية وتمثل سندا قويا لها ﷺ وللامام علي ﷺ ومعارضي خلافة ابو بكر كونها موردا اقتصاديا يدعم موقفهم من الجانب الاقتصادي.
وكذلك من الناحية المعنوية فان توريث فدك للزهراء ﷺ في رأي ابو بكر والحزب الحاكم فانه يُعد ترشيحا لاهل البيت ﷺ بقيادة الامام علي ﷺ كونهم ورثة الرسول الاكرم ﷺ فاراد ابو بكر ازالة ذاك الموضوع المعنوي امام انظار الناس في شأن اهل البيت بعدم توريثهم حقهم المشروع بخلط الامور وباعلان مقولته الشهيرة ان الانبياء لا يورثون ..
لقد أرادت الزهراء ﷺ بمنازعة أبي بكر إظهار حاله وحال أصحابه للناس وكشفهم على حقيقتهم، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإلا فبضعة الرسول المصطفى ﷺ أجل قدرا وأعلى شأنا من أن تقلب الدنيا على أبي بكر حرصا على الدنيا ولا سيما أن النبي ﷺ أخبرها بقرب وفاتها وسرعة لحاقها به ولذا لم ينهها الامام علي ﷺعن منازعة أبي بكر في فدك وهو القائل:
(وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مكانها في غد جدث).

لم تكن الزهراء ﷺ أقل من الامام علي ﷺ بالتقى والزهد في هذه الدنيا الدنيئة. ثم إن عليا ﷺ كان بإمكانه أن يعوض الزهراء عما غصب منها بما يملكه من الأموال ويمنعها من الهوان ..فقد كان مما يملك إرثي البغيبغة وأبي نيزر وهما أكثر قيمة من فدك وقد جعلهما ﷺ قبل وفاته وقفا على الفقراء وكان واردهما السنوي اكثر ٤٧٠ ألف درهم ..كما ويؤكد ذلك ما ورد في الاخبار بان الامام علي ﷺ حمل الزهراء ﷺ على بغلة والمرور بها على دور المهاجرين والأنصار ومطالبتهم بنصرتها مع علمها بخذلانهم، كل ذلك لاطلاع الناس أبد الدهر على حقيقة الأمر وإظهار حال الغاصبين وحال أصحابهم. .

قال ابن أبي الحديد: قلت لمتكلم من متكلمي الإمامية يعرف بعلي ابن تقي من بلدة النيل: وهل كان فدك إلا نخلا يسيرا وعقارا ليس بذلك الخطير ؟

فقال لي: ليس الأمر كذلك، بل كانت جليلة جدا وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن ..(أي في القرن السادس الهجري) وما قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلا ألا يتقوى بحاصلها وغلتها على المنازعة بالخلافة ولهذا أتبعا ذلك بمنع فاطمة وعلي وسائر بني هاشم وبني المطلب حقهم في الخمس، فإن الفقير الذي لا مال له تضعف همته ويتصاغر عند نفسه ويكون مشغولا بالاحتراف والاكتساب عن طلب الملك والرئاسة . وقال الإمام الصادق ﷺ للمفضل بن عمر:

(لما بويع أبو بكر أشار عليه عمر أن يمنع عليا وأهل بيته الخمس والفيئ وفدكا، فإن شيعته إذا علموا ذلك تركوه وأقبلوا إليك رغبة في الدنيا، فصرفهم أبو بكر عن جميع ما هو لهم) . .وثمة سبب أخر وهو إرادة التظاهر بالقوة أمام أهل البيت ﷺ وسد الطريق أمامهم وقطع أي أمل في نفوسهم للوصول إلى غايتهم.

وقال العلامة المجلسي اعلى الله مقامه: إن طلب الحق والمبالغة فيه وإن لم يكن منافيا للعصمة لكن زهدها ﷺ وتركها للدنيا وعدم اعتدادها بنعيمها ولذتها وكمال عرفانا ويقينها بفناء الدنيا وتوجه نفسها القدسية وانصراف همتها العالية دائما إلى اللذات

المعنوية والدرجات الأخروية، لا تناسب مثل هذا الاهتمام في أمر فدك والخروج إلى مجمع الناس والمنازعة مع المنافقين في تحصيله . والجواب عنه من وجهين ..

الأول: أن ذلك لم يك حقا مخصوصا لها، بل كان أولادها البررة الكرام مشاركين لها فيه، فلم يكن يجوز لها المداهنة والمساهلة والمحاباة وعدم المبالاة في ذلك ليصير سببا لتضييع حقوق جماعة من الأئمة الأعلام والأشراف الكرام .. نعم لو كان مختصا بها كان لها تركه والزهد فيه وعدم التأثر من فوته .

والثاني: إن تلك الأمور لم تكن لمحبة فدك وحب الدنيا، بل كان الغرض إظهار ظلمهم وجورهم وكفرهم ونفاقهم وهذا كان من أهم أمور الدين وأعظم الحقوق على المسلمين ويؤيده أنها صلوات الله عليها صرحت في آخر الكلام حيث قال: (قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة ..) وكفى بهذه الخطبة بينة على كفرهم ونفاقهم .

قال المحقق الفاضل الألمعي عبد الزهراء عثمان محمد:

ربما يعترض البعض على موقف فاطمة فيقول: لماذا إذن تقف فاطمة هذا الموقف الصلب في مطالبتها بفدك، فلولم يكن هناك هدف آخر تبتغيه من ورائه، لما طالبت هذه المطالبة الحقيقية به .

ولأجل أن تظهر الحقائق التي دفعت الصديقة فاطمة الزهراء ﷺ للمطالبة بفدك نضع أمامنا النقاط الآتية:

١- إنها ﷺ رأت أن تأميم فدك قد هيأ لها فرصة ذهبية في الإدلاء برأيها حول الحكومة القائمة وكان لا بد لها أن تدلي بتصريحاتها أمام الجماهيروقد هيأت لها قضية فدك هذه الملابسات المناسبة، فحضرت دار الحكومة في المسجد النبوي ﷺ وألقت بتصريحاتها التي لا تنطوي على أي لبس أو غموض .

٢ – تبيان أحقية علي ﷺ في قيادة الأمة بعد الرسول الاكرم ﷺ وقد تجلى ذلك في خطبتها التي ألقتها في مسجد أبيها ﷺ وعلى مسمع ومرأى من المسلمين وبضمنهم الحكومة الجديدة .

خامساً: لقد ارادت الزهراء ﷺ توضيح ابعادا وان تكشف للامة مواضيع مهمة قد تكون خافية على الكثير منهم ونذكر ما رواه العلامة الطبرسي في كتابه الاحتجاج بسنده عن عبدالله بن الحسن (هو عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن طالب ﷺ) باسناده عن آبائه ﷺ :

انه لما أجمع (أي أحكم النية والعزيمة) أبو بكر وعمر على منع فاطمة ﷺ فدكا وبلغها ذلك لاثت (أي لفته) خمارها (الخِمار: المقنعة، سميت بذلك لان الرأس يخمر بها أي يغطى) على رأسها واشتملت (الاشتمال الشيء جعله شاملا ومحيطا لنفسه) بجلبابها (الجلباب: الرداء والازار) واقبلت في لمة [أي جماعة وفي بعض النسخ في لميمة بصيغة التصغير أي في جماعة قليلة] من حفدتها [الحَفَدَة: الاعوان والخدم] ونساء قومها تطأ ذيولها [أي ان اثوابها كانت طويلة تستر قدميها فكانت تطأها عند المشي] ما تخرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ [الخُرم: البرك، النقص والعدول] حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد [أي جماعة] من المهاجرين والانصار وغيرهم، فنيطت [أي علقت] دونها ملاءة [الملاءة الازار] فجلست ثم أنت انة اجهش [اجهش القوم: تهيئوا] القوم لها بالبكاء، فارتج المجلس، ثم امهلت هنيئة حتى اذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم القت خطبتها العصماء والبليغة وبعدها عطفت نحو قبرالرسول المصطفى ﷺ وانشدت ابياتا من الشعر والتي تبين من خلالها امورا كثيرة حدثت بعد التحاق الرسول الاكرم بالرفيق الاعلى وتعبرسلام الله عليهاعنها بانها كثرة البلايا الخطب وكيف ابدت رجال كانوا قريبين من ابيها ﷺ مجلسا وكيف اظهروا حقدهم عليها واستخفوا بها وباهل بيتها وكيف اغتصبوا حقوقها وزوجها واولادها وكيف

انقلبت الامة على اهل البيت عليهم السلام بعد كل توجيهات السماء وتوصيات الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله..

احتجاج الزهراء على ابو بكر بان فدك كانت منحة

يوضح التاريخ بان الزهراء عليها السلام قد احتجّت على ابي بكر عندما اغتصب حقها من فدك عندما اوضحت بانها منحة و هدية النبي صلى الله عليه وآله لها .

وهنا يطرح سؤال، اذا كانت الزهراء وهي بنص القران مطهرة ومنزهة عن كل رجس وليس عندها حب الدنيا، فلماذا هذا الغضب؟

ولماذا خطبت واحتجت ؟ ولماذا ذهبت الى ابي بكر ؟

والجواب:هو ان المسلم لا يظلم ولا يرضخ للظلم، فحين يرى الانسان احدا يريد ان يغصب ماله، فيجب ان يمنعه حتى لو كان يصلي، فحين يرى من يحاول اخذ ماله فيجب عليه ارجاعه وهذا ما عملت به فاطمة الزهراء عليها السلام.

لقد كانت فدك ملكا مطلقا للزهراء ولذا وجب عليها حفظها قدر المستطاع، ثم ان فدك لم يكن للزهراء وحدها، بل ان الرسول صلى الله عليه وآله قال لها:

لك ولذريتك..لذا وجب عليها حفظ حقوق نسلها الطاهرهذا بالاضافة للتعريف بما يجري بالساحة السياسية من امور يجب التعرف عنها جليا .

ويمكن ان نغورأبعد في قضية فدك للتعرف عنها من منظور الزهراء عليها السلام لنصل بالنتيجة بانها ليست مسألة (نحلة) انتزعت من يدها، لأسباب اختلقتها السلطة أو بررتها، بل إن القضية أخطر من ذلك بكثير وابعد، إنها تشكل بادرة خطيرة في حياة الدولة الإسلامية وفي حياة التجربة الإسلامية الوليدة، تلك التجربة وهذه الدولة التي جاهد وناضل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله نضالا مريرا في سبيل إقامتها على شرعة الحق وميزان العدل وأراد لها أن تمتد في أقطار المعمورة وخلال الزمان وعلى مرور الليالي والايام والى قيام الساعة .

إن خطورة تلك القضية تكمن في استعجال (القادة) التي يفترض أنها المسؤولة عن حماية التجربة الاسلامية،استعجالها للحصول على (المكاسب الآنية) ومحاولة الاستحواذ على المراكز القيادية بغض النظر عن الأصول المقررة والنصوص المعتبرة وذلك يعني أول ما يعني فتح الباب واسعا أمام أصحاب المطامع والانتهازين، أو على حد تعبير عائشة زوجة الرسول المصطفى ﷺ:

إن الخلافة حينئذ سينالها البر والفاجر .

ولذلك فإن تصدي الزهراء ؑ لمثل تلك الحالة، إنما كان للحيلولة دون تحقق النتائج الخطيرة والمتوقعة.ومن هنا كان الهدف في إثارة فدك بأبعادها الشمولية وتبصير الأمة قيادات وأفرادا وجماهير بتلك المخاطر الرهيبة التي تنتظرهم في حال الاندفاع بهذا الاتجاه وقد صرحت الزهراء ؑ بذلك قائلة:

(أما لعمر الله لقحت فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوها طلاع العقب دما عبيطا . . هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسسه الأولون ثم طيبوا من أنفسكم نفسا واطمئنوا للفتنة جأشا وأبشروا بسيف صارم وهرج شامل.واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيدا وجمعكم حصيدا . .)

وكذلك اوضحت بما لا يقبل مجالا للشك بان من اغتصب حقها فهو ظالم وهذا لايصح ان يكون اماما للامة ولايحق له ان يخلف الرسول ليكون خليفة للامة وكما ورد في القرآن (لاينال عهدي الظالمين) .

لقد احتجت الزهراء: بان الكل يعلم ان ابي وهبني فدكا، فلماذا اخرجوا عُمّالي منها ؟ وقد ورد في خطبتها وهي تخاطب ابو بكر:

يابن ابي قحافه: أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث ابي ؟ لقد جئت شيئا فريا .

أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، اذ يقول..(وورث سليمان داود).

وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا..(فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب) ..وقال:(وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله)

وقال:(يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين)

وقال:(ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين) .

وزعمتم ان لا حظوة لي..ولاارث من ابي..ولا رحم بيننا ..

أفخصكم الله بأية أخرج ابي منها ؟..

ام هل تقولون ان اهل ملتين لا يتوارثان ؟

اولست انا وابي من اهل ملة واحدة ؟

ام انتم اعلم بخصوص القران وعمومه من ابي وابن عمي ؟

فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله والزعيم محمد ﷺ والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولا ينفعكم اذ تندمون ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم .

ابو بكر يطلب الشهود من صاحبة الحق:

قال ابو بكر لفاطمة الزهراء ﷺ: نريد منك البيّنه ؟

فأت بشاهدين على انها منحة وهدية النبي .

ولقد أحضرت الزهراء عليا والحسن والحسين عليهم السلام وام ايمن (وفي رواية أسماء ايضا) فشهد علي بان رسول الله وهب الزهراء فدكا..كما شهدت ام ايمن ..

وشهد الحسنان وفي رواية اخرى ان اسماء شهدت الاخرى ايضا ..

لقد رد ابي بكر على شهادة علي بانها لاتنفع لانها من مصلحته !..

كما لاتنفع شهادة الحسنين لانهما لم يبلغا سن الرشد!

اما شهادة ام ايمن واسماء فهي ناقصة (شهادة امراتين تعادل شهادة رجل واحد) .

لقد كان رد ابو بكر خارجا عن القياسات العقلية والفقهية والاصول في حكمه اذ كيف يرد شهادة الامام علي عليه السلام وهو عدل القران وقد قال فيه الرسول الكرم ﷺ والذي لا ينطق عن الهوى: (علي مع الحق والحق مع علي) .. فكيف يكذبه ؟

ام كيف يرد شهادة الامامين وسيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين وقد قال فيهما الرسول الاكرم ﷺ بانهما امامان قاما او قعدا وهما لم يبلغا الحلم وقد اقر شهادتهما في مواقف كثيرة ؟

كيف يرد شهادة ام المؤمنين ام سلمة وقد شهد الرسول الاكرم بانها في الجنة فهل تكذب والعياذ بالله على امر من حطام الدنيا الدنيئة ؟

ام كيف يرد شهادة اسماء وهي المراة التقية الطيبة ؟

يتبين من ذلك هنالك مؤامرة كبرى وخطيرة وابطالها كثيرون لتحويل الخلافة من أهل البيت وفي مقدمتهم الامام علي ﷺ حيث الحزب القرشي الاموي لا يرضى ان تكون النبوة والامامة في بيت الرسول الاكرم ﷺ وكذلك حسدهم لاهل البيت ﷺ علي تلك الامتيازات التي خصهم الله تعالى ورسوله وحباهم بها وهي كثيرة ومتنوعة ومنها الخلافة على الامة ..

الزهراء الصديقة الكبرى لا تحتاج الى دليل

لابد من استعراض محاورأخرى في قضية فدك بين فاطمة الزهراء ﷺ وابي بكرلمعرفة ابعاداً اخرى ويمكن ان نلخصها بما يلي:

١- ان طلب ابو بكر شاهدا من الزهراء ﷺ هو خلاف ضروريات وضوابط الدين الاسلامي، حيث تُطلب البينة ممن أدّعى (وهو ابو بكر) وليس ممن يتصرف بالمُلك وهو صاحبه (وهي الزهراء) وهذا يتطلب من ابو بكر ان يأتي بشاهد على ما يقول وليس الزهراء ﷺ .

وهذا يشيرالى ان الزهراء ﷺ كانت صاحبة الحق في التصرف بفدك ومع ذلك فقد جاءت بالشهود لاثبات مصداقيتها .

٢- ان الزهراء ﷺ هي الصّديقة الكبرى وقولها هو الحق، وقد طُلب شاهد على صدقها هو خلاف لما يقوله القران الكريم بانها طاهرة من كل دنس ورجس وعصمها من

الخطأ فلا يمكن أتهامها بالكذب لكي تحتاج الى شهود على صدقها وكما قال تعالى: (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا) .

٣- لقد بيّن الامام علي عليه السلام الحقيقة الناصعة بان فاطمة الزهراء هي الصادقة وان ما نطقت به هو الحق وان ماتصّرف به ابو بكر هو المخالف للقرآن والسّنة الشريفة، عندما قال الامام علي عليه السلام لابي بكر: أخبرني عن قول الله عز وجل

(انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا) فينا نزلت ام في غيرنا نزلت ؟ ..قال ابو بكر: فيكم ..فقال الامام عليه السلام:

فاخبرني لو ان شاهدين من المسلمين شهدا على فاطمة عليها السلام بفاحشه ما كنت تصنع ؟

قال ابو بكر:كنت اقيم عليها الحد كما اقيم على المسلمات .

قال الامام عليه السلام:كنت اذاً عند الله من الكافرين !

قال ابو بكر: ولم ..قال الامام:

لانك تردّ شهادة الله وتقبل شهادة غيره، لان الله عز وجل قد شهد لها بالطهارة .

فبهت ابو بكر وبكى الناس .

٤- لقد رفض ابو بكر شهادة علي عليه السلام وهو نفس الرسول صلى الله عليه وآله كما جاء في اية المباهلة (وانفسنا) فرفض شهادته هو رفض لشهادة النبي وعلي وهذا هو الذي اتفق عليه عامة المسلمين على قول النبي صلى الله عليه وآله بحق علي عليه السلام:(علي مع الحق والحق مع علي يدور حيثما دار) وهذا وحده كاف لاحقية الزهراء في فدك .

٥- عدم مشروعية ما فعله ابو بكر بقوله: بعدم قبول شهادة الحسنين بسبب عدم بلوغهما الحلم، بينما يخالف القران هذا الادعاء بقوله في يحيى وعيسى وهما صغيران:

(يايحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا) و(قال اني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) ..وقال الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله في الحسنين عليهما السلام:

(الحسن والحسين امامان قاما او قعدا) فهما امامان مع صغر سنهما وهما مفترضا الطاعة .

٦- لقد رفض ابو بكر شهادة ام أيمن وقد شهد الرسول المصطفى ﷺ انها من نساء الجنة و هذا وحده كاف على صدقها و عدم رد شهادتها .

٧- لماذا لم يطلب ابو بكر من الزهراء ان تقسم ؟

والان وبغض النظر عن كون الزهراء البتول وعلي والحسنين عليهم السلام هم معصومين بنص القرأن الكريم وانهم عدل القران بنص الرسول المصطفى ﷺ وانهم صادقون كما هو الحال للقران، وقد أخطأ ابو بكر وخالف القران والسنة فان شهادة ام أيمن واسماء وبحكم شاهد واحد فلماذا لم يطلبوا من الزهراء ان تقسم بدل الشاهد الثاني ؟

(كما هي الحال في بقية الدعاوى) ثم يتركون فدكا لها وهذا ما نتركه للقارئ لكي يعطي رايه الصريح في موقف ابوبكر في حكمه .

٨- ورد عن الرسول الاكرم ﷺ باجماع المفسرين قوله في فاطمة:

(من آذى فاطمة فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل)

لقد ورد في كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة قول فاطمة الزهراء عليها السلام لابي بكر وعمر عندما قدما الى بيتها للاعتذار عما حصل فقالت لهما:

(فاني اشُهد الله وملائكته انكما اسخطتماني وما ارضيتماني ولئن لقيت الله لاشكونكما والله لادعون عليكما في كل صلاة اصليها) وهذا ما يبين عظمة وجسامة مظلومية الزهراء عليها السلام من قبل ابو بكر وعمر لها .

٩- روي انه لما توفي الرسول المصطفى ﷺ وجعل أبو بكر بن أبي قحافة نفسه خليفة على المسلمين قام بالأمر فنادى مناديه:

من كان له عند رسول الله دين أو عدة فليأتني حتى أقضيه ؟

وجاء جابر بن عبدالله وجرير بن عبدالله البجلي وادعى كل منهما على رسول الله ﷺ فأنجز أبو بكر لهما فلماذا لم يستجب للزهراء عليها السلام وينجز طلبها بل منعها من فدك وطلب الشهود ولم يطلبها من غيرها؟

١٠ ـ عندما اراد بنو هاشم دفن جثمان الامام الحسن ﷺعند جده رسول الله ﷺ جاءت عائشة ومنعتهم قائلة بانها لن تسمح بدفنه في بيت رسول الله ، فرد عليها ابن عباس:

بان لك التسع من الثمن من ميراث الرسول وتمنعين وتدعين الملكية كلها لك

بقوله لها: تجملت تبغلت وان عشت لك تسع من الثمن وفي الكل تصّرفت

واذاكانت تؤكد عند اباها وتؤيده بان الانبياء لا يوّرثون فلماذا منعت دفن الامام الحسن عند جده المصطفى وكيف سمحت بدفن اباها وكذلك عمر في بيت الرسول ﷺ ؟

ام كيف تتحكم بكل دار الرسول ﷺوكما قال فيها ابن عباس ..وفي الكل تصرفت..وقد اجاد الشاعر الازري وهو يصف تلك الساعة التي مرت على اغتصاب فدك من فاطمة الزهراء ﷺ بقوله:

نقضوا عهد أحمد في أخيه وأذاقوا البتول ما اشجاها

يوم جاءت الى عدي وتيم ومن الوجد ما اطال بكاها

فدنت واشتكت الى الله شكوى والرواسي تهتز من شكواها

قضية فدك في ضوء الظروف الموضوعية

وإذا أردنا أن نفهم المنازعة في قضية فدك بأشكالها وأسبابها على ضوء الظروف المحيطة بها والملابسات التي حدثت وتأثيراتها ونتائجها كان لزاما علينا أن نعرض تلك الظروف عرضا واضحا وبالادلة والشواهد ونسجل صورة واضحة الألوان للعهد الانقلابي بالمقدار الذي يتصل بغرضنا .. ولا أعني بالانقلاب حين نصف عهد ابو بكر بذلك إلا مفهومه الحقيقي المنطبق على تلون السلطة الحاكمة بشكل جمهوري يتقوم بالثورة ويكتسب صلاحياته من الجماعات المنتخبة، ونزعها لشكلها الأول الذي يستمد قوته وسلطته من السماء . فقد كانت تلك اللحظة التي منعت فيها السلطة الحاكمة تطبيق أمر السماء وكانت نقطة التحول في تاريخ الإسلام والتي وضعت حدا لأفضل العهود وأعلنت عهدا آخر نترك تقريضه للتاريخ .

لقد كانت مسألة التحاق الرسول القائد ﷺ بالرفيق الاعلى في اليوم الذي حانت فيه الساعة الأخيرة في تاريخ النبوات التي انتهت بافضل انسان وقد التحق بالرفيق الاعلى. . ففي سيرة ابن هشام توجد رواية تشير إلى ذلك إشارة إلى قوله تعالى:

(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) آل عمران / ١٤٤ .

وعندما نراجع الرواية التي تشير إلى ارتداد الناس وانكفائهم عن الإسلام في حديث الحوض المشهور عن الرسول المصطفى ﷺ:

(أنا فرطكم على الحوض فيؤتى برجال أعرفهم فيُمنعون مني، فأقول أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا لمن بدّل بعدي . . وهذا ما اشار اليه صحيح البخاري كتاب الفتن والكشاف للزمخشري وتاريخ الطبري/ نصوص السقيفة في تاريخ الطبري وما بعدها وفيها:(أن بيعة أبي بكر فلتة) هذا بلحاظ المنظور الفاطمي للقضية برمتها وفي أبعادها وقد عبرت عن ذلك في خطبتها قائلة: إنما زعمتهم خوف الفتنة ثم تلت قوله تعالى: (ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين)/تاريخ الطبري وقول عمر بن الخطاب في قصة الشورى..قالوا: يا أمير المؤمنين لو عهدت عهدا ، فقال: قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأولي رجلا أمركم، هو أحراكم أن يحملكم على الحق وأشار إلى علي) وراجع أنساب الأشراف / البلاذري .

ويظهر أن القيادة فطنت إلى هذا الأمر، فحالت دونه ويظهر من المحاورة التي جرت بين عمر بن الخطاب وابن عباس جلية الموقف وجاء في تاريخ الطبري. .

قال عمر: يا ابن عباس أتدري ما منع قومكم منهم (من بني هاشم) بعد محمد (ﷺ) ؟ قال ابن عباس: فكرهت أن أجيبه، فقلت: إن لم أكن أدري فأمير المؤمنين يدريني، فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحا بجحا ، فاختارت قريش لنفسها فأصابت ووفقت .

فقلت: يا أمير المؤمنين إن تأذن لي في الكلام . . فقال: تكلم يا ابن عباس، فقلت: أما قولك: اختارت قريش فأصابت . . فلو أن قريشا اختارت لأنفسها حيث اختار الله عز وجل لكان لها الصواب بيدها غير مردود . .

أما قولك: كرهوا أن تجتمع النبوة والخلافة فإن الله وصف قوما بالكراهية فقال: (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم)/ سورة محمد / ٩.

نلاحظ الروايات التي تؤكد أن علي بن أبي طالب وصي رسول الله ﷺ ووارثه وخليفته والولي من بعده ..كما ورد ذلك في تاريخ دمشق / ابن عساكر الشافعي وغيره وهكذا انقلبت الامة على اعقابها ونقضت عهد الله ورسوله الاكبر وكمال الدين واتمام النعمة ورضى الله ورسوله بمخافة يوم الغدير بتتويج الامام للخلافة وطاعته ..

اعتراف عائشة بأن فاطمة توفيت وهي غاضبة على أبيها

ورد عن عروة عن عائشة: أن فاطمة ؑ بنت الرسول المصطفى ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر..فقال أبو بكر إن رسول الله ﷺ قال:لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد ﷺ في هذا المال، وإني والله لا أغير شيئا من صدقة رسول الله فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة ﷺ عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله ﷺ ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ ؑ منها شيئا، **فوجدت فاطمة** ؑ على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت. وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر يصلي عليها ../ صحيح البخاري ٥: ١٧٧ كتاب فضائل أصحاب النبي باب غزوة خيبر وكذلك في صحيح مسلم.

أملاك فاطمة الزهراء ؑ

من أملاك فاطمة الزهراء ؑ سبعة بساتين، أعطاها رسول الله ﷺ بأمر من الله عزّ وجلّ تسمّى هذه البساتين بحوائط السبعة والعوالي والحائط:هو الجدار والبستان الذي فيه جدار يسمّى حائطاً وهي: **البرقة والدلال والميثب والصافية والعواف والحسنى ومشربة أمّ إبراهيم** (سمّي بمشربة أمّ إبراهيم لأنّ مارية القبطية ولدت إبراهيم ابن

النبي ﷺ هناك..).

قصّة الحوائط السبعة:

كان مخيريق من أحبار يهود و له أموال كثيرة و بساتين و عندما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، أتى إليه مخيريق اليهودي، فأسلم و حسن إسلامه.

و في معركة أحد خاطب مخيريق قومه اليهود بقوله: يا معشر اليهود و الله إنّكم لتعلمون، أنّ محمّداً نبي و أنّ نصرته لحق، قالوا: إنّ اليوم يوم السبت، قال: لا سبت ثمّ أخذ سلاحه و قاتل حتّى قُتل، فقال رسول الله ﷺ: مخيريق خير يهود.

و قد أوصى مخيريق، حين خرج إلى معركة أُحد: إن أصبت فأموالي لرسول الله ﷺ يضعها حيث شاء و كانت أمواله حوائط سبعة، فأصبحت بعد شهادته خالصة للنبي ﷺ ثمّ أعطاها لابنته فاطمة الزهراء ؑ .

و هذه البساتين ممّا طلبته فاطمة ؑ من أبي بكر، حينما استولى عليها و كذلك سهمه ﷺ بخيبر و فدك . و عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر ؑ.. ألا أُحدّثك بوصية فاطمة قلت: بلى، فأخرج حقّاً أو سفطاً، فأخرج منه كتاباً فقرأه:

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمّد ﷺ أوصت بحوائطها السبعة بالعواف و الدلال و البرقة و المبيت و الميثب و الحسنى و الصافية و مال أُمّ إبراهيم، إلى علي بن أبي طالب، فإن مضى علي فإلى الحسن، فإن مضى الحسن فإلى الحسين، فإن مضى الحسين فإلى الأكبر من ولدي، تشهد الله على ذلك و المقداد بن الأسود و الزبير بن العوام)

وكتب علي بن أبي طالب ؑ: (لعن الله ظالميك ومنكري فضائلك ومظلوميتك يا زهراء).

الفصل السابع

جهاد الزهراء ﷺ

لقد كانت الزهراء ﷺ قطب الرحى في حياة أبيها العظيم حتى أنه كان يسميها بأم أبيها وقد قامت منه مقام البنت والأم فهي تجهد أن تعوضه بحنانها عما افتقده بافتقاد أمها خديجة وهي تسعى أن تكون لرسالته كما كانت أمها من قبل . لم تمنعها حداثة السن عن التعرف إلى جميع مشاكل أبيها وآلامه مهما كانت المشاكل مهمة ومهما كانت الآلام هائلة . لم تضعف ولم تهن ولم تتردد أو تتراجع .

وقد جاء في رواية عن ابن مسعود قال:

بينما رسول الله يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل أيكم يقوم إلى سلى (فضلات) جزور بني فلان فيضعه بين كتفي محمد إذا سجد فانبعث أشقى القوم فأخذه . فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة لطرحته عن ظهره والنبي ساجد لا يرفع رأسه حتى أنطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت وطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تؤنبهم على ذلك .

هذه إحدى الروايات التي تدل على منزلة الصديقة في قلب أبيها ومحلها من دعوته ورسالته وكأنها قد شعرت مع حداثة سنها بأنها مسؤولة عن أن تكون المرأة المخلصة في حياة رسول الله ﷺ فقد واكبت سيرته بكل شجاعة وإقدام . ونحن الآن لا نكاد نتصور مدى ما كانت تتطلبه من شجاعة هي وجميع المسلمات في ذلك العصر . فنحن الآن وبعد أن عمت كلمة الإسلام جميع الأقطار الإسلامية والحمد لله، لا يكاد يجرؤ أحدنا أن يجهر بالكلمة الإسلامية صريحة واضحة . وكانت الزهراء ﷺ قد انصهرت بأفكار الإسلام روحيا وفكريا فقد كانت وهي بنت أعظم رجل عرفه التاريخ وريحانته الغالية والتي كان النبي يدعوها بأم أبيها ويقول: فاطمة بضعة مني من أرضاها فقد

أرضاني ومن أغضبها فقد أغضبني . وكان يقول حينما يقبّلها إني أشم منها رائحة الجنة وهي الحوراء الإنسية، وكانت عنده بمنزلة ما فوقها منزلة. لقد كانت آخر من يراه عند سفره وأول من يلقاه عند رجوعه من السفر . وكانت هي من انحصر فيها نسله صلوات الله عليه ولم يكن رسول الله ﷺ يجهل ذلك . نعم كانت هي هكذا وكانت أكثر من هذا ولكنها ومع كل هذه المميزات الروحية والمعنوية كانت بسيطة في أسلوب حياتها لا تكاد تختلف عن أي امرأة بسيطة، فبيتها متواضع للغاية لا يحوي إلا النزر القليل من الأثاث الضروري الذي لا يمكن الاستغناء عنه . فهي مثال المرأة المسلمة المترفعة عن المواد الدنيوية والصاعدة بروحها وروحياتها إلى أفق الكمال وسماء العصمة والفضيلة . فإن النفس البشرية إذا استنارت بنور الإسلام وإذا نفذت إلى مكنوناتها تعاليمه وحكمه استغنت بمعنوياتها عن كل ما تحتاج إليه النفوس الضعيفة من مقومات لشخصيتها . نعم هكذا كانت فاطمة الزهراء ﷺ وهي ريحانة النبوة وزهرة الهاشميين فتاة ترعرعت في أحضان الأبوة الرحيمة

لقد استرخصت الزهراء ﷺ كل ما تملك في سبيل الله ونصرة دينه ورسوله الاكرم ﷺ ومنذ نعومة اظفارها، فكانت الناصرة لابيها والمسلية له من أذى مشركي قريش، فتقف الى جنبه في ساعات الشدة والمحنة دون أي تردد او شك في عملها البطولي وكان منها تجلدها ومؤازرتها لابيها في محنة الحصار الجائر في شعاب مكة لمدة ثلاث سنوات وهكذا استمرت في جهادها بعد زواجها من أميرالمؤمنين ﷺ المعين لابيها في حياته وفي جهاده، فكانت تطبب ابيها في معركة احد بعدما انهزم المسلمون الا عليا ونفر قليل حيث اصيب ﷺ فكانت تضمد جراحاته وتدخل الطمئنينة والسكينة على قلبه.

الزهراء ودورها السياسي للمطالبة بحقوقها ورفضها للسلطة

ان موقف فاطمة الزهراء البطولي والمتفاني في سبيل الله والدفاع عن الاسلام واصالته بعد التحاق الرسول الاكرم ﷺ بالرفيق الاعلى وكان لها الدورالرئيسي

والفعال في تثبيت وابقاء الدين الاسلامي حيث لم تتوفر تلك الظروف والمواقف حتى للامام أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب ﷺ مع كونه يمتلك كل القدرات والامكانيات واعلى درجات الاخلاص والتفاني في سبيل الله تعالى والشجاعة الفائقة والمعروفة عنه .. الا ان الاوضاع القائمة انذاك لا تسمح له ﷺ ليقف ذلك الموقف الذي وقفته الزهراء ﷺ للتصدي لتلك المؤامرة الكبيرة والارتداد عن طريق الحق ..

لقد كان الامام علي ﷺ بين امرين خطيرين عظيمين اما ان يطالب بحقه بالامامة وهذا يؤدي الى ارتداد الامة وهم حديثي عهد بالاسلام فيتصورون بان قصد الامام هو السلطة والتربع على كرسي الخلافة والملك والرئاسة لان الحزب الحاكم كان يجبره على البيعة لابي بكر او قتله ﷺ وحرق داره وعليه فتراق دماء في هذا الطريق اذا طالب بحقه ولا ياخذه الا بالسيف والقتال ..او ان يسكت عن المطالبة بحقه فيغمد سيفه ﷺ حفاظا على وحدة الامة والحفاظ على الدين الاسلامي من الضياع والتمزق والتشرذم .. وهذا ما فعله الامام علي ﷺ.. فكان لابد من التصدي للمسؤلية من هو بمستوى المسؤلية والبطولة والجراة والشجاعة والصبر والارادة ..فتصدت سيدة النساء فاطمة الزهراء ﷺ وقدمت مشروعها المتكامل والواضح والصريح بالتصدي للحزب الحاكم وعلى رأسهم ابو بكر بن ابي قحافه وقدمت كل ما تملك فداء للاسلام فضحت بنفسها وكسروا ضلعها واسقطوا جنينها المحسن وخرجت من الدنيا شهيدة وهي في بداية عمرها الشريف على مذبح الامامة وهي تدافع عن الحق ودفع الباطل وقد اوضحت الطريق والقت بالحجة الدامغة والبراهين الساطعة .. ولكن كانوا كقول الشاعر:

اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

ان المعركة التي خاضتها الزهراء البتول ﷺ كانت لاثبات الحق وبيان قضية كبرى وهي مسألة اغتصاب الخلافة وتحويل الموضوع من نص بالامامة وفي احاديث كثيرة ومها بيعة الغدير وتحويل الامر الى سقيفة تنتج عنها رائحة المؤامرة للهيمنة على الرئاسة والسيطرة على زمام الامة من قبل الفئة التي تصدت للرسول المصطفى ﷺ

وقالت عنه ..(يهجر.. وغلبه والوجع .. وحسبنا كتاب الله ..ومنع كتابة الوصية .. وغيرها ..).وهكذا تحملت الالام والمصائب والمصاعب ونتج عنها الظلامات الكثيرة والتي سوف نستعرضها في هذا البحث في الفصل التاسع تحت عنوان مظلومية الزهراء ﷺ.

ان الزهراء ﷺ ليست شخصية عادية كباقي المسلمين وانما هي سيدة نساء العالمين من الاولين والاخرين وهي ابنة سيد الانبياء والمرسلين الحبيب المصطفى ﷺ فكان لها الدور الفعال وتحمل هموم الاسلام العظيم وهموم الامة بكل مشاعرها واحاسيسها وهي تشاهد الموقف للامة وانحرافها وما يؤول اليه حال المسلمين ولو كانت الامة تعيش الخلافة الالهية الحقه وكان على رأسها اميرالمؤمين ويعسوب الدين وامام الموحدين ابو الحسنين علي بن ابي طالب ﷺلاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وكما قال تعالى: (ولو ان أهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون).

كما وانها وقفت لا يخالجها شك أمام الامّة لتبين لهم مظلوميتها في حقها المغتصب وفي طيات شكواها ابعادا كثيرة ومتعددة .. ولا يطفح عليها موقفها الرهيب بصبابة من خوف أو ذعرولا يمرعلى خيالها الذي كان جدّيا كل الجد ودون تردد في تصميمها، ولا تساورها هاجسة من هواجس القلق والارتباك وها هي الان في أعلى القمة من استعدادها النبيل وثباتها الشجاع على خطتها الطموح وأسلوبها الدفاعي، فقد كانت بين أمرين لا يتسعان لتردد طويل ودرس عريض، فلا بد لها من اختيار أحدهما وقد اختارت الطريق الاصعب والمتعب من الطريقين الذي يشق سلوكه على المرأة بطبيعتها الضعيفة لما يكتنفها من شدائد ومصاعب تتطلب جرأة أدبية وملكة بيانية مؤثرة، وقدرة على صب معاني الثورة كلها في كلمات وبراعة وفنية في تصوير النقمة ونقد الأوضاع القائمة تصويرا ونقدا يجعلان في الألفاظ معنى من حياة وحظا من خلود، لتكون الحروف جنود الثورة الخيرة وسندها الخالد في تاريخ العقيدة ولكنه

الأيمان والاستبسال في سبيل الحق الذي يبعث في النفوس الضعيفة نقائضها ويفجر في الطبائع المخذولة قوة لا تتعرض لضعف ولا تردد .

ولذا كان اختيار الثائرة لهذا الطريق مما يوافق طبعها ويلتئم مع شخصيتها المركزة على الانتصار للحق والاندفاع في سبيله. .وكانت حولها نسوة متعددات من حفدتها ونساء من قومها كالنجوم المتناثرة يلتففن بها بغير انتظام وهن جميعا يشاركنها في هذا الاندفاع والاتباع وقائدتهن بينهن تستعرض ما ستقدم عليه من وثبة كريمة تهيئ لها العدة والذخيرة وهي كلما استرسلت في استعراضها ازدادت رباطة جأش وقوة جنان وتضاعفت قوة الحق التي تعمل في نفسها واشتدت صلابة في الحركة وانبعاثا نحو الدفاع عن الحقوق المسلوبة ونشاطا في الاندفاع وبسالة في الموقف الرهيب، كأنها قد استعارت في لحظتها هذه قلب زوجها العظيم، لتواجه به ظروفها القاسية وما قدر لها المقدّر الحكيم من مأساة مروعة تهّد الجبل وتزلزل الصعب الشامخ . وكانت في لحظتها الرهيبة التي قامت فيها بدور الجندي المدافع شبحا قائما ترتسم عليه سحابة حزن مرير وهي شاحبة اللون، عابسة الوجه، مفجوعة القلب، كاسفة البال، منهدة العمد، ضعيفة الجانب، مائعة الجسم وفي صميم نفسها وعميق فكرها، المتأملة إشعاعة بهجة وايما عميق في قضيتها وإثارة طمأنينة وقوة وجرأة وعزيمة.. وليس هذا ولا ذاك استعذابا لأمل باسم، أو سكونا إلى حلم لذيذ، أو استقبالا لنتيجة حسنة مترقبة، بل كانت الإشعاعة إشعاعة رضا بالفكرة والاستبشار بالثورة وكانت الطمأنينة ثقة بنجاح، لا هذا الذي نألفه بل على وجه آخر وإن في بعض الفشل الاجل إيجابا لنجاح عظيم وكذلك وقع. فقد قامت أمة برمتها تقدس هذه الثورة العاتية بل تستمد منها ثباتها واستبسالها في هذا الثبات .. ودفعتها أفكارها في وقفتها تلك إلى الماضي القريب يوم كانت موجهات السعادة تلعب بحياتها السعيدة ويوم كان نفس أبيها في وجدانها يصعد ونسمه يهبط .. وكان بيتها قطب الدولة العتيد ودعامة المجد الراسخة المهيمنة على الزمن الخاشع المطيع . ولعل أفكارها هذه ساقتها إلى تصور أبيها ﷺ وهو يضمها إلى صدره الرحيب ويحوطها بحنانه العبقري ويطبع على فمها الطاهر قبلاته التي

اعتادتها منه وكانت غذاءها صباحا ومساء..ثم وصلت إلى حيث بلغت سلسلة الزمن، فيواجهها الواقع العابس وإذا بالزمان غير الزمان وها هو بيتها مشكاة النور ورمز النبوة ومنارة الامامة الحقة والإشعاعة المتألقة المحلقة بالسماء، مهدد بين الفينة والفينة وها هو ابن عمها الرجل الثاني في دنيا الإسلام باب علم النبوة ووزيره المخلص وهارونها المرجى ونفس الرسول المصطفى ﷺ الذي لم يكن لينفصل ببدايته الطاهرة عن بداية النبوة المباركة، فهو ناصرها في البداية وأملها الكبير في النهاية، يخسر أخيرا خلافة رسول الله ﷺ وتقوض معنوياته النورية التي شهدت لها السماء والأرض جميعا وتسقط سوابقه الفذة عن الاعتبار ببعض المقاييس التي تم اصطلاحها في تلك الأحايين

وهنا بكت بكاء شقيا ما شاء الله لها أن تبكي ولم يكن بكاء بمعناه الذي يظهر على الأسارير ويخيم على المظاهر، بل كان لوعة الضمير وارتياع النفس وانتفاضة الحسرات في أعماق القلب على تلك الامة التي نكثت تلك البيعة والولاية لاهل البيت عليهم السلام والتي اعتبر القران الكريم محبتها وطاعتها اجرا لرسالة الرسول الاكرم ﷺ (قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى ..) وختمت طوافها الأليم هذا بعبرتين ندتا من مقلتيها . ثم لم تطل وقفتها، بل اندفعت كالشرارة الملتهبة وحولها صويحباتها حتى وصلت إلى ميدان الصراع، فوقفت وقفتها الخالدة وأثارت حربها التي استعملت فيها ما يمكن مباشرته للمرأة في الإسلام وكادت ثورتها البكر أن تلتهم الخلافة لولا أن عاكسها شذوذ الظرف وتناثرت أمامها العقبات فكان موقفها البطولي والخالد مدرسة للمظلومين وصرخة بوجه الظالمين على مر الزمان والدهور والى قيام الحق .

أجواء الحدث:

تلك هي الحوراء الصديقة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ريحانة النبوة ومثال العصمة وهالة النور المشعة وبقية الرسول المصطفى ﷺ..وهي بين المسلمين في طريقها إلى المسجد وقد خسر ت أبوة بأزهى الأبواب في تاريخ الإنسانية وأفيضها حنانا وأكثرها

إشفاقا وأوفرها بركة . وهذه كارثة من شأنها أن تذيق المصاب بها مرارة الموت أو أن تظهر له الموت حلوا شهيا وأملا نيرا. .وهكذا كانت الزهراء ﷺ حينما لحق أبوها بالرفيق الأعلى وصارت روحه إلى جنان ربها راضية مرضية . ثم لم تقف الحوادث المرة عند هذا الحد الرهيب، بل عرضت الزهراء لخطب آخر قد لا يقل تأثيرا في نفسها الطهور وإيقادا لحزنها وإذ كاءاً لأساها عن الفاجعة الأولى كثيرا وهو خسارة المجد الذي سجلته السماء لبيت النبوة على طول التاريخ ونعني بهذا المجد العظيم سيادة الأمة وزعامتها الكبرى، فقد كان من تشريعات السماء أن يسود آل محمد ﷺ أمته وشيعته، لأنهم مشتقاته ومصغراته وإذا بالتقدير المعاكس يصرف مراكز الزعامة عن أهلها ومناصب الحكم عن أصحابها ويرتب لها خلفاء وامراء من عند نفسه .
وبهذا وذاك خسرت الزهراء ﷺ أقدس النبوات والأبوات وأخلد الرئاسات والزعامات بين عشية وضحاها، فبعثها نفسها المطوقة بآفاق من الحزن والأسف إلى المعركة ومجالاتها ومباشرة الثورة والاستمرار عليها .. كل ذلك ليس لها بل على تلك الامة المرتدة الحائرة في طريقها المظلم والحقيقة التي لا شك فيها أن أحدا ممن يوافقها على مبدئها ونهضتها لم يكن ليمكنه أن يقف موقفها ويستبسل استبسالها في الجهاد إلا وأن يكون أكلة باردة وطعمة رخيصة للسلطات الحاكمة التي كانت قد بلغت يومذاك أوج الضغط والشدة، فعلى الإشارة عتاب وعلى القول حساب وعلى الفعل عقاب، فلم يكن ليختلف عما نصطلح عليه اليوم بالأحكام العرفية وهو أمر قد اتخذته السلطات يومئذ في سبيل تثبيت أساسها وتشييد بنيانها ..

أما إذا كان القائم المدافع بنت محمد ﷺ سيد الاولين والاخرين وسيدة النساء وبضعته وصورته الناضرة، فهي محفوظة لا خوف عليها بلا شك، باعتبار هذه النبوة المقدسة ولما للمرأة بالإسلام عموما من حرمات وخصائص تمنعها وتحميها من الأذى ولهذا تعبئت بكل حماس ورباطة جأش وصمود وقوة وحكمة لتلك الثورة التي هزت الحزب الحاكم وكادت ان تطيح بعرشه الخاوي لولا بعض الظروف التي حالت امامها ولكنها

ادت اهدافها المرسومة بالبراهين الواضحة والادلة الدامغة وكشفت الزيف والاهداف التي ارادها الحزب الحاكم للنيل من أهل البيت وفي مقدمتهم الامام علي عليه السلام.

زمام ومستمسكات الثورة كانت بيد الزهراء عليها السلام

لقد كان بيد الزهراء عليها السلام كل مستمسكات النجاح لموقفها ومنها:

أ ـ خطبة الزهراء عليها السلام وابعادها السياسية

لم تكن خطبة الزهراء عليها السلام لاجل ميراث مادي او نحلة في مسئلة فدك بل كانت اكبر من ذلك بكثير، فلقد كانت اعلانا سياسيا وتظلّما لحق علي عليه السلام حول حقه من الخلافة واظهارا لدوره العظيم لوجوده في الامة.

لقد اعلنت الزهراء عليها السلام رفضها لمبدأ السقيفة واتّبعت عدة اساليب لرفض السلطة الجديده وكان اولها القاء الخطبة امام الملئ، فقدمت الى المسجد ولبست خمارها واشتملت بجلبابها واقبلت في لمّه من النساء والهاشميات ودخلت على شكل احتجاج وتظاهره ضد السلطة الحاكمة والجائرة بحقها وحق زوجها وفي حق الامة باسرها باغتصاب السلطة من اهلها.

فضرب بينها وبين القوم ستروحجاب، فجلست ثمّ أنّت، فأجهش القوم بالبكاء، فارتج المجلس فلما هدأ القوم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله..

فعاد القوم في بكاءهم.. فلما امسكوا عادت في كلامها البليغ والعميق في معانيه وابعاده فقالت:

الحمد لله على ما انعم وله الشكر على ما الهم والثناء بما قدّم من عموم نعم ابتدأها وسبوغ الاء اسداها وتمام منن أولاها جم عن الاحصاء عد دها ونآى عن الجزاء امدها وتفاوت عن الادراك أبدها واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الاخلاص تأويلها وضمّن القلوب موصولها وأنّا في التفكير معقولها واشهد ان ابي

محمدا عبده ورسوله اختاره قبل ان ارسله وسماه قبل ان اجتباه واصطفاه قبل ان بعثه

ثم قالت:

فجعل الله الايمان تطهيرا لكم من الشرك والصلاة تنزيها لكم من الكبر والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق والصيام تثبيتا للاخلاص ..

ثم توجهت الى ابو بكر فقالت ﷺ:يا ابن ابي قحافة:أفي كتاب الله ترث اباك ولا ارث ابي ؟ لقد جئت شيئاً فريّا ..

أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم ؟اذ يقول (وورث سليمان داود) ويقول في يحيى بن زكريا (فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من ال يعقوب ..) وقال(وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله) ..

وقال (يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين)

وقال (ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف) وزعمتم ان لا حضوة لي ولا ارث من ابي ولا رحم بيننا ؟

أفخصّكم الله بآية اخرج ابي منها ؟ ام هل تقولون انا اهل ملّتين لا يتوارثان ؟

اولست انا وابي من اهل ملة واحده ؟ ام انتم اعلم بخصوص القران وعمومه من ابي وابن عمي ؟

ثم رمت بطرفها نحو الانصار فقالت: يا معشر النقيه واعضاد المله وحضنة الاسلام .. ما هذه الغميزة (النقص بالعقل) في حقي والسنة عن ظلامتي ؟

اما كان رسول الله (ﷺ) يقول المرء يحفظ في ولده .. سرعان ما احدثتم وعجلا من ذا اهاله (يخبر قبل وقوع الشيئ) ؟

لقد انهت الزهراء خطابها وقد اوضحت فيه الحق بافضل وابهى صورة واستجوبت الخليفة وفضحت المخططات بالادلة والبراهين الساطعة والقاطعة المحكمة وذكرت حقيقة الخليفة في الاسلام ولقد وضعت ابي بكرفي زاوية حرجة وامام طريق مسدود وبماذا يقول وينطق أمام الامة وامام الله ؟

ب ـ اعلان المقاطعة

لم يتوقف مشروع الزهراء ﷺ البطولي عند خطبتها فحسب بل تجاوزه واستمرت في جهادها واختارت الاعتصام عن الكلام مع ابي بكر واعلنت مقولتها:

(والله لا اكلمك بكلمة ما حييت) .. وقد قال رسول الله ﷺ في حقها:

(فاطمة بضعة مني من آذاها فقد اذاني).

لقد ارادت الزهراء ﷺ ان تعرّف الناس الحقيقة التي يجب ان تعرفها الامة بان اهل البيت هم عيبة علم الله وهم خلفاء رسول الله في ارضه وفي بيوتهم نزل الكتاب بها وهم حجج الله على البرايا وانهم هم الوسيلة وهم ورثة النبي المصطفى ﷺ وهم أحق بالخلافة من غيرهم وبهذا فقد اتبعت اسلوب المقاطعة بعد الاعلان بعدم شرعيتها . .

ومن هنا ارادت الزهراء ﷺ ان تحسس الامة بانها هي سيدة نساء العالمين وانها الصديقة الكبرى وهي لا تعترف بشرعية هذا الحاكم فعلى الامة ان تسئل نفسها من هو امام زمانها ؟

ولقد عبرت عن رفضها لبيعة ابي بكر بمقاطعتها وعدم التكلم معه ومع صاحبه عمر بن الخطاب.. انها أوصت بان لا يحضر تجهيزها ودفنها احد من خصومها وكان هذا الاعلان الاخير الذي اتبعته الزهراء ﷺ امام الامة ولايقاضها من سباتها. .

وقد نجحت في معارضتها لانها بيّنت الحق وايقظت الضمير..فجاءا يعتذران اليها ابو بكر وعمر وقالت لهما:

نشدتكما الله الم تسمعا من رسول الله ﷺ يقول: رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي، فمن احب فاطمة فقد احبني ومن ارضى فاطمة فقد ارضاني ومن اسخط فاطمة فقد اسخطني.. قالا: نعم ..قالت ﷺ: فأني أُشهد الله وملائكته انكما اسخطتماني وما ارضيتماني ولئن لقيت النبي لاشكونكما عنده.

لقد وصلت رسالتها للامة وافهمت الامة بانهما قد آذاها باغتصاب حقها والذي يمثل حق الامامة وينطبق قول الله تعالى عليهم:(والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم) وقوله تعالى: (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخره..) .

ج ـ حديثها ﷺ مع نساء المهاجرين والانصار

لم تتوقف مشروع الزهراء ﷺ بعد للامة في أي جهد تبذله من اجل توضيح الحقيقة وتوضيح احقية علي ﷺ بالخلافة فلقد اوضحت في حديثها مع النساء من المهاجرين والانصارحين زيارتهن لها، فاوضحت لهنّ ان امر الخلافة قد انحرف عن مساره الذي اراده الله سبحانه وتعالى ورسوله المصطفى الاكرم ﷺ وبالادلة القاطعة والبراهين الساطعة وجعلتهم امام المسؤلية ..

د ـ حديثها مع رجال الانصار

يذكرالمؤرخون بان فاطمة الزهراء ﷺ ابدت رأيا سياسيا صريحا وواضحا وهو المعارضه والمقاطعة لاختيار ابي بكر ووقفت الى جنب الامام علي ﷺ واتصلت بالانصار بعد بيعة السقيفه وطلبت منهم ان يبايعوا عليا ﷺلانه هو صاحب البيعة في يوم الغد ير..وقد اخرجها الامام علي ﷺعلى بغلة ليلا الى مجالس الانصار تسالهم النصرة، فقالوا:

يا بنت محمد لقد مضت بيعتنا لهذا الرجل (أي ابو بكر) ولو سبقت الينا لعدلنا عنه/ (كتاب السياسه والامامه لابن قتيبه) وقد تم القاء الحجة عليهم وأعذر من أنذر .

كما ورد في الاخبار المعتبرة بان عليا ﷺ كان يدور بالزهراء ﷺ على بيوت المهاجرين والأنصار لتدافع عن حقه، فهي إذن تريد أن تستفيد من موقعها واحترامها لكسب نصرتهم، فيكف يجرؤ أحد على مهاجمة بيتها ومحاولة حرقه ؟

ولماذا سكتوا ولم يكلموا أبا بكر في هذا الموضوع والهام ؟

وأن إحراق الدارعلى أهل بيت ﷺلا يجوز اطلاقا ولابد من توضيح الحقيقة وهي ان هناك ثلاثة فرقاء كانوا في المدينة وهم كالتالي:

الفريق الاول:فريق لا يمنعه شئ لا الدين ولاالأخلاق ولا المشاعروالأحاسيس الإنسانية من مواجهة أهل البيت ﷺ بالأذى، ولو بإحراق بيوتهم وإحراقهم مع بيوتهم

وكل من يلوذ بهم وهم اصحاب المنافع الشخصية والمصالح المادية وهم الذين لا همّ عندهم الا الحياة الدنيا .

الفريق الثاني: أما فريق آخر يكنّ شيئا من الحب والتقدير لذلك الفريق المظلوم الذي يواجه هذه المصائب الكبيرة ولكنه يحب السلامة، وليس مستعدا للتضحية بشئ من أجله وفي سبيله، بل حتى من أجل الحق والدين الذي يدعوهم إليه . ولا تفيد هذه العوامل مجتمعة (الحب، الاحترام، الدين، المظلومية، الإنسانية) في تحريكه ليتخذ موقفا حاسما تجاه الفريق المهاجم، بهدف الوقوف امام السلطة وعدم الاعتراف بشرعيتها وقد حاول الامام علي والزهراء ﷺ استنهاض وتحريك هذا الفريق بالذات، فلم يمكنهم ذلك ولكن تم القاء الحجة عليهم وقد ضاعت بذلك وصية رسول الله ﷺ.

الفريق الثالث: والفريق ثالث كان يقف إلى جانب الزهراء ﷺ وهو على استعداد للتضحية بكل غال ونفيس في سبيل إحقاق الحق وإبطال الباطل، حيث يجدي الإقدام والمبادرة، وهؤلاء كانوا قلة، كأبي ذر وسلمان والمقداد وعمار وهذه الثلة الطيبة لايمكن القيام بها ضد الحزب الحاكم الذي جند كل شيئ لتثبيت حكومتهم . وكان بعدها الاعتداء على البيت الزهراء ﷺ ومحاولة حرق الدار والاعتداء على الزهراء وبهذا فقد اصبحت الامور واضحة وكالتالي:

أولا: ليس ثمة ما يدل على أن المهاجمين كانوا هم الفريق الذي يحب الزهراء ﷺ دون الفريق الثالث، أو الثاني، بل إنا نرى في فعلهم وهجومهم وممارساتهم دلالة ظاهرة على أنهم هم الفريق الذي لا يحترمها، بل ويبغضها ولا يتورع عن مباشرة إحراق الدار مع كل من يلوذ به وقد تسببوا بذلك بالفعل حين ضربوها وأسقطوا جنينها، فاستشهدت بعدها بسبب من ذلك وإن كانوا يحاولون عدم الجهر بهذا البغض في سائر

أحوالهم واخبارهم السياسية لمداراة للناس، لكي لا يتسبب ذلك في المزيد من ميلهم إلى علي عليه السلام واقتناعهم بمظلوميته وأهل بيته وبأحقية نهجهم .

وخلاصة الأمر: إنه لا معنى للاستدلال على مكانة الزهراء عليها السلام واحترامها لدى الفريق الثاني الذي كان يحب السلامة ولا يريد أن يدخل حلبة الصراع والدفاع عن الزهراء ومكانتها هذا بالضافة لنفوس الفريق المهاجم، الذي لم يتورع عن مهاجمة الزهراء عليها السلام ومواجهتها بالسوء والأذى .

ثانيا: لو كان المهاجمون يحبون الزهراء عليها السلام ويحترمونها ويقدرونها حقا لم يكن ثمة حاجة لأن يدور بها علي عليه السلام على بيوت المهاجرين والأنصار للظفر بنصرتهم ولإقناعهم بالدفاع عن حقه عليه السلام بل كان يكفي أن تواجه عليها السلام المهاجمين أنفسهم وتستخدم نفوذها لديهم ومكانتها في نفوسهم ليتراجعوا أو ليرجعوا من جاء بهم خائبا غير قادر على تحقيق أي مكسب، يخالف رغبة الزهراء عليها السلام أو يسخطها وفي غير ذلك لكن الركون الى الدنيا ومغرياتها ابعدهم من الوقوف بالموقف الحازم والحاسم ضد الحزب الحاكم .

ثالثا: إذا كان هؤلاء الناس يحبون الزهراء عليها السلام فلماذا توفيت وهي هاجرة لهم ولمن جاء بهم ؟ ثم أوصت أن لا يحضر الشيخان ولا أحد ممن ظلمها جنازتها ؟

ودفنت من أجل ذلك ليلا . وبسبب ذلك خفي قبرها على الناس كلهم وهي البنت الوحيدة لرسول الله صلى الله عليه وآله وهي سيدة نساء العالمين من الأولين والاخرين ؟ .

فكيف تقابل حبهم بالجفاء ويأمرهم الله سبحانه وتعالى بحبها وإرضائها عليها السلام وهي تجافيهم وتسخط عليهم من الذي قال لعمر: إن فيها فاطمة ؟

وهناك من يقول: إن الذين اعترضوا على عمر، حين هدد بإحراق بيت الزهراء عليها السلام هم نفس الذين جاؤوا معه ليهاجموا البيت فقالوا له: إن فيها فاطمة، فقال: وإن . واعتراضهم هذا يدل على أن للزهراء محبة في نفوسهم وعلى أنهم يحترمونها

ويجلونها لأن معناه: أن بنت رسول الله ﷺ كانت في البيت فكيف ندخل عليها ونروعها ونخوفها؟ بل تقدم إن هذا البعض يقول: إن المهاجمين الذين جاء بهم عمر كانت نفوسهم مملوءة بحب الزهراء ﷺ فكيف يمكن أن نتصور أن يهجموا عليها ؟

وقبل الجواب ننبه على أمرين مهمين:

أحدهما: قيل إن المعترضين على عمر هم نفس الذين جاء بهم ليهاجم بهم أهل بيت الوحي ﷺ .

الثاني: إن اعتراضهم يدل على مكانة الزهراء ﷺ في نفوسهم . ونحن نجيب على كلا هذين الأمرين، فنقول:

أولا:من الذي قال: إن الذين اعترضوا على عمر هم نفس المهاجمين ؟ وما الدليل على ذلك ؟ فقد كان بيت فاطمة ﷺ في المسجد النبوي نفسه وكان الناس يترددون على المسجد ويتواجدون فيه في معظم الأوقات، وحين هاجموا بيت الزهراء ﷺ (اجتمع الناس ينظرون وامتلأت شوارع المدينة بالرجال) فلماذا لا يكون المعترض على المهاجمين هو بعض هؤلاء المجتمعين لمراقبة ما يجري، أو بعض المؤمنين الطيبين الحاضرين في مسجد النبي ﷺ فإن ذلك هو الأنسب بظاهر الحال، حيث إن ظاهر حال المهاجمين هو أنهم لا يقيمون وزنا للبيت ولا لمن فيه ولا للمسجد ولا لقبر رسول الله ﷺ الذي كان أيضا في بيت الزهراء ﷺ.

ثانيا:لو سلمنا: أن بعض المهاجمين قد قال ذلك ولكن من الواضح أن ذلك لا يدل على أنهم يحترمون الزهراء ﷺ ويجلونها، بل قد يكون هذا الاعتراض مبعثه الخوف من عواقب الإقدام على أمر خطير .

هـ - جهادها ﷺ بالبكاء

لقد استخدمت الزهراء ﷺ في مشروعها الكبيراسلوبا مؤثرا بالامة واشعارها بمظلوميتها وذلك باستخدام البكاء في الليل والنهار على فراق الرسول المصطفى ﷺ ولبيان مظلوميتها وغصب حق زوجها وقد بنى لها الامام علي ﷺ بيت الاحزان المشهورليكون ظلا لها من اشعة الشمس ولكن بكاءها جعلهم يهدموا البيت ويقطعوا الشجرة التي تستضل بها .

لقد بقيت فاطمة الزهراء ﷺ تبكي على ابيها ﷺ وما فتئت تذكره صباحاً ومساءً، حتى شكوا الى أميرالمؤمنين علي ﷺامرها واقترحوا عليها ان تبكي اما ليلا او نهارا . الا انها لمّا سمعت بذلك اشتد بكاؤها ورأت الا ان تبكي على والدها أبدا، حتى تلتحق به واظافت: بانه ما اقل مكثي بين أظهركم ؟

لقد كان لبكاء الزهراء ﷺ الاثرالنفسي والاجتماعي والاخلاقي، كما كان لمنع أهل المدينة مغزى سياسي واضح لمن كان له قلب او الق السمع وهو شهيد .

كذلك كان قصدها هو ان تفضح الذين آذوها وغيّبوا حق بعلها وارتقوا منبر رسول الله ﷺ بغير حق .

لقد كانت الزهراء ﷺ صاحبة الشخصية القوية الصلبة والتي لاتهزها العواصف ولا تآخذها العواطف فكانت كالجبل الشامخ الاشم، فكان بكائها لتحريك الضمائر والنفوس لمعرفة الحقائق وكشف الزيف من جراء خلط الامورمن قبل السلطة الحاكمة فتلفت انظار الامةالى انها هي المخصوصة بالنبي ﷺ وانها ابنته والتي تمثل وعاء النبوة والامامة وهي أم الائمة المعصومين والذين يمثلون الامتداد الطبيعي للنبوة وانها الصديقة الكبرى والانسية الحوراء وبضعة سيد الانبياء وزوجة وصي خاتم المرسلين والانبياء وقد ظلموها حقها وارثها وكسروا ضلعها واسقطوا جنينها وبالتالى فقد جردتها السلطة من حقها ولم يقبلوا بشهادتها وبشهادة وزوجها علي وشهادة سيدي شباب اهل الجنة وبشهادة زوجة الرسول المصطفى ﷺ وهي مظلومية كبيرة وصعبة نتيجة تلك الاحداث المؤلمة والموسفة حقا.

و - وصيتها ﷺ:

كانت وصيتها بان لا يحضر تجهيزها ودفنها احد من خصومها وكان هذا الاعلان الاخير وقد نجحت في معارضتها لانها بينت الحق وايقضت الضمير فجاءا يعتذران اليها في القصة المعروفة، كما وانها قد افهمت الامة بانهما قد آذاها وبهذا ينطبق قول الله تعالى:(والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم)..

وقوله (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة) . .

وكان من وصيتها أن تدفن سرا وان يعفى قبرها وكما قال الشاعر:

ولاي الامور تُدفن سراً بضعة المصطفى ويعفى ثراها

فمضت وهي اعظم الناس شجوا في فم الدهر غصة من جواها

وثوت لا ترى لها والناس مثوى أي قدس يضمه مثواها

الزهراء تكشف الابعاد السياسية وحقيقة الموقف من الخلافة

ان موقف الزهراء البطولي والجهادي كان يمثل الثورة السلمية في طيفها العاطفي وهو طيف متعدد ألوان أوضحها وأجلاها اللون السياسي الغالب على أساليبها وأطوارها . وهو لا يعني بالسياسة الحالية مفهومها الرائج في أذهان الناس هذا اليوم المركز على الالتواء والافتراء والخديعة وإنما نقصد به مفهومها الحقيقي الذي لا التواء فيه ولا انحراف عن جادة الشرع فالمتمعن في دراسة خطوات النزاع وتطوراته والأشكال التي اتخذها لا يفهم منه ما يفهم من قضية مطالبة بأرض، بل يتجلى له منها مفهوم أوسع وابعد من ذلك ينطوي على غرض طموح يبعث إلى الثورة ويهدف إلى استرداد عرش مسلوب وتاج ضائع ومجد عظيم وتعديل أمة انقلبت على أعقابها وكما ورد في القران الكريم:

(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) .

وعلى هذا كانت فدك معنى رمزيا يرمز إلى المعنى العظيم ولا يعني تلك الأرض الحجازية المسلوبة، وهذه الرمزية التي اكتسبتها فدك هي التي ارتفعت بالمنازعة من مخاصمة عادية منكمشة في أفقها، محدودة في دائرها إلى ثورة واسعة النطاق رحيبة الأفق . .

ولو تأملنا ودرسنا المستندات التاريخية الثابتة لتلك المسألة، فاننا لانرى نزاعا ماديا ولا اختلافا حول فدك بمعناها المحدود وواقعها الضيق وابعادها المادية ولا نرى تسابقا على غلات أرض مهما صعد بها المبالغون وارتفعوا .

فليست شيئا يحسب له المتنازعون حسابا ماديا. كلا ثم كلا ، بل هي الثورة على أسس الحكم والصرخة التي أرادت بها فاطمة الزهراء ﷺ أن تقتلع بها الحجر الأساسي الذي بني عليه التاريخ بعد يوم السقيفة . ويكفينا لإثبات ذلك أن نلقي نظرة على الخطبة التي خطبتها الزهراء في المسجد أمام ابي بكر وعمر وبين يدي المحتشدين من المهاجرين والأنصار، فإنها دارت أكثر ما دارت حول امتداح علي والثناء على مواقفه الخالدة في الإسلام وتسجيل حق أهل البيت ﷺ الذين وصفتهم بأنهم الوسيلة إلى الله في عباده وخاصته ومحل قدسه وحجته في ارضه وورثة أنبيائه في الخلافة والحكم . وتحسيس المسلمين بحظهم العاثر واختيارهم المرتجل وانقلابهم على أعقابهم وورودهم غير شربهم وإسنادهم الأمر إلى غير أهله والفتنة التي سقطوا فيها والدواعي التي دعتهم إلى ترك الكتاب ومخالفته فيما يحكم به في موضوع الخلافة والإمامة .

فالمسألة إذن ليست مسألة ميراث ونحلة إلا بالمقدار الذي يتصل بموضوع السياسة العليا، وليست مطالبة بعقار أو دار، بل هي في نظر الزهراء ﷺ:(مسألة إسلام وكفر ومسألة إيمان ونفاق ومسألة نص وشورى واحقاق الحق وازهاق الباطل) . .

وكذلك نرى هذا النفس السياسي الرفيع في حديثها مع نساء المهاجرين والأنصار، إذ قالت فيما قالت:

(أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الروح الأمين والطبين بأمر الدنيا والدين ألا ذلك هو الخسران المبين وما الذي نقموا من أبي الحسن، نقموا

والله نكير سيفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله، تالله لو تكافؤوا عن زمام نبذه إليه رسول الله ﷺ لاعتلقه وسار إليهم سيرا سجحا لا تكلم خشاشه ولا يتعتع راكبه ولأوردهم منهلا نميرا فضفاضا تطفح ضفاضه ولأصدرهم بطانا قد تحير بهم الرأي غير متحل بطائل إلا بغمر الناهل وردعه سورة الساغب ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون، ألا هلم فاستمع وما عشت أراك الدهر عجبا وإن تعجب فقد أعجبك الحادث إلى أي لجأ استندوا وبأي عروة تمسكوا، لبئس المولى ولبئس العشير ولبئس للظالمين بدلا . استبدلوا والله الذنابى بالقوادم والعجز بالكاهل فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون .. ويحهم (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون) . .

ولم يؤثر عن نساء النبي ﷺ أنهن خاصمن أبا بكر في شئ من ميراثهن، أكن أزهد من الزهراء في متاع الدنيا وأقرب إلى ذوق أبيها في الحياة ؟

أو أنهن اشتغلن بمصيبة رسول الله ولم تشتغل بها بضعته، أو أن الظروف السياسية هي التي فرقت بينهن فأقامت من الزهراء معارضة شديدة ومنازعة خطرة دون نسوة النبي اللاتي لم تزعجهن أوضاع الحكم . وأكبر الظن أن الصديقة كانت تجد في شيعة قرينها، وصفوة أصحابه الذين لم يكونوا يشكون في صدقها من يعطف شهادته على شهادة علي وتكتمل بذلك البينة عند ابوبكر . أفلا يفيدنا هذا أن الهدف الأعلى لفاطمة ؛ هو التعريف بالحقيقة جيدا ليس هو إثبات النحلة أو الميراث، بل القضاء على نتائج السقيفة ..

وهو لا يحصل بإقامة البينة في موضوع فدك، بل بأن تقدم البينة لدى الناس جميعا على أنهم ضلوا سواء السبيل . وهذا ما كانت تريد أن تقدمه الحوراء في خطتها المناضلة . ولنستمع إلى كلام ابوبكر بعد أن انتهت الزهراء من خطبتها وخرجت من المسجد، فصعد المنبر وقال:

(أيها الناس ما هذه الرعة إلى كل قالة أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله ،ألا من سمع فليقل ومن شهد فليتكلم، إنما هو ثعالة شهيده ذنبه، مرب لكل فتنة (هو الذي يقول: كروها جذعة بعد ما هرمت، يستعينون بالضعفة، ويستنصرون بالنساء) كأم طحال أحب أهلها إليها البغي ، ألا إني لو أشاء أ ن أقول لقلت ولو قلت لبحت، إني ساكت ما تركت) ثم التفت إلى الأنصار وقال: (قد بلغني يا معشرالأنصار مقالة سفهائكم وأحق من لزم عهد رسول الله ﷺ أنتم، فقد جاءكم فأويتم ونصرتم، ألا إني لست باسطا يد ا ولا لسانا على من لم يستحق ذلك (منا) .

وهذا الكلام يكشف لنا عن جانب من شخصية ابي بكر ويلقي ضوءا على منازعة الزهراء له والذي يهمنا الان ما يوضحه من أمر هذه المنازعة وانطباعات الحاكم عنها، فإنه فهم حق الفهم أن احتجاج الزهراء لم يكن حول الميراث أو النحلة وإنما كان حربا سياسية كما نسميها اليوم وتظلما لقرينها العظيم الذي شاء ابو بكر وأصحابه من يبعدوه عن المقام الطبيعي له في دنيا الإسلام، فلم يتكلم إلا عن علي فوصفه بأنه ثعالة وأنه مرب لكل فتنة وأنه كأم طحال وأن فاطمة ذنبه التابع له ولم يذكر عن الميراث قليلا أو كثيرا ..كيف يتكلم ابو بكر بهذه اللهجة الخشنة والتي لا يمكن للصحابي الجليل أن يتلفظ مثل هذه الالفاظ الغريبة فيصف فيها الامام علي عليه السلام بانه الثعلب الماكر وانه سبب الفتنة وان فاطمة عليها السلام هي ذيل الثعلب ويشبه الامام بالبغية والساقطة وصاحبة الرايات في الجاهلية بالامام عليه السلام وأحب أهلها إليها البغي! ..هذا ما نتركه للقارئ المسلم من التعليق على هذا الموضوع الخطر وما نتج عنه لاحقا..

ولنلاحظ ما جاءت به الرواية في صحاح السنة بان عليا والعباس كانا يتنازعان في فدك في أيام عمر بن الخطاب، فكان علي يقول إن رسول الله ﷺ جعلها في حياته لفاطمة وكان العباس يأبى ذلك ويقول هي ملك رسول الله وأنا وارثه ويتخاصمان إلى عمر، فيأبى أن يحكم بينهما ويقول:(أنتما أعرف بشأنكما أما أنا قد سلمتها إليكما) .

فقد نفهم من هذا الحديث إذا كان صحيحا أن حكم الخليفة كان سياسيا موقتا وإن موقفه كان ضرورة من ضرورات الحكم في تلك الساعة الحرجة وإلا فلم أهمل عمر بن

الخطاب رواية الخليفة وطرحها جانبا وسلم فدك إلى العباس وعلي وموقفه منهما يدل على أنه سلم فدك إليهما على أساس أنها ميراث رسول الله لا على وجه التوكيل إذ لو كان على هذا الوجه لما صح لعلي والعباس أن يتنازعا في أن فدك هل هي نحلة من رسول الله لفاطمة أو تركة من تركاته التي يستحقها ورثته ؟ وما أثر هذا النزاع لو فرض أنها في رأي الخليفة مال للمسلمين وقد وكلهما في القيام عليه ؟ ولفض عمر النزاع وعرفهما أنه لا يرى فدك مالا موروثا ولا من أملاك فاطمة، وإنما أوكل أمرها إليهما لينوبا عنه برعايتها وتعاهدها، كما أن عدم حكمه بفدك لعلي وحده معناه أنه لم يكن واثقا بنحلة رسول الله ﷺ فدك لفاطمة فليس من وجه لتسليمها إلى علي والعباس إلا الإرث . وإذن ففي المسألة تقديران:

أحدهما: أن عمر كان يتهم الخليفة بوضع الحديث في نفي الإرث.

والاخر: أنه تأوله وفهم منه معنى لا ينفي التوريث ولكن لم يذكر تأويله، ولم يناقش به أبا بكر حينما حدث به وسواء أصح هذا أو ذاك، فالجانب السياسي في المسألة ظاهر، وإلا فلماذا يتهم عمر الخليفة بوضع الحديث إذا لم يكن في ذلك ما يتصل بسياسة الحكم يومئذ، ولماذا يخفي تأويله وتفسيره وهو الذي لم يتحرج عن إبداء مخالفته للنبي أو الخليفة الأول فيما اعترضهما من مسائل .

وإذا عرفنا أن الزهراء نازعت في أمر الميراث بعد استيلاء الحزب الحاكم عليه، لأن الناس لم يعتادوا أن يستأذنوا الخليفة في قبض مواريثهم أو في تسليم المواريث إلى أهلها، فلم تكن فاطمة في حاجة إلى مراجعة الخليفة ولم تكن لتأخذ رأيه وهو الظالم المنتزي على الحكم في رأيها، فالمطالبة بالميراث لابد أنها كانت تتصدى لما قام به الخليفة من تأميمه للتركة على ما نقول اليوم والاستيلاء عليها .

وإذا عرفنا هذا وإن الزهراء لم تطالب بحقوقها قبل أن تنتزع منها، تجلى لدينا أن ظرف المطالبة كان مشجعا كل التشجيع للمعارضين على أن يغتنموا مسألة الميراث مادة خصبة لمقاومة الحزب الحاكم على أسلوب سلمي كانت تفرضه المصالح العليا يومئذ، واتهامه بالغصب والتلاعب بقواعد الشريعة والاستخفاف بكرامة القانون .

لقد اتبّعت فاطمة الزهراء ﷺ المعارضة بعدة مظاهر وبابعاد شتى ومن اهمها:

١- ارسالها من ينازع ابا بكر في الميراث والمطالبة بحقوقها تمهيدا للخطبة الفدكية .

٢- مواجهتها بنفسها وذلك بالقاء الخطبة لمعرفة مدى استعداد ابو بكر لارجاع فدك اليها وبالتالي كشف بطلان عمله ومخالفته لله ولرسوله والشريعة الاسلامية .

٣- خطبتها في المسجد بعد عشرة ايام من وفاة الرسول المصطفى ﷺ واحتجاجها على السلطة لعدم مشروعيتها وكشفها امام انظار الامة .

٤- حديثها مع ابي بكر وعمر حينما زاراها بقصد الاعتذار منها، فقد ورد في كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبه وفي صحيح البخاري وفي صحيح مسلم واحمد بن حنبل والترمذي بان فاطمة قد هجرت ابو بكر حتى توفيت .

كما وان ابي بكر اعترف بكشفه لدار فاطمة . ورد ذلك في كتاب تاريخ الامم والملوك وقد ورد فيه: دخل عبد الرحمن بن عوف على ابي بكر فقال له:

ارجو ان تكون بارئا ..**فقال ابوبكر** في مرضه الذي توفي فيه:

اني لا آسى على شيئ من الدنيا الا على ثلاث فعلتهن وددت اني تركتهن الى ان قال: فوددت أني لم اكشف بيت فاطمة عن شيئ / ذكره الطبري وفي ميزان الاعتدال للذهبي وكنز العمال ومروج الذهب .

٥- خطابها الذي القته على نساء المهاجرين والانصار حين اجتمعن عندها لالقاء الحجة عليهن ولتبليغ ازواجهن ..

٦- وصيتها بان لايحضر تجهيزها ودفنها احد من خصومها وكان هذا هو الاعلان الاخير لمظلوميتها ولتعريف الامة وبما فيها القيادة الحاكمة ولكي تنهض من سباتها ومن مطامعها الدنيوية الدنيئة .

تصدّي فاطمة الزهراء ﷺ ضدالخلافة الغيرمشروعة ؟

ولابد من الاشارة لجهاد الزهراء ﷺ وبطولاتها في كشف المؤامرة ضد أميرالمؤمنين وازاحته عن منصبه الذي نصّبه الله ورسوله على الامة ..

لقد قدّمت الحجج البالغة واحتجّت على ابي بكر وغيره في احقية الامام للخلافة فقالت في خطبتها وقد جاء فيها:(ويحهم أنى زحزحوها (أي الخلافة) عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الروح الامين والطبن (الخبير) بامور الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين وما الذي نقموا من ابي الحسن ؟ نقموا والله منه نكير سيفه، وقلة مبالاته لحتفه، وشدة وطأته ونكال وقعته، وتنمّره في ذات الله وتالله لو مالوا عن المحجة اللائحة وزالوا عن قبول الحجة الواضحة، لردّهم اليها وحملهم عليها ..)

لقد كانت محتويات الاحتجاج للزهراء ﷺ واضحة وهي تبين مظلومية الامام علي ﷺ ولابد من توضيح بعض تلك الاهداف ومنها ما يلي:

أولا:أنها أشارت بالاسباب التي من أجلها أعرض القوم عن بيعة الامام وهي كالتالي:

١- نكير سيف الامام الذي حصد به رؤوس المشركين من قريش، ذلك السيف الذي كان معجزة للنبي ﷺ وقد أحدث في نفوس القوم حقداعلى الامام وكراهية له .

٢- شدّة وطأة الامام، فانه لم يصانع طيلة حياته ولم يهادن احدا ولاتأخذه في الله تعالى لومة لائم الامر الذي ملأ قلوب اعداء الله عليه غيظا وحقدا .

٣- تنمّره في ذات الله، فقد وهب حياته لله تعالى وتنكّر للقريب والبعيد ارضاء" لله وتفانيا في طاعته سبحانه وتعالى، هذه هي الاسباب التي ادت الى اعراض القوم عن بيعة الامام ﷺ.

ثانيا: ان الامة لو تابعت الامام واخذت بهديه لظفرت بما يلي:

١- ان يسير فيهم بسيرة العدل الخالص والحق المحض ويحكم فيهم بما انزل الله تعالى.

٢- ان عليا ﷺ يوردهم منهلا عذبا ويقودهم الى شاطئ البر السلام والخير والامان .

٣- انه ينصح لهم في السر والعلانية ويهديهم الى سواء السبيل .

٤- ان الامام لو تقلد زمام الحكم لما غنم من دنياهم بطائل وما استأثر من اموالهم بشيئ من متع الحياة وهذا مايؤيده عند استلامه للحكم حيث اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعامه بقرصيه.

٥- ان الامام لو تقلد الحكم بعد النبي ﷺ لانتشرت خيرات الله وبركاته وعمت جميع بقاع الارض ولاكل الناس من فوق رؤوسهم ومن تحت ارجلهم.

ثالثا:ان بضعة الرسول ﷺ استطلعت من وراءالغيب ما تعانيه الامة من الازمات والخطوب من جراء ماقترفه القوم من اقصاء الامام عليه السلام عن قيادة الامة وهي:

١- انتشار الفتن بين المسلمين وتفلل وحدتهم .
٢- تنكيل السلطات الحاكمة بعلي عليه السلام وكذلك منع الزهراء عليها السلام من حقها في فدك والتي منحها رسول الله ﷺ للزهراء عليها السلام.
٣- استبدال الظالمين للقيام بشؤونهم وحكم الامة .

وقد تحقق كل ذلك على مسرح الحياة الاسلامية حينما ولي معاوية على المسلمين فامعن في ظلم وتعذيب وقتل الثلة الطيبة من اصحاب الرسول ﷺ واصحاب الامام علي عليه السلام ومنهم حجرابن عدي وعمروابن حمق الخزاعي وعبدالله بن يحيى الحضرمي وأصحابه ورشيد الهجري وجويرية بن مسهر العبدي وأوفى بن حصن والتعذيب بغير القتل بزعماء الشيعة ومنهم عبدالله بن هاشم المرقال وعدي بن حاتم وصعصعة بن صوحان وعبدالله بن خليفة وغيرهم .

* وقد ذكر التاريخ بان بعض اصحاب سعد بن عبادة كحباب بن المنذر فقد استسلموا بالقوة..

ان مانقلناه من كتب التاريخ وكان منها:ما نقله الطبري في كتابه / احداث السنة وابن عبد ربه المالكي في حديث السقيفة والمسعودي في مروج الذهب والشهرستاني في كتاب الملل والنحل وغيرهم.

لقد كانت العرب وقريش تنقم من علي عليه السلام بسبب شدة وطأته على اعداء الله ونكال وقعته فيمن يتعدى على حدود الله او يهتك حرماته وكانت اعداؤه ترهبه وترهب امره

بالمعروف ونهيه عن المنكر لانه لاتأخذه في الله لومة لائم .. لقد كان شديدا في الله وكانت الاعراب اشد كفرا ونفاقا وأجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله.

* وايضا فان قريش وسائر العرب كانوا يحسدون اهل البيت عليهم السلام على ماآتاهم الله من فضله ومن منزلتهم السامية ودّبت في نفوسهم أثار الحسد في قلوب المنافقين واجتمعوا على نقض العهد ومحاربته من الفاسقين والناكثين والقاسطين والمارقين فاتخذوا النصوص القرانية المشيرة لامامته وولايته بعد رسول الله وراء هم ظهريا .
فكيف يرضون باجتماع النبوة والامامة في بني هاشم!.
ففي حوارجرى بين عمر بن الخطاب مع ابن عباس حبر الامة، فقال عمر لابن عباس:لقد كرهت قريش ان تجتمع لكم النبوة والخلافة، فتجحفوا الناس جحفا ، فنظرت لانفها، فاختارت ووفقت فاجابت ،فرّد ابن عباس عليه القول: أيميط عنّي غضبه ؟
قال عمر ابن الخطاب: قل ما تشاء .
قال ابن عباس:أما قولك:ان قريش كرهت ، فان الله يقول (ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فأحبط اعمالهم) وقال تعالى (وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة) .
واما قولك: انا كنا نجحف، فانا قوم اخلاقنا من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله والذي قال فيه تعالى(وانك لعلى خلق عظيم) / مروج الذهب للمسعودي.
وهكذا ادركت قريش بان الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله قد فارق الدنيا وان الامور ستؤول الى علي عليه السلام حتما ومن هنا كان تحرك الحزب الحاكم فكانت السقيفة . كما وان قريشا في حروبها ضد الاسلام، كان لها علي بالمرصاد وان تلك الدماء واراقتها كانت على عاتق علي وحده فهو مطلوب بدماء آبائهم واخوانهم وابنائهم وهكذا نقمت قريش من علي عليه السلام واصبح اقصاءه واجبا واتخذت قريش التدابير التالية:

١ـ ابقاء حزب قريش في المدينة ولم يخرجوا مع جيش أسامة لانهم عرفوا ان الامامة ستتحول الى علي لامحال، مع علمهم بان الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله قد قال:(جهزوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عنه ..) وقد تخلفت تلك المجموعة من الصحابة وتثاقلت عن السير / رواه الشهرستاني في الملل والنحل .

٢- حضورهم الدائم قرب الرسول الاكرم ﷺ للحيلولة دون ولاية علي ﷺ فكان ارتفاع الاصوات وما حدث في مجلس النبي ﷺ تحت شعار (حسبنا كتاب الله واتهام النبي بغلبة الوجع او بالقول انه ليهجر).

٣- السرعة في البت بموضوع الخلافة في السقيفة مع عدم اكمال النصاب او اجتماع من هم جزء في عملية السقيفة مع علمهم بالنصوص الواردة عن القران والسنة بخلافة علي ﷺ وكان من اهمها واوضحها يوم الغدير بتنصيب علي على الامة من قبل الرسول المصطفى ﷺ وبامر من السماء .

٤- الترتيب لأخذ البيعة من الانصار لان قريش لو بايعت الخليفة لم يكن له أية قيمة ولامكن الامام علي ﷺان يقيم الحجة عليهم .

٥- دخول عناصر من خارج المدينة وهي معدّة سلفا لتأييد الطرف المناوئ لبني هاشم.

٦- محاولتهم التعتيم على الاجراءات واتهام كل معارض بشق عصا المسلمين .

٧- من الادلة على التخطيط السابق: ان عثمان بن عفان كتب اسم عمربن الخطاب في الوصية كخليفة من بعد ابي بكر. (ورد ذلك في تاريخ الطبري) من دون ان يامره بذلك وقد كان يعلم عثمان انه ضمن المجموعة المعدة بعد خلافة عمر .

٨- اتهام معاوية لابي بكر وعمر بالتخطيط لاستلام الخلافة من علي كما جاء في كتابه الى محمد بن ابي بكر ومنها قول معاوية لمحمد بن ابي بكر (لقد كان ابوك والفاروق اول من ابتزّه حقه وخالفه في امره !).

٩- قول علي لعمر:احلب ياعمر حلبا" لك شطره، اشدد له اليوم امره ليرد عليك غدا.

١٠- اتهام الزهراء ﷺ للحاكمين بالحزبية السياسية والتآمر على السلطة وتجريد بني هاشم من دخولها الحكم، فقالت فيما قالت ﷺ وهي الصّديقة والتي زكاها الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم: (فوسمتم غير ابلكم ووردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لمّا يندمل، والرسول لمّا يقبر، ابتدارا زعمتم خوف الفتنة (الا في الفتنة سقطوا) وان جهنم لمحيطة بالكافرين)

وبهذا فان قيادة السقيفة عملت على مايلي:

* عزل المعارضة وشلها اقتصاديا، فمنع ابو بكر سهم الخمس من علي وزوجته الزهراء ﷺ وطرد فلاحي فاطمة الزهراء ﷺ من ارض فدك واما اصحاب الامام علي ﷺ فكان اغلبهم من الموالي الذين لاثراء لهم فلم يكن لهم أي تاثيراقتصادي على السلطة .

* عزل المقاومة وشلها اجتماعيا، يقول ابن عبد ربه في العقد الفريد (واما علي والعباس والزبير فقعدوا في بيت فاطمة حتى بعث اليهم ابو بكر، عمر ليخرجهم من بيت فاطمة..فاقبل عمر بقبس من نار ليحرق البيت).

* عزل المعارضة سياسيا خلال ربع قرن، وبشهادة البخاري فان اول من جمع القران هو علي حيث يعرف كل احكامه في حين جهل عمرحكم الكلالة واحكام التيمم وقد قال الرسول الاكرم ﷺ:(اذا تولى وال امر رعية وهو يعلم ان فيهم من هو اعلم منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين).

اجتماع السقيفة لم يكن شورى وانما فلته:

قال عمرابن الخطاب:(ان بيعة ابي بكر فلته وقى الله شرها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه)/ اخرجه البخاري في صحيحه كما واخرجه واحمد في مسنده .

وبهذا فان الامة قد خالفت القران والسنة النبوية الشريفة واغتصبت حق أهل البيت ﷺ باغتصاب الخلافة والرئاسة من أميرالمؤمنين علي ﷺ وان الزهراء ﷺ قد كشفت تلك المؤامرة الدنيئة وفضحت من كان خلفها ..

الفصل الثامن

الزهراء عليها السلام مدرسة الاجيال

أن السيدة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام كانت الذروة في كل شئ وهي المراة المثالية التي تفوق جميع نساء العالم من الاولين والاخرين وهي الاسوة لجميع النساء بكل الفضائل وجميع الكمالات. . في العصمة والعبادة والزهد والطاعة لله ولرسوله ولولية علي بن ابي طالب عليه السلام وكانت البنت النموذجية والزوجة النموذجية والأم النموذجية وتمثل العابدة النموذجية والمضحية النموذجية وكانت ولا زالت معدن الرحمة والرأفة والعطاء وجميع ما يتصوره الإنسان بالإنسان الكامل ومع كل ذلك تبقى مناقب السيدة الصديقة الشهيدة متميزة عن غيرها حتى بنوع الأوسمة التي نالتها باستحقاق ولنذكر لذلك مثلا واحدا:

فقد روى الترمذي وغيره في عائشة (لو صحت الرواية) أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ..والمتأمل في التشبيه - على فرض أنه من النبي صلى الله عليه وآله يلاحظ كلمات مادية ..ثريد . . طعام . . شهوة وقال في فاطمة: أنها سيدة نساء العالمين وقال فيها: أنها روحي التي بين جنبي وقال: الحوراء الإنسية وقال وقال ما شاء الله له أن يقول..في بضعته الزهراء عليها السلام.. وقد اتفق المسلمون جميعا على رواية مناقب أهل البيت عليهم السلام عامة ومناقب فاطمة الزهراء عليها السلام خاصة ولا أدري لماذا يلتزم الكثير برواية ما رواه العامة فحسب ولعله من باب (من فمك أدينك) أو (ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم) فإن الحديث عن المناقب قد يكون لامتناع الخصم فلربما صح هذا المنهج وارتضي هذا المنطق على أن العامة والخاصة متفقون في الجملة على وثاقة رواة الشيعة وليس عند خصومهم أي دليل على إسقاط رواتهم سوى

أنهم (يتشيعون) .. وإلا فليس ثمة من يشكك في وثاقتهم على العموم فلنا أن نحتج عليهم بروايتنا أيضا . ولا يخفى أن الكثير من المناقب سجلها رواة الشيعة نظرا لملازمتهم لأئمة أهل البيت عليهم السلام وانفتاح الأئمة عليهم وابتعادهم أكثر عن أجواء التقية فيما حجب رواة العامة عنها، فلماذا نحرم أنفسنا مما حرموا منه ونبقى وراء الحجب التي حالت دون اتصالهم بالنور واستقبالهم للفيض ؟.

ولكن الأمر لا ينتهي بامتناع الخصم ، لأننا أمام مسؤولية عظيمة ومهمة جسيمة ؛ ألا وهي تركيز عقائدنا وعقائد أبنائنا وتشييدها وتدعيمها حتى نكون من ذوي البصيرة في دينهم . ونحن لسنا مضطرين في هذا المقام بأن نلتزم برواية العامة بل على العكس علينا أن نعلم أنفسنا وأبناءنا على الانتهال من المعين الصافي القريب من خلال الإلتزام بما ألزمنا به الله وأمرنا أن نأخذ منهم بما يطابق القرآن والسنة الشريفة ورد كل ما هو مخالف لذلك ولم يرض من أحد عبادة أو تقربا إلا أن يكون قد سلك سبيل الرسول المصطفى واهل بيته صلوات ربي عليهم اجمعين والتمسك بهداهم (فمن أراد الله بدأ بهم ومن وحده قبل عنهم ومن قصده توجه بهم) ومن ابتغى غير الإسلام دينا فلن يقبل الله منه وهو في الآخرة من الخاسرين . فلماذا نأخذ من غيرهم ونغذي أبناءنا من حديث خصومهم ما دام حديثهم الغذاء السالم الذي ارتضاه الله ورسوله ووليه لنا ؟ فلنتوجه إلى ما ورد عنهم أولا وقبل كل شئ لنبني عقائدنا وسلوكنا وحياتنا وعلاقاتنا وحبنا وبغضنا ودنيانا وآخرتنا وفق هذا المنهج القويم .

ان لفاطمة الزهراء عليها السلام مقاما لا يدانيه مقام ولها محورية في نظام العالم الذي نعيشه بعد ابيها سيد المرسلين وخاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وآله وزوجها الامام علي بن ابي طالب عليه السلام حيث لا يمكن لعقولنا المحدودة ان تفهم الحقيقة وحسب القرآن والاحاديث الشريفة والواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته الاطهار في تعريف شخصية فاطمة الزهراء عليها السلام.

فالزهراء بحقيقة الامر هي الوارثة لعلوم النبوة والرسالة من ابيها سيد الرسل وخاتمهم محمد ﷺ وورثت علوم الامامة من زوجها علي بن ابي طالب ﷺ فاصبحت وعاء لجميع تلك العلوم واصبحت ام الائمة الاطهار المعصومين .

ان الصّديقة الزهراء ﷺ هي سيدة نساء العالمين من الاولين والاخرين ومن النساء الكاملات الفاضلات العظيمات، فهي القدوة للحاضر والمستقبل وهي ليست للنساء فحسب بل للبشرية اجمع وكيف لا تكون كذلك وقد وصفها اصدق البشرية ورسول الانسانية وخاتم الانبياء والمرسلين، الحبيب المصطفى ﷺ بقوله بأنها (سيدة نساء العالمين) وقال بانها (أم ابيها) .

ان كل محطة من حياة الزهراء البتول ﷺ في سلوكها سواء كانت في اقوالها اوافعالها هي نور تضيئ الدرب في الحياة الاسلامية المنشودة ومع قصرعمر فاطمة الزهراء ﷺ والتحاقها بالملئ الاعلى، الا انها ملئت كل ابعاد الحياة الاجتماعية منها والسياسية والعلمية والفقهية اوالتاريخية وكل الابعاد الاخرى، حيث ملئتها عطاء في الايمان والعفة والزهد والشجاعة والجهاد والتضحية في سبيل الله وكل ما يحتاج اليه الدين الاسلامي من ديمومة واستمرارية وبقاء . .فلقد اتسّمت مواقف الزهراء ﷺ منذ بداية حياتها الشريفة بالبطولة والثبات والطمئنينة والاستقامة الكاملة ومن دون شك وتزلزل في شخصيتها وكما اشار القران الكريم وكانت من مصاديق الاية الشريفة:(ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ..) .

الحجاب ضرورة المرأة

خيرأسوة للمرأة الصالحة في حجابها وتعاملها مع الرجل الاجنبي هي فاطمة الزهراء ﷺ وقد أكدّت قولا وفعلا على ضرورة الحجاب للمرأة المسلمة انطلاقا من التشريع الاسلامي والذي فرض الحجاب على المرأة المسلمة .

روي انه لما سئل الرسول المصطفى ﷺ فاطمة الزهراء ﷺ:(أي شيئ خير للمرأة) ؟

قالت: ان لاترى الرجل ولا يراها رجل .

والمقصود بطبيعة الحال الرؤية للجسم او الرؤية التي نهى عنها الشرع واما الرؤية من وراء الحجاب مع رعاية الموازين الشرعية فلابأس به ويدل على ذلك ذهاب فاطمة الزهراء ﷺ الى معركة أحد وذهابها الى الحج مع رسول الله ﷺ وماشابه ذلك.

ان ماتعيشه المجتمعات الغربية والشرقية اليوم من تصرفات واعمال لا اخلاقية وبمجونها وشهواتها ونزواتها ومجالس الرقص والسكر والموسيقى الصاخبة المطربة والتي تحط من قيمة الانسان الى الحضيض وتردّه الى الجاهليه الاولى والتي ابتعدت عن الطريق السوي وطريق الحق .

نحن نرى المراة الاوربية وهي تخرج شبه عاريه وتمشي في الشوارع العامة لتري الناس ما توصلت اليه اروبا من استهتار للمرأة باظهار لمفاتنها ومن علاقات لااخلاقية مع الاخرين وهي تقدم لضيف زوجها المشروبات الكحولية ليلا وتجلس لتناغمه الحياة الفاسدة والرذيلة .

هكذا اراد الاستكبار العالمي والصهيونية ومن سار معهم، لقد ارادوا ان تكون المراة فارغة من العقيدة والايمان بالله سبحانه وتعالى .

لقد اصبحت المرأة اليوم سلعة لدى الغرب تباع وتشترى، ثم انتقلت الينا..

لقد ذبحوا المرأة في اوربا ..فتحت شعار:

(الحب العذري) وجدت اكثر من مليون عملية اجهاض سنويا في اوربا ..

وتحت شعار:(الحب للحب) تمارس عمليات الاباحة ..

وتحت شعار:(الطفل الشرعي) تنجب اطفال غير شرعيين ..

وتحت شعار: (الاختلاط الجامعي المحتشم) فتدخل الطالبة الجامعية وفي حقيبتها حبوب منع الحمل ..

وتحت الشعارات البيضاء والخضراء .. ذبحوا المرأة ..

نحن جميعا مدعوون للرجوع الى دين الحق وهو دين الاسلام الحنيف وكما قال تعالى

(فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكن اكثر الناس لا يعلمون) .

ولابد للسير على طريق أهل البيت عليهم السلام والذين هم ورثة الرسول خاتم الانبياء والمرسلين وهذه فاطمة الزهراء عليها السلام والتي وصفها الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله:

(ان ابنتي فاطمة ملئ الله قلبها وجسمها بالايمان)

ولقد عاشت فاطمة الزهراء عليها السلام مع ابيها رسالة الحياة الكاملة، فكانت قدوة النساء والاسوة الحسنة وعاشت مع الامام علي عليه السلام كل معنى الاسرة الاسلامية الصالحة والمثالية، فكانت نعم الام لخير شباب اهل الجنة وهما الحسن والحسين عليهما السلام ولقد خرجّت تلك المدرسة بطلة كربلاء الحوراء زينب وهي شريكة الحسين في مأساة واقعة الطف .

لقد كانت الزهراء عليها السلام كلها عطاء وتضحية وايثار وعملا للقرب الالهي فكانت المدرسة الجامعة للاخلاق الفاضلة في التربية والقدوة الصالحة الحسنة لخير الدنيا والاخرة .

ولابد لنا ان نجّسد كل عطاء من حياتها ونحوله الى برامج عملية لكل خطوة نتحرك بها ونجعلها القدوة في طريقنا وكما قال الامام الصادق عليه السلام:

(نحن حجج الله على خلقه وفاطمة الزهراء حجة علينا)

بيت الزهراء عليها السلام مدرسة كبرى

إن بيت فاطمة الزهراء عليها السلام كان جامعة لكل العلوم لتعليم نساء المؤمنين وتربيتهم بالمعارف الإسلامية، بل أحياناً حتى الرجال كما في قصة سلمان المحمدي رضوان الله تعالى عليه..

لقد كانت عليها السلام رحبة الصدر حسنة الخلق..

وورد في الاخبار ان امرأة سألتها عليها السلام مسألة فأجابت فلم تفهم السائلة، فثنت فلم تفهم الجواب ثانياً وثلثت فلم تفهم الجواب ثالثاً وربعت وخمست وسدست وسبعت وثمنت وتسعت وعشرت ولم تفهم (والظاهر أن المسألة كانت غامضة جداً ولهذا ما كانت

تفهم الجواب، فان انساناً عادياً إذا سأل من عالم كبير مسألة إرثية فيها حسابات متعددة كمسألة الأجداد الثمانية فان العالم وان أجاب عشر مرات قد لا يفهم ذلك الشخص جواب المسألة..).

وفي المرة العاشرة لما لم تفهم الجواب سكتت وقالت: لا اشق عليك يا بنت رسول الله، فأجابت فاطمة عليها السلام: اسألي ولي بذلك الأجر، ثم ذكرت عليها السلام لأجرها مثلاً.

وربما كان المقصود أن السائلة سألت عن عدة مسائل مختلفة وأجابتها فاطمة الزهراء عليها السلام فخجلت عن كثرة السؤال..

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام فقالت: إن لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء وقد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها فاطمة عليها السلام عن ذلك، ثم ثنت فأجابت، ثم ثلثت فأجابت إلى أن عشرت فأجابت، ثم خجلت من الكثرة، فقالت: لا أشق عليك يا بنت رسول الله..

قالت فاطمة عليها السلام: هاتي وسلي عما بدا لك، أرأيت من أكترى يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل مائة ألف دينار أيثقل عليه؟فقالت: لا

فقالت: اكتريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملئ ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً، فأحرى أن لا يثقل علي. سمعت أبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدهم في إرشاد عباد الله، حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف خلعة من نور، ثم ينادي منادي ربنا عزوجل: أيها الكافلون لأيتام آل محمد الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم، هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفلتموهم ونعشتموهم، فاخلعوا عليهم كما خلعتموهم خلع العلوم في الدنيا..

فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر ما اخذوا عنهم من العلوم.. حتى أن فيهم يعني في الأيتام لمن يخلع عليه مائة ألف خلعة..وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم..

ثم إن الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتموا لهم خلعهم

وتضعفوها، فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم ويضاعف لهم وكذلك من بمرتبتهم ممن يخلع عليه على مرتبتهم..

وقالت فاطمة ﷺ: يا أمة الله إن سلكاً من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة وما فضل فانه مشوب بالتنغيص والكدر.

علوم الزهراء

لقد كانت الزهراءﷺ عالمة آل محمد صلوات الله عليهم اجمعين تنشر من بحر علومها المتلاطم وتعلّم البشرية من معارفها الغزيرة طيلة أيام حياتها، بل كانت تغدق من علومها عندما يحير الآخرون في الجواب ليتعلّم المجتمع الأكبر..

لقد كانت فاطمة الزهراءﷺ هي الجامعة للعلوم الاسلامية بمختلف ابعادها ومجالاتها ومستوياتها للدنيا والاخرة لانها الوعاء الجامع لعلوم النبوة والامامة ويعلم جميع المسلمون بعلو كعبها وجليل شأنها ونشاطها العلمي فلم يختلفوا في أن لها صحائف مسودة من أقوال رسول الله ﷺ ومصحف بإملاء ملك كريم لم يستأثر بعلمه أحد عدا السادة من أبناءها وقد روى ابن أبي الحديد:

(كان يغشاها نساء المدينة وجيران بيتها)..

وهكذا كانت هي العالمة والمعلمة والمربية لنساء المدينة اضافة لازواجهن عن طريق نقل الاحاديث والمواضيع ومختلف المسائل العلمية والفقهية والعقائدية والاجتماعية وغيرها لهم لان الزهراءﷺ لا تبرز للرجال وقد قصر جهدها على النساء وهن لا يحرصن على نقل ما يسمعنه ولا يكتبنه ومن هنا ضاء علم النساء المتفقهات والفقيهات كأم سلمة التي عاشت في كنف رسول الله ﷺ وزينب الكبرى المفسرة العظيمة لكتاب الله عز وجل وعلية بنت الإمام زين العابدين وقد ذكر الرجاليون لها كتابا وحميدة زوجة الصادق ﷺ الذي أحال عليها الإمام بعض النساء في مسائل حج الصبي والفواطم الستة وإن كنّ عالمات من أحبار الحديث بيد أنه لم ينقل من طرقهن إلا القليل مما كنّ يلقينه ويلقنن به نساء أقوامهن.

الحفاظ على الولايـة

ان محاولة اقصاء الامام علي ﷺ من منصبه الذي نصّبه الله فيه ورسوله لم يكن حدثا طارئا وانما كان لهذه القضية ابعادا كما اسلفنا وجذور في مسيرة الاوضاع السياسية التي كان يشهدها ويعيشها المسلمون..فقد ادّت الى ترك ابعاد يوم الغدير وكان قادة تلك المحاولة من لم يلتحق بجيش اسامة حيث لعنهم الرسول الاكرم ﷺبقوله :

(لعن الله من تخلف عن جيش اسامة). وهم انفسهم من عارضوا كتابة الوصية للرسول الاكرم ﷺ عند مرضه ..فقالوا انه ليهجر .. وقالوا حسبنا كتاب الله ..

ومادامت الخلافة قد انحرفت عن المسير الأساسي الذي أكد عليه رسول الله ﷺ في مواطن كثيرة ومادام قد اغتصبت باحتيال وأسلوب ماكر، فلا يمكن إرجاعها بالسكوت والتسليم لما حدث، لأن العدوّ سوف يستغلُّ هذا السكوت لصالحه إعلامياً وسوف يدّعي أن هذا السكوت دليل على الرضا، ومن ثم سوف يكون الغاصب وكأنّه هو المالك الحقيقي فيكتسب الشرعية في الوسط المسلم لا هو فحسب بل كل من يسير على خطاه إلى يوم القيامة.

وهذا هو التدمير الواقعي للإسلام أصلاً وفرعاً ولكن بإسم الإسلام وإمرة المسلمين، ومن ناحية أخرى هناك خطورة ثانية لأصل الإسلام وهذا يتطلب السكوت والهدوء والتساير وفي نفس الوقت الإشراف ومراقبة ما سيحدث ومحاولة دفع الانحرافات الأساسية التي ترجع إلى أصل الإسلام، تلك الانحرافات التي يخطّط لها النظام الحاكم بين اونة وأخرى.. من غير مساس وتعرض للجهاز الحاكم.. لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.. ذلك كلُّه حفاظاً على الإسلام، فلا بدّ لعلي ﷺ من السكوت والتساير الظاهري معهم مادام الإسلام في أمان من شرهم..

اللهم إلاّ إذا اشتد الخطر وصعب فحينئذ سوف يتطلب الشدة نوعاً ما.

صعوبة الموقف و حسّاسيته

عند ملاحظة جوانب الشخصيتين شخصيَّة الصدّيقة الزهراء ﷺ وشخصيَّة الامام

أميرالمؤمنين ﷺ وأيضاً عند ملاحظة مدى الارتباط والتعلق بينهما نعرف شدة البلاء الذي ابتليا به وعظمة الامتحان الإلهي ومستوى التكليف السماوي المخوَّل إليهما.

فلو أرادا أن يتحقق الهدف الذي هو الحفاظ على ظاهر الإسلام(وهو تكليف علي ﷺ) والحفاظ على واقع الولاية (وهو تكليف الزهراء ﷺ) فلا بد وأن تتوفر أمورٌ كثيرةٌ لو اختل أحدها سوف لن يتحقق الهدف فمن ناحية أميرالمؤمنين لا بد من:

خلق جو إعلامي واضح وصريح وذلك باستخدام المعارضة السلمية وهي افضل طريقة لحفظ وحدة الامة الاسلامية انذاك وعدم استخدام العنف والمواجهة العلنية ..

اما من ناحية الزهراء ﷺ ينبغي لها:

أن تخلق جواً مناقضاً تماماً لما أوجده علي ﷺ.. فتصرخ في وجه الطغاة وتقف أمامهم وتفضحهم وتبين مثالبهم وتكشف عن جريمتهم العظيمة وفي نفس الوقت تدافع عن علي ﷺ كخليفةٍ للمسلمين، فتُبيّن للناس فضائله ومناقبه ومواقفه وذلك من غير أن يكون ذلك أعني ولاية عليٍ هو الأساس في قضيَّتها ظاهراً (وهو الأساس بالفعل) ولكن يبقى هنا أمرٌ مهمّ ينبغي أن تراعيه الزهراء ﷺ وهو عدم إثارة عليّ ﷺ أصلاً لأنَّ ذلك سوف يؤدّي لفشل موقف أميرالمؤمنين ﷺ ومن ثمّ انتصار العدوّ ونجاحه وذلك سوف يؤدّي إلى الرجوع إلى الجاهليَّة الأولى أعاذنا الله من شرّها..

لقد اتخذت الزهراء ﷺ الموقف الاصعب واصرت بمواصلة الطريق الشاق والمخفوف بالمخاطر والمصاعب والمصائب والالام والذي ادى فعلا الى شهادتها ﷺ وما حدث عليها وفي بيتها ذلك البيت المقدس والذي كان يقدسه الرسول الاكرم ﷺ وكان يقف عند تلك الباب اكثر من ستة اشهر ويتلو الاية المباركة:

(انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وكان التهديد باحراقه ..وهذا أمر صعب للغاية لا يتحقَّق إلا من خلال أمور:

١- خروج الزهراء ﷺ من البيت ولا مانع مادام هي من المطهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس.

٢ـ خلق أجواء مثيرة للأحاسيس وتحريك العواطف ..بكائها.. وأنينها.. وكلامها اللاذع وايقاع الهزة في النفوس وجذب الانظار..

٣ـ كتمان ما تواجهه من الضرب وكسر الضلع واسقاط الجنين وغيره عن الامام عليٍ عليه السلام لاحراز النصر النهائي .

٤ـ أن لا يشترك العدو المتظاهر بالإسلام في تشييع جنازتها وأن تدفن جنازتها سراً وهذا اكبر دليل على مظلوميتها وعدم رضاها .

٥ـ أن تكون مجهولة القبر فلا يعلم بمحلّه وهذا يبقى لغزا محيرا للناس كافة الى ضهور ولدها الامام الحجة ابن الحسن عجل الله تعالى فرجه وسهل مخرجه .

٦ـ واخيرا وليس آخرا هو عدم نشر وصيتها بل تبقى في مصحفها المبارك.

المعاناة:

وأمّا الامام أمير المؤمنين عليه السلام فهل يمكنه أن يتغافل عمّا سيحدث على بضعة الرسول الزهراء عليها السلام ؟

وهل يمكن للإنسان أن يتصور شدة المعاناة التي كانت يعاني منها أمير المؤمنين عليٍ عليه السلام وكذلك مستوى صبره عليه السلام؟

كيف وهو يرى تراثه المنهوب ويتعرف على ضلع الزهراء عليها السلام المكسور وجنينها الشهيد ؟

يقول عليه السلام:(أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أنَّ محلّي منها محل القطب من الرحى ينحدر عنى السيل ولا يرقى إليّ الطير فسدلتُ دونها ثوبا وطويت عنها

كشحاً وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا أرى تراثي نهبا..) / نهج البلاغة لإبن أبي حديد..

ويقول في موضع آخر :(فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا ذاب ولا مساعد إلاّ أهل بيتي فضننت بهم عن المنية فأغضيت على القذى وجرعت ريقي على الشجا وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم وآلم للقلب من وخز الشفار)/المصدر السابق .

الكفـؤ:

أن التكافؤ بين الزهراء ﷺ وعليّ ﷺ الوارد في الأحاديث الكثيرة ومنها الحديث عن يونس بن ظبيان عن أبي عبدالله ﷺ قال سمعته يقول لولا أن الله خلق أمير المؤمنين لفاطمة ما كان لها كفؤ على الأرض./ بحار الأنوار

لا يعني التكافؤ في الحياة الزوجية فحسب ولا يعني أيضاً أنهما مجمع النورين والبحرين بعد تفرقهما في عبدالله وأبي طالب حيث ورد في تفسير الآية:

(مرج البحرين يلتقيان..).

عن جابر عن أبي عبدالله قال ﷺ في قوله عز وجل مرج البحرين يلتقيان قال : علي وفاطمة ﷺ ./ بحار الأنوار

بل الى ابعد من ذلك فهناك أمر أهم من ذلك وأرفع مستوى وهو التكافؤ في أداء التكليف الإلهي بحيث كل يكمل الآخر.. وكل يؤدى تكليفه المتناقض مع تكليف الاخر ظاهراً والمطابق معه واقعا فهو تكليف واحد ولكن قد تجلّى وظهر في موقفين متضادين تماماً.

ومن هنا نعرف السر في الحديث القدسي:(لولا علي لما خلقت فاطمة ..الخ.).

فدك هو المبرر لهذا الموقف

ومبرّر ثورتها هي فدك و هذه فدك لها بعدان رئيسيّان:

أحدهما: أنّها قرية في الحجاز، بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة وهي أرض يهودية وكان يسكنها طائفة من اليهود ولم يزالوا على ذلك حتى السنة السابعة حيث قذف الله بالرعب في قلوب أهليها فصالحوا رسول الله ﷺ على النصف من فدك وروي أنه صالحهم عليها كلها. وابتدأ بذلك تاريخها الإسلامي فكانت مُلكاً لرسول الله ﷺ لأنها مما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ثم قدمها لابنته الزهراء وبقيت عندها حتى توفى أبوها ﷺ فانتزعها أبوبكر وأصبحت من مصادر المالية العامة وموارد ثروة الدولة يوم ذاك حتى تولى عمر الخلافة واستمر اغتصاب فدك خلال فترة عثمان وفترة الحكم الاموي والعباسي وارجعت ايام عمر بن عبد العزيز والمامون.

ثانيهما: أنّها تمثل الولاية بعينها أو من لوازمها التي قد تجسّدت في ذلك اليوم و هى عصب حياة الخلافة الإسلامية لا يمكن الاستقرار على منصة الحكم بدونها.. ومن حكمة رسول الله ﷺ أنه منح فدك لابنته الزهراء وذلك حين نزل قوله تعالى: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ..) وفي مصباح الأنوار عن عطية قال: لمّا نزلت وآت ذا القربى حقّه دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدك) ﷺ قال قلت: أ كان رسول الله ﷺ أعطى فاطمة فدك؟

قال: كان رسول الله ﷺ وقفها فأنزل الله وات ذا القربى حقه فأعطاها رسول الله ﷺ حقها، قلت: رسول الله ﷺ أعطاها؟

قال بل الله تبارك وتعالى أعطاها../ بحار الأنوار

مفاجأة:

فما هي الحيلة التي ينبغي أن يتخذها الخليفة لإسكات بنت رسول الله ﷺ ؟

ليس هناك حل إلاّ الضرب والجرح والحرق ومن ثم القتل والشهادة وهذا الأمر هو الذي سوف يفضح الخليفة ومن تبعه وشايعه كما فضحهم بين الأشهاد حين مارسوا تلك الفضيحة ولا خلاص منها إلى يوم القيامة.

تحقق الاطروحة الفاطمية:

وبالفعل قد تحقق الهدف المطلوب من هذا السكوت للامام علي عليه السلام وكذلك الاحتجاج والمطالبة بحقها الزهراء عليها السلام وتحققت الاطروحة الفاطمية.. وبقي الإسلام والقرآن كأطروحة حديثة في صون من شر الجاهلية الثانية وانكشفت جرائم من أراد بالإسلام سوءً وذلك بعد استشهاد بنت الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله على أيديهم وهي مبغضة لهم غير راضية عنهم بصريح الأحاديث الكثيرة التّي نقلها المؤالف والمخالف ومنها:

(حدثني محمد بن رافع أخبرنا حجين حدثنا ليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها أخبرته أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر الصديق، تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر.

فقال أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل ال محمد صلى الله عليه وآله في هذا المال وإني والله لا أغير شيئا من صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وآله.

فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئا فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك.

قال فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي بن أبي طالب ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها علي..الخ) / صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير الحديث.

بقيت أطروحة الولاية ثابتة كأطروحة ليست إلاّ وأخذ الخلّص من الموالين لأهل البيت عليهم السلام يترصدون الفرصة المناسبة لتنفيذ تلك الأطروحة المباركة، أعني الولاية وبدأ مفهوم الانتظار يترسّخ في قلوب الشيعة المخلصين حتى صار أفضل عبادة .. وكان

هو المطلوب هذا :

وقد استمرت غربة الإسلام المحمدي الأصيل، أي إسلام الغدير، قروناً متوالية ومرّت على المؤمنين وفي طليعتهم أئمة الشيعة عليهم السلام ظروفٌ صعبة إلى الغاية وضحوا ما ضحوا من الأموال والأنفس الطاهرة، كل ذلك لأجل الحفاظ على أصالة الإسلام المحمدي (الذي هو إسلام الرفض) ومن منطلقه تبلورت مدرسة الإنتظار والترقب، تلك المدرسة التي لا تمتلك روحية الانتقام وأخذ الثأر إلى أن يأتي صاحب الثأر ولي العصر عجل الله فرجه.ومن الواضح أن أئمتنا عليهم السلام كلهم كانوا يعيشون منتظرين للفرج ويحرضون أصحابهم أيضاً على ذلك وهم مع ذلك كانوا يسعون عملاً للتمهيد لتلك الدولة المباركة المأمولة، أعني دولة المهدي الموعود (عج).

لقد حقق أئمتنا عليهم السلام ذلك الهدف ضمن مجالين

المجال الأول: تربية نخبة من المؤمنين الخُلَّص في كل عصر، لا أعني من الخُلَّص ما يستنبطه البعض من الكلمة بل أعني أولئك الذين قد فهموا الإسلام- بمعنى الكلمة - حقّاً فهم بطبيعة الحال الغرباء بين الصديق والعدوّ وهم الحجة علي الآخرين وإن كان عددهم لا يتعدّى أصابع اليد في أكثر الأزمنة. والجدير أن التاريخ يذكرهم بأسمائهم وأوصافهم.

المجال الثاني: تثبيت الإسلام الخالص صريحا أو إيماءً ضمن التراث العظيم من الأحاديث الذي حافظ عليها السلف الصالح بقدر الإمكان حرفاً بحرف وحيث لم يكن بإمكانهم فهمها فضلاً عن العمل بها لربما غفلوا عن محتواها أو فسروها تفسيرا غير مرضيّ

هذا واستمرَّ هذا الوضع إلى أن انتهى عصر الغيبة الصغرى للمهدي المنتظر (عج) وبدأت الغيبة الكبرى وهو عصر اليُتم وانتظار فرج آل محمَّد عليهم السلام..

الفصل التاسع

مظلومية الزهراء ﷺ

ان الكثير من الامة قد تكالب على ظلم الزهراء ﷺ بعد التحاق الرسول المصطفى ﷺ بالرفيق الاعلى مع علم الامة بمقامها عند الله وعند رسوله وعلمهم بانها سيدة نساء العالمين وانها البضعة الطاهرة للأئمة النجباء المعصومين وذلك بتقديم مطامعهم الخاصة المادية الدنيوية وغير القانونية على مصلحة الامة وكذلك تفضيل مطامعهم على مرضات الله ورسوله .

ان مظلومية الزهراء ﷺ وما مرّت بها من محن متعددة، لم تمر على أية امراة مقارنة مع درجتها ومنزلتها عند الله تعالى وعند الرسول المصطفى ﷺ وماهو مطلوب من الامة من احترام وتقديس لها ﷺ. .وعلى أقل تقدير انصافها وعدم ظلمها او التجاوز عليها ..ولابد من التعرض الى أهم المظالم التي مرت بها الزهراء ﷺ:

١ـ غصب فدك:

فدك كما اسلفنا كانت نحلة من رسول الله ﷺ وهدية للزهراء ﷺ وفاءً لامها خديجة ﷺ وقد تتابعت عليها الاحداث الاتية:

١ـ كانت بيد فاطمة الزهراء ﷺ من سنة سبع من الهجرة النبوية وخلال فترة حياة النبي ﷺ وحتى تولى أبوبكر الخلافة تديرها بواسطة وكيل لها فيها، توزّع ثمارها وما تنتجه على فقراء المسلمين.

٢ـ لما تولى أبوبكر الخلافة فقد سلبها من فاطمة الزهراء ﷺ بحجة أنها فيء المسلمين.

٣- وهبها معاوية الى مروان بن الحكم ليغيظ بذلك آل الرسول - ومعنى ذلك أنها لم تكن قطعة أرض وإنما معناها أكثر قيمة واهمية منها.

٤- وهبها مروان الى ابنه عبدالعزيز، فورثها ابنه عمر منه ولما ولي الامر عمر بن عبدالعزيز ردّ فدكاً الى أبناء فاطمة وعلي ﷺ.

٥- لما ولي يزيد بن عبدالملك قبضها فلم تزل في أيدي بني أمية حتى ولي أبو العباس السفاح الخلافة.

٦- دفعها أبو العباس السفاح الى ولد علي مرة ثانية الى أن ولي الامر المنصور.

٧- لما خرج بنو الحسن على المنصور قبض فدكاً منهم. فرجعت بيد بني العباس.

٨ - لما استوى الامر للمأمون ردّ فدكاً الى ابناء فاطمة وعلي ﷺ بعد أن استوثق عنها من القضاة في دولته وكتب لهم بذلك كتاباً فقام دعبل الشاعر وأنشد:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا بردّ مأمونٍ هاشمٍ فدكا

٢- الهجوم على دار الزهراء ﷺ :

لقد رفض الإمام علي ﷺ البيعة لأبي بكر وأعلن سخطه على النظام الحاكم، ليتّضح للعالم أنّ هذه الحكومة التي أعرض عنها الرجل الأوّل في الإسلام بعد رسول الله ﷺ لا تمثّل الخلافة الواقعية لرسول الله ﷺ وكذلك فعلت فاطمة الزهراء ﷺ ليعلم الناس أنّ ابنة نبيّهم ساخطة عليهم وهي الصادقة المصدقة والمطهرة باية التطهير .. وبهذا فلا شرعية لهذا الحكم .

وبدأ الإمام علي ﷺ من جانب آخر جهاداً سلمياً ضد الغاصبين للحقّ الشرعي ووقف مع الإمام علي ﷺ عدد من أجلاّء الصحابة من المهاجرين والأنصار وخيارهم وممّن أشاد الرسول المصطفى ﷺ بفضلهم، مع إدراكهم لحقائق الأمور مثل: العباس بن عبدالمطلب وعماربن ياسر وأبي ذر الغفاري وسلمان المحمدي والمقداد بن الأسود وخزيمة ذي الشهادتين وعبادة بن الصامت وحذيفة بن اليمان وسهل بن حنيف وعثمان بن حنيف وأبي أيوب الأنصاري وغيرهم من الذين لم تستطع أن تسيطر عليهم الغوغائية ولم ترهبهم تهديدات الجماعة التي مسكت بزمام الخلافة وفي مقدّمتهم عمر بن الخطّاب .

وقد قام عدد من الصحابة المعارضين لبيعة أبي بكر بالاحتجاج عليه وجرت عدّة محاورات معه وامام الانظار في مسجد النبي ﷺ وفي أماكن متعددة ولم يهابوا من إرهاب السلطة، ممّا ألهب مشاعر الكثيرين الذين أنجرفوا مع التيار، فعاد إلى بعضهم رشده وندموا على ما ظهر منهم من تسرّعهم واندفاعهم لعقد البيعة بصورة ارتجالية لأبي بكر، بالإضافة إلى ما ظهر منهم من العداء السافر تجاه أهل بيت النبوّة ﷺ .

وكانت هناك بعض العشائر المؤمنة المحيطة بالمدينة مثل: أسد وفزارة وبني حنيفة وغيرهم، ممّن شاهد بيعة يوم الغدير التي عقدها النبي ﷺ لعلي ﷺ بإمرة المؤمنين من بعده ولم يطل بهم المقام حتّى سمعوا بالتحاق النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى والبيعة لأبي بكر وتربّعه على منصّة الخلافة، فاندهشوا لهذا الحادث ورفضوا البيعة لأبي بكر جملةً وتفصيلاً وامتنعوا عن أداء الزكاة للحكومة الجديدة باعتبارها غير شرعية، حتّى ينجلي ضباب الموقف وكانوا على إسلامهم يقيمون الصلاة ويؤدّون جميع الشعائر. وكان في مقدمتهم مالك بن نويرة .

ان السلطة الحاكمة رأت أنّ من مصلحتها أن تجعل حدّاً لمثل هؤلاء الذين يشكّلون خطراً للحكم القائم، ما دامت معارضة الإمام علي ﷺ وصحابته تمثّل خطراً داخلياً للدولة الإسلامية، عند ذلك أحسّ أبو بكر وأنصاره بالخطر المحيط بهم وبحكمهم من

خلال تصاعد المعارضة إن لم يبادروا فوراً إلى ايقاف هذا التيارالمعارض وذلك بإجبار رأس المعارضة الإمام علي عليه السلام على بيعة أبي بكر .

وذكر المؤرّخون: أنّ عمر بن الخطّاب أتى أبا بكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة ؟ يا هذا لم تصنع شيئاً ما لم يبايعك علي ، فابعث إليه حتّى يبايعك.
فبعث أبو بكر قنفذاً، فقال قنفذ لأميرالمؤمنين علي عليه السلام:أجب خليفة رسول الله ..
قال علي عليه السلام: (لسريع ما كذبتم على رسول الله صلى الله عليه وآله) فرجع فأبلغ الرسالة فبكى أبو بكر، فقال عمر ثانيةً: لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقنفذ: عُد إليه فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءهُ قنفذ، فأدّى ما أمر به .
فرفع علي عليه السلام صوته وقال: (سبحان الله ، لقد إدّعى ما ليس له) فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر، فقال عمر: قم إلى الرجل، فقام أبو بكر وعمر وعثمان وخالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة وأبو عبيدة بن الجرّاح وسالم مولى أبي حذيفة .

وظنّت فاطمة الزهراء عليها السلام أنّه لا يدخل بيتها أحدٌ إلاّ بإذنها ..ذلك البيت الذي كان موضع تقديس الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله..فلمّا أتوا باب فاطمة الزهراء عليها السلام ودقّوا الباب وسمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: يا أبتِ يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة، لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة بأيدينا وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا ولم تردّوا لنا حقّاً .

فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تتصدّع وأكبادهم تنفطر وبقي عمر ومعه قوم ودعا عمر بالحطب ونادى بأعلى صوته: والذي نفس عمر بيده لتخرجنَّ أو لأحرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إنّ فيها فاطمة، فقال: وإن!!.

فوقفت فاطمة الزهراء ﷺ خلف الباب وخاطبت القوم:

(ويحك يا عمر ما هذه الجرأة على الله وعلى رسوله ؟ تريد أن تقطع نسله من الدنيا وتفنيه وتطفئ نور الله ؟ والله متّم نوره) .

فركل عمر الباب برجله فاختبأت فاطمة ﷺ بين الباب والحائط رعاية للحجاب، فدخل القوم إلى داخل الدار ممّا سبّب عصرها ﷺ وكان ذلك سبباً في إسقاط جنينها محسن رضوان الله عليه .

وتواثبوا على الامام علي أميرالمؤمنين ﷺ وهو جالس على فراشه واجتمعوا عليه حتّى أخرجوه ملبّباً بثوبه يجرّونه إلى السقيفة، فحالت فاطمة الزهراء ﷺ بينهم وبين بعلها وقالت: (والله لا أدعكم تجرّون ابن عمّي ظلماً ويلكم ما أسرع ما خُنتم الله ورسوله فينا أهل البيت وقد أوصاكم رسول الله ﷺ باتّباعنا وموذّتنا والتمسّك بنا) فأمر عمر قنفذاً بضربها، فضربها قنفذ بالسوط، فصار بعضدها مثل الدملج .

وأخرجوا الإمام علي ﷺ يسحبونه إلى السقيفة حيث مجلس أبي بكر وهو ينظر يميناً وشمالاً وينادي: (وا حمزتاه ولا حمزة لي اليوم وا جعفراه ولا جعفر لي اليوم) وقد مرّوا به على قبر أخيه وابن عمّه رسول الله ﷺ فنادى: (يا ابن أُم إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني).

وروي عن عدي بن حاتم أنّه قال:

والله ما رحمت أحداً قطّ رحمتي علي بن أبي طالب ﷺ حين أُتي به ملبّباً بثوبه، يقودونه إلى أبي بكر وقالوا له:بايع ، قال:(فإن لم أفعل فمَه) ؟

قال له عمر :

إذاً والله أضرب عنقك، قال علي ﷺ: (إذاً والله تقتلون عبدالله وأخا رسوله).

فقال عمر : أمّا عبدالله فنعم، وأمّا أخو رسول الله فلا، فقال: (أتجحدون أنّ رسول الله ﷺ آخى بيني وبينه ؟.. وجرى حوار شديد بين الإمام ﷺ وبين الحزب الحاكم .

وعند ذلك وصلت السيّدة فاطمة الزهراء ﷺ وقد أخذت بيد ولديها الحسن والحسين ﷺ وما بقيت هاشمية إلاّ وخرجت معها، يصحن ويولولن، فقالت فاطمة الزهراء ﷺ:

(خلّوا عن ابن عمّي .. خلّوا عن علي .. والله لأكشفن رأسي ولأضعنّ قميص أبي على رأسي ولأدعونّ عليكم، فما ناقة صالح بأكرم على الله منّي ولا فصيلها بأكرم على الله من ولدي).

وجاء في رواية العياشي أنّها قالت:

(يا أبا بكر، أتريد أن ترملني عن زوجي وتيتّم أولادي ؟ والله لئن لم تكفّ عنه لأنشرنّ شعري ولأشقّنّ جيبي ولاتينّ قبرأبي ولأصرخنّ إلى ربّي) فأخذت بيد الحسن والحسين تريد قبر أبيها، عند ذلك تصايح الناس من هنا وهناك بأبي بكر:

ما تريد إلى هذا ؟ أتريد أن تنزل العذاب على هذه الأُمّة؟

وراحت الزهراء ﷺ وهي تستقبل المثوى الطاهر لرسول الله ﷺ تستنجد بهذا الغائب الحاضر: (يا أبت يا رسول الله ﷺ ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة) ؟ فما تركت كلمتها إلاّ قلوباً صدعها الحزن وعيوناً جرت دمعاً .

حول هتك حرمة بيت الزهراء ﷺ :

انّ هجوم عمر على الدار وضربه للصديقة الزهراء ﷺ.. يستوجب هتك الحرمة .

في الخبر أنّ فاطمة الزهراء ﷺ لما رأت هجوم القوم بالنارعلى بيتها، أقبلت خلف الباب تكلّمهم وتذكّرهم بأنّ هذا البيت هو في مقدّمة البيوت التي قال الله في حقّها:

(في بيوت أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه) / سورة النور٣٦ وأنّ هذا البيت هو البيت الذي كان لا يدخله جبرئيل ﷺ ولا النبي ﷺ إلاّ بإذن، مضافاً إلى أنّ المرء يكرم في ولده وهي البنت الوحيدة التي خلّفها رسول الله ﷺ من بعده وكانت ﷺ تتوقّع أنّهم سيتذكّرون ويخشعون ولكنّهم كانوا كما أخبر الله عنهم: (وما محمّد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم) / سورة آل عمران١٤٤.

هتك باب الزهراء هو هتك حجاب الله:

ورد عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام قوله عن الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله :(الا ان فاطمة بابها بابي وبيتها بيتي فمن هتكه فقد هتك حجاب الله) !.

ثم قال الامام عليه السلام (هُتك والله حجاب الله) قالها ثلاث مرات .

تلك الباب التي كان صلى الله عليه وآله لا يدخلها الا بالاستئذان، فقد هُتكت حرمتها وأريد لها ان تحرق ولقد تعرض الشعراء لواقعة الهجوم على دار فاطمة عليها السلام وحصر الزهراء خلف الباب وقد ورد منها قول الشاعر:

يا باب فاطم لاطُرقت بخيفة ويد الهدى سدلت عليك حجابا

أولست انت بكل حين مهبط الاملاك فيك تقبّل الاعتابا

وآهاً عليك فما استطعت تصدهم لمّا أتوك بنو الظلال غظابا

نفسي فداك أما علمت بفاطم وقفت ورآءك توبّخ الاصحابا

أوما درى المسمار حين اصابها من قبلها قلب النبي اصابا

٣- التهديد بالإحراق:

بعض الأخبار والروايات تقول بأن عمر بن الخطاب قد هدد بالإحراق، فكان العنوان الأول التهديد وهذا ما نجده في كتاب المصنف لابن أبي شيبة من مشايخ البخاري المتوفى سنة ٢٣٥ هجرية يروي هذه القضية بسنده عن زيد بن أسلم وزيد عن أبيه أسلم وهو مولى عمر، يقول: حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله، كان علي والزبير يدخلان على فاطمة بنت رسول الله، فيشاورونها ويرتجعون في أمرهم، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب، خرج حتى دخل على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله، والله ما أحد أحب إلينا من أبيك، وما من أحد أحب إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن أمرتهم أن يحرق عليهم البيت /المصنف لابن ابي شيبة. وفي تاريخ الطبري بسند آخر: أتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحة والزبير

(هذه نقاط مهمة وحساسة لا تفوتنا. في البيت كان طلحة أيضا، الزبير كان من أقربائهم، أما طلحة فهو تيمي) ورجال من المهاجرين فقال: والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة، فخرج عليه الزبير مصلتا سيفه، فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه/ تاريخ الطبري ٣/ ٢٠٢ .

ونكتفي بهذين المصدرين في عنوان التهديد . لكن بعض كبار الحفاظ منهم لم تسمح له نفسه لأن ينقل هذا الخبر بهذا المقدار بلا تحريف، فهذا كتاب الإستيعاب لابن عبد البر ، فإنه يروي هذا الخبر عن طريق أبي بكر البزار بنفس السند الذي عند ابن أبي شيبة، يرويه عن زيد بن أسلم عن أسلم وفيه: إن عمر قال لها: ما أحد أحب إلينا بعده منك، ثم قال: ولقد بلغني أن هؤلاء النفر يدخلون عليك ولأن يبلغني لأفعلن/ الاستيعاب في معرفة الاصحاب.

ولأفعلن نفس الخبر، بنفس السند، عن نفس الراوي وبهذا التصرف الوقح فكيف نريد أن ينقلوا لنا إنه أحرق الدار بالفعل ؟

وأي عاقل يتوقع من هؤلاء أن ينقلوا القضية كما وقعت ؟

إن من يتوقع منهم ذلك إما جاهل وإما يتجاهل الحقيقة..وهكذا حرف التاريخ.

٤- المجيئ بقبس من نار:

وهناك عنوان آخر وهو جاء بقبس أو جاء بفتيلة هذا أيضا ينقل من بعض المصادر:

روى البلاذري المتوفى سنة ٢٢٤ هجرية في أنساب الأشراف بسنده: إن أبا بكر أرسل إلى علي يريد البيعة، فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة، فتلقته فاطمة على الباب فقالت فاطمة: يا بن الخطاب، أتراك محرقا علي بابي ؟ قال: نعم وذلك أقوى فيما جاء به أبوك.. / أنساب الاشراف .

وفي العقد الفريد لابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨ هجرية: وأما علي والعباس والزبير، ففعدوا في بيت فاطمة حتى بعث إليهم أبو بكر..

ولم يكن عمر هو الذي بادر، بعث أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجوا من بيت فاطمة وقال له: إن أبوا فقاتلهم، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمة فقالت: يا بن الخطاب، أجئت لتحرق دارنا ؟

قال: نعم، أو تدخلوا ما دخلت فيه الأمة/ العقد الفريد ..

ولو درسنا النصوص بتأمل نرى العجب من تصرفاتهم !.

وروى أبو الفداء المؤرخ المتوفى سنة ٧٣٢ هجرية في المختصر في أخبار البشر الخبر إلى: وإن أبوا فقاتلهم، ثم قال: فأقبل عمر بشئ من نار على أن يضرم الدار/ المختصر في أخبار البشر .

٥- إحضار الحطب ليحرق الدار:

ففي رواية بعض المؤرخين: أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار وهذا في تاريخ المسعودي (مروج الذهب) وعنه ابن أبي الحديد في شرح النهج عن عروة بن الزبير، إنه كان يعذر أخاه عبدالله في حصر بني هاشم في الشعب وجمعه الحطب ليحرقهم، قال عروة في مقام العذر والاعتذار لأخيه عبدالله ابن الزبير بأن عمر أحضر الحطب ليحرق الدار على من تخلف عن البيعة لأبي بكر/ مروج الذهب للمسعودي وشرح ابن ابي الحديد.

أحضر الحطب هذا ما يقوله عروة بن الزبير وأولئك يقولون جاء بشئ من نار فالحطب حاضر والنار أيضا جاء بها، أتريدون أن يصرحوا بأنه وضع النار على الحطب، يعني إذا لم يصرحوا بهذه الكلمة ولن يصرحوا ، نبقى في شك أو نشكك في هذا الخبر، الخبر الذي قطع به أئمتنا، وأجمع عليه علماؤنا وطائفتنا !.

٦- المجئ للإحراق:

وهذه عبارة أخرى قد وردت وهي: إن عمر جاء إلى بيت علي ليحرقه..

وبهذه العبارة تجدون الخبر في كتاب روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر لابن الشحنة المؤرخ المتوفى سنة ٨٨٢ هجرية وكتابه مطبوع على هامش بعض طبعات الكامل لابن الأثير وهو تاريخ معتبر يقول: إن عمر جاء إلى بيت علي ليحرقه على من فيه، فلقيته فاطمة فقال: أدخلوا فيما دخلت فيه الأمة هذا..

وفي كتاب لصاحب الغارات إبراهيم بن محمد الثقفي، في أخبار السقيفة، يروي عن أحمد بن عمرو البجلي، عن أحمد ابن حبيب العامري، عن حمران بن أعين، عن أبي عبدالله جعفر بن محمد ﷺ قال: والله ما بايع علي حتى رأى الدخان قد دخل بيته (يقصد المصالحة معهم وليس البيعة).. كتاب السقيفة لهذا المحدث الكبير لم يصلنا ونقل هذا المقطع عن كتابه المذكور: الشريف المرتضى في كتاب الشافي في الإمامة .
وعندما نراجع ترجمة هذا الشخص (إبراهيم بن محمد الثقفي المتوفى سنة ٢٨٠ أو ٢٨٣ هجرية) نرى من مؤلفاته كتاب السقيفة وكتاب المثالب ولم يصلنا هذان الكتابان وقد ترجم له علماء السنة ولم يجرحوه بجرح أبدا، غاية ما هناك قالوا: رافضي . نعم هو رافضي، ألف كتاب السقيفة وألف كتاب المثالب ونقل مثل هذه الأخبار، روى مسندا عن الصادق أبي عبدالله جعفر بن محمد: والله ما بايع علي حتى رأى الدخان قد دخل بيته . ومما يدل على صحة روايات هذا الشخص (إبراهيم بن محمد الثقفي) ما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني قال: لما صنف كتاب المناقب والمثالب أشار عليه أهل الكوفة أن يخفيه ولا يظهره.
فقال: أي البلاد أبعد عن التشيع ؟ فقالوا له: إصفهان (إصفهان ذاك الوقت) فحلف أن يخفيه ولا يحدث به إلا في إصفهان ثقة منه بصحة ما أخرجه فيه، فتحول إلى إصفهان وحدث به فيها../ لسان الميزان.
ذكره أبو نعيم الأصبهاني بأخبار أصبهان في هذه الرواية: والله ما بايع علي حتى رأى الدخان قد دخل بيته وأولئك كانوا يتجنبون التصريح بهذه الكلمة صرحوا بالحطب صرحوا بالنار صرحوا بالقبس صرحوا بالفتيلة صرحوا بكذا وكذا..

إلا أنهم يتجنبون التصريح بكلمة إنه وضع النار على الحطب وتريدون أن يصرحوا بهذه الكلمة ؟

أما كانوا عقلاء ؟ أما كانوا يريدون أن يبقوا أحياء ؟ إن ظروفهم ما كانت تسمح لهم لأن يرووا أكثر من هذا ومن جهة أخرى، كانوا يعلمون بأن القراء لكتبهم والذين تبلغهم رواياتهم سوف يفهمون من هذا الذي يقولون أكثر مما يقولون ويستشمون من هذا الذي يذكرون الأمور الأخرى التي لا يذكرون، أتريدون أن يقولوا بأن ذلك وقع بالفعل ويصرحوا به تمام التصريح، حتى إذا لم تجدوا التصريح الصريح والتنصيص الكامل تشكون أو تشككون هذا والله لعجيب من الامر!..

٧- حرق بيت فاطمة:

تنقل مصادر الفريقين ان القوم بعد رحيل الرسول ﷺ هجموا على بيت فاطمة الزهراء ﷺ وأضرموا فيه النار وروى خبر الهجوم وحرق الدار جملة من ائمة العامة مثل ابن قتيبة الدينوري في الإمامة والسياسة والبلاذري في أنساب الأشراف وابن عبد ربه الاندلسي في العقد الفريد والطبري في تاريخه كما وثبّت الحادثة شعراً الشاعر حافظ ابراهيم في ديوانه فقال في قصيدته المعروفة:

وقولة لعلي قالها عُمر أكرم بسامعها أعظم بملقيها

حرّقت دارك لا أبقي عليك إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها

٨- ضرب الزهراء ﷺ والتعدي على شخصيتها

ولم يكتفِ الثاني بالهجوم على الدار واحراقها بل رفع السيف من غمده ووجأ به جنبها ولما صرخت ﷺ رفع السوط فضرب به ذراعها، حتى صاحت ﷺ: (يا أبتاه)..

وقد نقل خبر الضرب عبدالقاهر الاسفرائيني في ترجمة النظام من كتاب الفرق بين الفرق .

٩ـ كسر ضلعها

ان الدليل على كسر ضلع الزهراء ﷺ: جاء في الاحتجاج:إنّ الدليل على صحة قضية كسر ضلع الزهراء ﷺ هو:

١ـالنصوص الكثيرة الواردة عن أئمّة أهل البيت ﷺ.. ونذكر نموذجا منها وفي مرآة العقول:. هذا الحديث(فحالت فاطمة ﷺ بين زوجها وبينهم عند باب البيت فضربها قنفذ بالسوط .. إلى أن قال: فأرسل أبو بكر إلى قنفذ لضربه .. فألجأها إلى عُضادة باب بيتها .. فدفعها فكسر ضلعا من جنبها، وألقت جنينا من بطنها) .

٢ـ جاء في إقبال الأعمال والبحار: .. نص الزيارة التي يقول فيها الممنوعة إرثها، المكسورة ضلعها، المظلوم بعلها والمقتول ولدها .

٣ـ جاء في الامالي للصدوق وإرشاد القلوب للديلمي والبحار والعوالم:.. عن ابن عباس قال:إنّ رسول الله كان جالسا إذ أقبل الحسن ﷺ.. إلى أن قال وأما ابنتي فاطمة وإنّي لما رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعدي .. كأنّي بها وقد دخل الذل بيتها .. وانتهكت حرمتها .. وغصب حقّها .. ومنعت إرثها .. وكسر جنبها .. وأسقطت جنينها.. الخ..

٤ـ جاء في كتاب سليم بن قيس، بتحقيق محمد باقر الانصاري: (فألجأها قنفذ لعنه الله الى عضادة باب بيتها ودفعه، فكسر ضلعها من جنبها، فألقت جنينا من بطنها، فلم تزل صاحبة فراش حتّى ماتت صلى الله عليها من ذلك شهيدة).

وخلاصة الأمر:

إنّه لا يمكن بملاحظة كل ما ذكرناه تكذيب هذا الأمر ما دام أنّ القرائن متوفرة على أنّهم قد هاجموها، وضربوها .. واسقطوا جنينها .. وصرّحت النصوص بموتها شهيدة

أيضا، الأمر الذي يجعل من كسر الضلع أمرا معقولا ومقبولا في نفسه .. فكيف إذا جاءت روايته في كتب الخاصة والعامة .. بل وأشار اليه الشعراء أيضا .. ولاسيّما المتقدمون منهم.

ثمّ لا يخفى علينا أنّنا لا نحتاج في إثبات هذه القضايا الى صحة السند، بل يكفي الوثوق بصدورها وعدم وجود داع الى الكذب كاف لصحة الأخذ بالرواية :

ولما ضربها ألجأها الى عضادة بيتها، فدفعها فكسر ضلعها من جنبهاهذا ما رواه سُليم بي قيس في كتابه.

١٠ـ انبات المسمار

ولما ضربها اللعين وكسر ضلعها دفع الباب دفعة فعصرها ﷺ ما بين الحائط والباب حتى كادت روحها أن تخرج من شدّة العصر فنبت فيها مسمار من الباب ونبع الدم من صدرها ومن ثدييها كما أورده الحائري في الكوكب الدري وقال الشاعر:

وَكزُ نَعلِ السَيفِ فِي جَنْبَيْهَـــا ... أتَى بِكُلِ مَا أتَـــى عَليها

ولَسْتُ أدْرِي خَبَرَ المِسْمَـارِ ... سَلْ صَدْرَهَا خِزَانَةَ الأسْـــرار

وفِي جَبِينِ المَجْدِ ما يُدْمِي الحَشَا ... وهَلْ لَهُمْ إخْفاءُ أمرٍ قد فشا

والبابُ والجِدَارُ والدِمـَاءُ ... شُهُودُ صِدْقٍ مَا بِهَا خفَـــاءُ

لَقَدْ جَنَىْ الجَانِي عَلَى جَنِينِهَا ... فَانْدَكَتِ الجِبَالُ مِنْ حَنِينِـــهَا

أهَكَذَا يُصْنَعُ بِابْنَـــةِ النَبِي ... جِرْصًا على المُلكِ فَيَـا لِلْعَجَبِ

١١ـ إسقاط جنينها المحسن عليه السلام

وإثر كسر الضلع وانبات المسمار وعصرها بين الباب والحائط أسقطت ﷺ جنينها من بطنها وهذا ما كثر ذكره في مصادر المعتبرة للمخاف والمؤالف ومنها ميزان الاعتدال

للذهبي(ج١، ص١٣٩) ولسان الميزان لا بن حجر (ج١، ص٢٩٢) والوافي بالوفيات للصفدي (ج٥، ص٣٤٧) وغيرهم الكثير.

١٢- بيت الأحزان

ونتيجة لكل ذلك الظلم الذي حلّ عليها ظلت محزونة مكروبة باكية حتى سمع أهل المدينة بكاءها فصنع لها الامام علي عليه السلام بيتاً كانت تلجأ له لتعيش وجعها بما جرى عليها، عُرف ببيت الأحزان.

بكاء فاطمة عليها السلام وفلسفته:

لقد بقيت فاطمة الزهراء عليها السلام بعد التحاق ابيها الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله حزينة معصبة الرأس ناحلة الجسم منهدة الركن باكية العين محترقة القلب، يُغشى عليها ساعة بعد ساعة.

روي ان فاطمة الزهراء عليها السلام بعد وفاة ابيها صلى الله عليه وآله كانت تصطحب الحسنين معها الى البقيع حتى تظل تبكي الى المساء وقد بنى لها الامام علي عليه السلام بيت الاحزان المشهور ليكون ظلا لها من اشعة الشمس ولكن بكاءها جعلهم يهدموا البيت ويقطعوا الشجرة التي تستظل بها. وكان أميرالمؤمنين عليه السلام يأتيها مساءً فيرجعها الى الدار.

ويرى الشيخ أن المراد من بكاء الزهراء عليها السلام ليلاً ونهاراً ليس استيعاب البكاء لتمام أوقاتها الشريفة، بل هو كناية عن عدم اختصاصه بوقت دون آخر.

وأن بكاءها عليها السلام لا ينافي التسليم لقضاءالله وقدره والصبر عند المصيبة ما دام إظهاراً للرحمة والشفقة، فقد بكى النبي يعقوب عليه السلام على فراق ولده يوسف حتى ابيضّت عيناه من الحزن، كما ذكر في القرآن مع كونه نبياً معصوماً.

فقد كان بكاء الزهراء عليها السلام أمراً وجدانياً لفراق أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله واظهاراً لمظلوميتها ومظلومية بعلها عليه السلام وتنبيهاً على غصب حق أميرالمؤمنين عليه السلام في الخلافة وحزناً على المسلمين من انقلاب جملة منهم على أعقابهم، كما ذكرته الآية المباركة: (أفإن

مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم..) بحيث ذهبت أتعاب الرسول ﷺ في تربية بعض المسلمين سدى..

ظلم الزهراء ﷺ في الشعر العربي عبر القرون

الشعر سند تاريخي في ظلم الزهراء ﷺ:

أن الشعراء قد أفاضوا في ما تعرضت له الزهراء ﷺ من ظلامات ومن ظلم واضطهاد وضرب وإسقاط الجنين . منذ القرون الأولى وإلى يومنا هذا، وهم يجعلون ذلك مبررا لانتقاداتهم لمن شارك في ذلك، أو تصدى له . وبعض هؤلاء الشعراء من معاصري للأئمة ﷺ أو أن عصره قريب من عصرهم . وهذا يعتبر سندا تاريخيا قويا، بل قوته تزيد في تأكيد ثبوت مضمونه على روايات المنقولة من المحدثين والمؤرخين، ونحن نذكر هنا باقة من الشعر في تلك العصور المتلاحقة، وإلى يومنا هذا . . فنقول فيمن روى من الشعراء:

١ـ السيد الحميري (سنة ١٧٣ هـجرية):

إن السيد الحميري ﷺ معاصر للإمامين الصادق والكاظم ﷺ وهو يقول :

ضربت واهتضمت من حقها وأذيقت بعده طعم السلع
قطع الله يدي ضاربها ويد الراضي بذاك المتبع
لا عفا الله له عنه، ولا كف عنه هول يوم المطلع

٢ـ مهيار الديلمي (سنة ٤٢٨ هـجرية):

وقال الشاعر الفذ مهيار الديلمي ﷺ في قصيدته والتي جاء فيها:
كيف لم تقطع يد مد إليك ابن صهاك فرحوا يوم أهانوك بما ساء أباك

٣ـ الخليعي (سنة ٧٥٠ هـجرية):
وقال الشيخ علي بن عبد العزيز الخليعي الحلي في جملة قصيدة له:

يا رب من نوزعت ميراث والدها مثلي ومن طولبت بالحقد والإحن
ومن ترى جرعت في ولده اغصص كابن مرجانة الملعون جرعني
ومن ترى كذبت قبلي وقد علموا أن الإله من الأرجاس طهرني
وهل لبنت نبي أضرمت شعل كما أطيف به بيتي ليحرقني

٥ـ مغامس الحلي (أواخر المئة التاسعة):
وقال الشيخ مغامس الحلي، في جملة قصيدة له:

والطهر فاطمة زوى ميراثها شر الأنام ودمعها مسكوب
من بعدما رمت الجنين بضربة فقضت (بذاك) وحقها مغصوب

٤ـ مفلح الصيمري (سنة ٩٠٠ هـجرية):
وقال العلم العلامة الفقيه الكبير والأديب الجليل الشيخ مفلح الصيمري في جملة قصيدة له:

وقادوا عليا في حمائل سيفه وعمار دقوا ضلعه وتهجموا
على بيت بنت المصطفى وإمامهم ينادي ألا في بيتها النار أضرموا
وتغصب ميراث النبي محمد وتوجع ضربا بالسياط وتلطم

٥ـ الصالح الفتوني العاملي (سنة ١١٩٠ هجرية):

وقال الشيخ محمد مهدي الفتوني النباطي العاملي وهو عالم شاعر إمام في الفقه والحديث والتفسير:

يا سيدي يا رسول الله قم لترى في الآل فوق الذي قد كنت تخبره
هذا علي نفوا عنه خلافته وأنكر النص فيه منه منكره
قادوه نحو فلان كي يبايعه بالكره منه وأيدي الجور تقهره
من أجل ذاك قضى بالسيف مضطهدا شبيره وقضى بالسم شبره
كأنه لم يكن صنوا النبي ولم يكن من الرجس باريه يطهره
وتلك فاطمة لم يرع حرمتها من دق ضلعا لها بالباب يكسره
وذا حسينك مقتول بلا سبب مبضع الجسم داميه معفره

٦ـ السيد حيدر الحلي (سنة١٣٠٤ هجرية):

وقال الشاعر المفلق والأديب المحلق، طليعة شعراء العراق في عصره، السيد حيدر الحلي في جملة قصيدة له:

فلا وصفحك إن القوم ما صفحوا ولا وحلمك إن القوم ما حلموا
فحمل أمك قدما أسقطوا حنقا وطفل جدك في سهم الردى فطموا

٧- السيد باقر الهندي (سنة ١٣٢٩ هجرية):

وقال العالم الجليل والشاعر الكبير السيد باقر بن السيد محمد الهندي:

لست تدري لم أحرقوا الباب بالنار أرادوا إطفاء ذاك النور
لست تدري ما صدر فاطم ما المسمار ما حال ضلعها المكسور
ما سقوط الجنين ما حمرة العين وما بال قرطها المنثور
دخلوا الدار وهي حسرى بمرأى من علي ذاك الأبي الغيور
واستداروا بغيا على أسد الله فأضحى يقاد قود البعير
والبتول الزهراء في إثرهم تعثر في ذيل بردها المجرور
بأنين أورى القلوب ضراما وحنين أذاب صم الصخور
ودعتهم: خلوا ابن عمي عليا أو لأشكو إلى السميع البصير
ما رعوها بل روعوها ومروا بعلي ملببا كالأسير

٨- العلامة القزويني (سنة ١٣٣٥ هجرية):

قال الفاضل العلامة السيد محمد بن السيد مهدي القزويني الحلي النجفي:

قال سليم قلت يا سلمان هل دخلوا ولم يك استئذان
فقال إي وعزة الجبار ليس على الزهراء من خمار
لكنها لاذت وراء الباب رعاية للستر والحجاب
فمذ رأوها عصروها عصرة كادت بروحي أن تموت حسرة
تصيح يا فضة اسنديني فقد وربي قتلوا جنيني
فأسقطت بنت الهدى واحزنا جنينها ذاك المسمى محسنا

٩ـ حافظ إبراهيم (سنة ١٣٥١ هـجرية):

وقال حافظ إبراهيم شاعر النيل:

وقولة لعلي قالها عمر أكرم بسامعها أعظم بملقيها
حرقت دارك لا أبقي عليك بها إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص يفوه بها أمام فارس عدنان وحاميها

قال آية الله العظمى العلامة المظفر ﷺ :ظن هذا الشاعر أن هذا من شجاعة عمر وهو خطأ . ولم يعلم: أن عمر لم تثبت له قدم في المقامات المشهورة، ولم تمتد له يد في حروب النبي الكثيرة، فما ذاك إلا لأمانه من علي ﷺ بوصية النبي ﷺ بالصبر . ولو هم به لهام على وجهه.. الخ .

١٠ـ كاشف الغطاء (سنة ١٣٧٣ هـجرية):

وقال العالم العلم الحجة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ﷺ في جملة قصيدة له:
وفي الطفوف سقوط السقط منجدلا من سقط المحسن خلف الباب منهجه
وبالخيام ضرام النار من حطب بباب دار ابنة الهادي تأججه

وهناك آخرون من الأعيان والأعلام الذين يمكن الاستشهاد بما أنشأوه في هذا المجال، ولكننا نكتفي هنا بهذا القدر من بيانات مظلومية الزهراء ﷺ في الشعر المتواتر ومنذ التحاق الرسول الاكرم بالرفيق الاعلى ولحد الان ..

ان مظلومية الزهراء ﷺ وما مرّت بها من محن متعددة، لم تمر على أية امراة مقارنة مع درجتها ومنزلتها عند الله سبحانه وتعالى وعند الرسول المصطفى ﷺ وماهو مطلوب من الامة من احترام وتقديس لها ﷺ.

لقد أثبت القرآن وصرّح في أيات كثيرة بمنزلة وعظمة الزهراء ﷺ وقربها عند الله تعالى ومنها على سبيل المثال أية المباهلة، وأية القربى واية التطهير وفي سورة الدهر التي نزلت في أهل البيت ومعهم الزهراء ﷺ وغيرها من الايات والتي تقرر وتوجب على الامة احترامها وعلى أقل تقدير انصافها وعدم ظلمها او التجاوز عليها .

ولقد اوصى الرسول ﷺ بفاطمة ﷺ كثيرا وبعدم ظلمها .

روى مجاهد عن الرسول المصطفى ﷺ :أنه خرج يوما وبيده فاطمة، فقال: من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد وهي بضعة مني وهي قلبي وروحي التي بين جنبّي، من آذاها فقد آذاني ..

ان الكثير من الامة قد تكالبت على ظلم الزهراء ﷺ بعد التحاق الرسول المصطفى ﷺ بالرفيق الاعلى مع علم الامة بمقامها عند الله وعند رسوله وعلمهم بانها سيدة نساء العالمين وانها البضعة الطاهرة للأئمة النجباء المعصومين وذلك بتقديم مطامعهم الخاصة المادية الدنيوية وغير القانونية على مصلحة الامة وكذلك تفضيل مطامعهم على مرضات الله ورسوله وكما يلاحظ في خطبتها واقوالها وكيف أغتصب حقها وأُخذت منها فدك..وكيف أعتدوا على دارها وهمّوا بحرقه وكسروا ضلعها واسقطوا محسنها (ذكر ذلك تاريخ الطبري والملل والنحل للشهرستاني والعقد الفريد لابن عبد ربه وغيرهم في موضوع حرق دار فاطمة . وذكر فرائد السمطين والاحتجاج وفي كتاب الخلافة والامامة، ذكر موضوع اسقاط الجنين)..

وأن الامة تسارعت الى سقيفة بني ساعده وعلي وأهل بيته منشغلون في مراسيم تجهيز الرسول ﷺ. .ولماذا أوصت بان تدفن سرا ؟.. وأن يعفى قبرها !
وكما انشد الشاعر:

ولاي الامور تُدفن سرّا بضعة المصطفى ويعفى ثراها
فمضت وهي اعظم الناس شجوا في فم الدهر غصة من جواها
وثوت لا ترى لها والناس مثوى أي قدس يضمه مثواها
بنت من ؟أم من ؟حليلة من؟ ويل لمن سنّ ظلمها وأذاها

تلك الامور والتي تم استعراضها بما يتسع من سطور لتوضيح بعض تلك الحقائق، وقد نسبت الابيات التالية لفاطمة الزهراء والتي تعبر عن مظلوميتها وألامها من قبل حكام الامة ومن سار في ركبهم:

ماذا على من شم تربة احمد ان لايشم مدى الزمان غواليا
قل للمغيب تحت اطباق الثرى ان كنت تسمع صرحتي وندائيا
صبت عليّ نوائب لو انها صبت على الايام صرن لياليا
بالامس كنت بظل محمد واليوم ادفع ظالمي بردائيا
فأذا بكت قرية في ليلها شجنا على غصن بكيت صباحيا
فلاجعلن الحزن بعدك مؤنسي ولاجعلن الدمع منك وشاحيا

لقد تحمّلت الزهراء اعلى دورا للمرأة المؤمنة الصالحة ولقد كان دورها يمثل دور الانبياء والمصلحين ودور القيادة للامة .
وهذا ما حصل للزهراء بعد وفاة الرسول ﷺ حيث كان عليا عليه السلام بين موقفين احدهما اصعب من الاخر .

فاما ان يطالب بحقه في الخلافة وهو حق مشروع، فقد جعله الله اماما وخليفة بعد رسوله وبالتالي يؤدي الى ارتداد الكثيرمن الامة فهم جديدي عهد بالاسلام، فيختلفون وذلك بتصورهم انه يريد السلطة والملك والذي سيؤدي الى ضياع الامة عن جادة الطريق والرجوع الى الجاهلية الاولى..

واما ان يصبر على تلك المصيبة وكما قال ﷺ:(صبرت وفي الحلق شجى وفي العين قذى) وهذا الطريق قد استعمله ﷺ وآثر وحدة الامة الاسلامية على نفسه .

اذن فلابد من يتصدى لهذا الدور البطولي..لابد من شخصية اخرى لكي تفهم الامة من هم اصحاب الحق في تسلم القيادة الاسلامية، لذا وقفت الزهراء البتول ﷺ بكل ما تملك فقدّمت نفسها حيث كسرضلعها وأسقط جنينها وآخرها شهادتها في سبيل الله على مذبح الامامة فكانت هي الناطقة للامامة أمام الامة الظالمة لله ولرسوله وللمؤمنين المخلصين .

يذكر ابن قتيبه في كتابه الامامة والسياسة ويشير المسعودي في كتابه مروج الذهب والشهرستاني في كتاب الملل والنحل والطبري في كتابه احداث السنة:

لقد اجتمعت المعارضة في بيت الامام علي ﷺ، فاراد ابو بكر ان ينهي تلك المعارضة فلابد لقائد المعارضة من اجباره على البيعة لخلافته، لذا ارسل ابو بكر قنفذ وامتنع الامام من البيعة، فجاء ابوبكروعمروخالد والمغيرة بن شعبه وابو عبيدة الجراح وسالم مولى حذيفه ووقفوا على باب فاطمة .

وظّنت فاطمة ﷺ انهم لا يُدخلون بيتها احدا الا بأذنها (ذلك البيت الذي كان رسول الله ﷺ لا يدخله حتى يستاذن من فاطمة ﷺ) ولمّا جاءوا وطرفوا الباب وسمعت اصواتهم نادت با على صوتها:

يا أ بتي يا رسول الله: ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن ابي قحافه ؟

لا عهد لي بقوم حضروا اسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله جنازة بأيدينا وقطعتم امركم بينكم لم تستأمرون ولم تردوا لنا حقا !.

فلمّا سمع القوم صوتها وبكاء ها انصرفوا باكين وبقي عمر ومعه قوم ونادى عمر:
لتخرجّن او لاحرقنّها على من فيها ..
فقيل له: يا ابا حفص ان فيها فاطمة ..قال: وأن وأن ..!

وينقل المؤرخون القصيدة العمريه لحافظ ابراهيم، حيث يذكر ذلك الموقف والذي جاء فيها:

وقولة لعلي قالها عمر أكرم بسامعها اعظم بملقيها
حرّقت دارك لاابقي عليك بها ان لم تبايع وبنت المصطفى فيها

وممن ذكر القصيدة العمرية، المسعودي في مروج الذهب والشهرستاني في الملل والنحل والطبري في كتابه احداث السنة وغيرهم ..
ووقفت الزهراء خلف الباب وقالت:
ويحك يا عمر ما هذه الجرأة على الله وعلى رسوله ؟
فركل عمر الباب برجله فأختبأت فاطمة بين الباب والحائط رعاية للحجاب .
فدخل القوم الى الدار مما سبب عصرها واسقاط جنينها .
ووثبوا على أميرالمؤمنين علي ﷺ وهو جالس على فراشه واجتمعوا عليه فحالت الزهراء ﷺ وهي مصابه ومتألمه بينهم وبين زوجها وقالت: والله لا ادعكم تجّرون ابن عمي ظلما ويلكم ما اسرع ما خنتم الله ورسوله فينا أهل البيت وقد اوصاكم رسول الله باتباعنا ومودتنا والتمسك بنا ..!
فامر عمر قنفذا بضربها فضربها قنفذ بالسوط، فصار بعضدها مثل الدملج وأخرج علي ﷺ الى ابو بكر، فقيل له با يع:
قال علي ﷺ: فأن لم أفعل ؟ قال عمر: اذن والله أضرب عنقك !
قال علي ﷺ:اذن والله تقتلون عبدالله واخو رسوله ؟

قال عمر:أمّا عبدالله فنعم واما أخو رسول الله فلا .

فقال الامام ﷺ:اتجحدون ان رسول الله أخى بيني وبينه ؟

وجرى حوار شديد، ثم اقبلت الزهراء ﷺ ومعها الحسن والحسين ﷺ مع من بقين من نساء بني هاشم، يصحّن ويولولون .

فقالت فاطمة ﷺ:خلّوعن ابن عمي، خلّو عن علي والله لاكشفنّ رأسي وأضعنّ قميص ابي على رأسي ولأدعونّ عليكم فما ناقة صالح بأ كرم على الله منّي ولا فصيلها بأكرم على الله من ولدي / ذكر ذلك تأريخ الطبري والعقد الفريد وشرح ابن ابي الحديد وصاح القوم ما تريد يا ابا بكر ..اتريد ان ينزّل العذاب على هذه الامة ؟

وهنا سؤال يطرح ..لماذا لم يباشر الامام علي ﷺ بفتح الباب بدلا من فاطمة ﷺ ؟ والاجابة على هذا السؤال:

هو ان الامام لو فعل ذلك لكان دخوله في المعارضة المسلحة والمواجهة، أي دخول الحرب وبالتالي تمزيق الامة ورجوعها الى ماكانت عليه في زمن الجاهلية الاولى وحيث اراد الامام ﷺ ان تكون المعارضة معارضة سلمية، هذا من جهه ومن جهة أُخرى فقد أوصاه رسول الله ﷺ بعدم مجابهة السلطة الحاكمة بالسيف .

الفتنة الكبرى

وهكذا كانت العمليات السياسية يومئذ فتنة وكانت أم الفتن.. كانت فتنة في رأي الزهراء على الأقل لأنها خروج على الحكومة الإسلامية الشرعية القائمة في شخص علي وهو هارون النبي ﷺ والأولى من المسلمين بأنفسهم. ومن مهازل القدر أن يعتذر عمر بن الخطاب عن موقفه، بأنه خاف الفتنة وهو لا يعلم أن انتزاع الأمر ممن أراده له رسول الله ﷺ باعتراف عمر هو الفتنة بعينها المستوعبة لكل ما لهذا المفهوم من ألوان .

ولا ندري ما منع هؤلاء الخائفين من الفتنة الذين لا مطمع لهم في السلطان إلا بمقدار ما يتصل بصالح الإسلام أن يسألوا رسول الله ﷺ عن خليفته أن يطلبوا منه أن يعين

لهم المرجع الأعلى للحكومة الإسلامية من بعده، وقد طال المرض به أياما متعددة وأعلن فيها مرارا عن قرب أجله واجتمع به جماعة من أصحابه فسألوه عن كيفية غسله وتفصيلات تجهيزه ولم يقع في أنفسهم مطلقا أن يسألوه عن المسألة الأساسية ؟

بل لم يخطر في بال أولئك الذين أصروا على عمر بأن يستخلف ولا يهمل الأمة وألحوا عليه في ذلك خوفا من الفتنة أن يطلبوا نظير هذا من رسول الله ﷺ فهل ترى أنهم كانوا حينذاك في غفلة عن أخطار الموقف بالرغم من إنذار النبي ﷺ بفتن كقطع الليل المظلم ؟ حتى إذا لحق سيد البشر بالرفيق الأعلى توهجت مشاعرهم بالغيرة على الدين، وملئ قلوبهم الخوف من الفتنة والانعكاسات السيئة أو تعتقد معي أن النبي ﷺ كان قد اختار للسفينة ربانها الأفضل ولذلك لم يسأله السائلون ؟

دع عنك هذا واختلق لهم ما شئت من المعاذير .. فإن هؤلاء الغيارى على الإسلام لم يكتفوا بترك السؤال، بل منعوا رسول الله ﷺ من مقاومة الخطر المرتقب حينما أراد أن يكتب كتابا لا يضل المسلمون بعده أبدا في الفتنة والضلال .. وإذن فلا فتنة بعد ذلك الكتاب أبدا فهل كانوا يشكون في صدق النبي ﷺ أو يرون أنهم أقدر على الاحتياط للاسلام والقضاء على الشغب والهرج من نبي الإسلام ؟ وحري بنا أن نسأل عما عناه النبي ﷺ بالفتن التي جاء ذكرها في مناجاته لقبور البقيع في أخريات أيامه إذ يقول:

ليهنكم ما أصبحتم فيه قد أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم .

ولعلك تقول: إنها فتن المرتدين، وهذا تفسير يقبل على فرض واحد وهو:

أن النبي ﷺ كان يتخوف على موتى البقيع من الارتداد، فأما إذا لم يكن يخشى عليهم من ذلك كما هو في الواقع لأنهم على الأكثر من المسلمين الصالحين، وفيهم الشهداء فلماذا يهنئهم على عدم حضور تلك الأيام ؟

ولا يستقيم في منطق صحيح أن يريد بهذه الفتن المشاغبات الأموية التي قام بها عثمان ومعاوية بعد عقود ثلاثة من ذلك التاريخ تقريبا .

وإذن فتلك الفتن التي قصدها النبي ﷺ لا بد أن تكون فتنا حادثة بعده مباشرة، ولا بد أيضا أن تكون أكثر اتصالا بموتى البقيع لو قدرت لهم الحياة من فتن الردة والمتنبئين وهي إذن عين الفتنة التي عنتها الزهراء بقولها:

ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين . وهل من غضاضة بعد أن يصطلح عليها رسول الله ﷺ بالفتنة أن تمنح لقب الفتنة الأولى في دنيا الإسلام . وقد كانت العمليات السياسية يومئذ فتنة من ناحية أخرى، لأنها فرضت خلافة على أمة لم يقتنع بها إلا القليل من سوقتها الذين ليس لمثلهم الحق في تقرير مصير الحكم في عرف الإسلام ولا في لغة القوانين الدستورية جميعا .

تلك هي خلافة ابوبكر عندما خرج من السقيفة وعمر يهرول بين يديه وقد نبر حتى أزبد شدقاه وجماعته تحوطه وهم متزرون بالأزر الصنعانية لا يمرون بأحد إلا خبطوه وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه شاء ذلك أو أبى .

ومعنى هذا أن الحاكمين زفوا إلى المسلمين خلافة لم تباركها السماء ولا رضي بها المسلمون . وأن ابابكر لم يستمد سلطانه من نص نبوي بالضرورة ولم ينعقد الاجماع عليه ما دام سعد لم يبايع إلى أن مات الخليفة وما دام الهاشميون لم يبايعوا إلى ستة أشهر من خلافته كما في صحيح البخاري . قالوا: إن أهل الحل والعقد قد بايعوه وكفى ولكن ألا يحتاج هذا المفهوم إلى توضيح وإلى مرجع يرجع إليه في ذلك !.

فمن هو الذي اعتبر مبايعي أبي بكر أهل الحل والعقد وأعطاهم هذه الصلاحيات الواسعة ؟

وهكذا فان الطامعون والهاثون على المناصب ومن تبعهم فقد وقعوا في حبائل الشيطان وسولت لهم انفسهم وخالفوا ما امر الله به ورسوله وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين .

الفصل العاشر
لقاء الله وهي في عمر الورد ﷺ
وتراثها للامم

حالة الزهراء ﷺ بعد رحيل سيد الكونين ﷺ

روي عن الإمام الباقر ﷺ انه قال:(ما رؤيت فاطمة ﷺ ضاحكة مستبشرة منذ قبض رسول الله ﷺ حتى قبضت).

وعن أبي عبدالله الإمام الصادق ﷺ قال:

أما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره وأما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن وأما فاطمة فبكت على رسول الله ﷺ حتى تأذى بها أهل المدينة فقالوا لها قد آذيتنا بكثرة بكاءك فكانت تخرج إلى مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف وأما علي بن الحسين فبكى على الحسين عشرين سنة (أو أربعين سنة..).

وعنه ﷺ : البكاؤن خمسة آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد وعلي بن الحسين ﷺ .

قال علي ﷺ :غسلت النبي ﷺ في قميصه فكانت فاطمة تقول أرني القميص فإذا شممته غُشي عليها فلما رأيت ذلك غيبته..

لما قُبض الرسول الاكرم ﷺ امتنع بلال من الأذان وقال لا أؤذن لأحد بعد رسول الله ﷺ فقالت فاطمة ﷺ ذات يوم: إني أشتهي أن اسمع صوت مؤذن أبي بالأذان فبلغ ذلك بلالاً فأخذ في الأذان فلما قال الله اكبر.. الله اكبر.. ذكرت أباها وأيامه فلم تتمالك من البكاء فلما قال اشهد أن محمداً رسول الله .. شهقت فاطمة ﷺ وسقطت لوجهها وغشي عليها وظنوا إنها قد فارقت الحياة فقطع أذانه بلال فلما أفاقت سألته أن يتم الأذان فلم

يفعل وقال لها: يا سيدة النسوان إني أخشى عليك مما تنزلينه بنفسك فأعفته عن ذلك..

وعن فضة أمة فاطمة ﷺ قالت لورقة بن عبدالله الأزدي: اعلم انه لما قبض رسول الله ﷺ افتجع له الصغير والكبيروكثر عليه البكاء وعظم رزؤه على الأقرباء والأصحاب ولم يكن احد اشد حزنا وأعظم بكاء وانتحاباً من مولاتي فاطمة حيث جلست سبعة أيام للعزاء لا يهدأ لها أنين ولا يسكن منها الحنين كل يوم جاء كان بكاؤها أكثر من الأول فلما كان اليوم الثامن أبدت ما كتمت من الحزن وهي تندب أباها:

وآ أبتاه وآ صفياه وا محمداه وآ أبا القاسماه وآ ربيع الأرامل والأيتام من للقبلة والمصلى ومن لابنتك الوالهة الثكلى..

ثم أقبلت تعثر في أذيالها وهي لا تبصر شيئاً من عبرتها حتى دنت من قبر أبيها فلما نظرت إلى الحجرة وقع طرفها على المأذنة فقصرت خطاها ودام نحيبها إلى أن أغمي عليها فلما أفاقت من غشيتها قالت: رُفعت قوتي وخانني جلدي وشمت بي عدوي والكمد قاتلي يا أبتاه بقيت والهة وحيدة فقد أنخمد صوتي وتنغص عيشي وتكدر دهري انقلبت بعدك يا أبتاه الأسباب وتغلقت دوني الأبواب فأنا للدنيا بعدك قالية وعليك ما ترددت أنفاسي باكية ثم أنشدت:

إن حزني عليك حزن جديد وفؤادي والله صب عنيد

كل يوم يزيد فيه شجوني واكتيابي عليك ليس يبيد

إن قلباً عليك يألف صبرا او عزاءً فانه لجليـــد

و قد بنى لها أمير المؤمنين ﷺ بيتاً في البقيع سمي بيت الأحزان فإذا أصبحت أخذت الحسن والحسين ﷺ أمامها وخرجت إلى البقيع باكية..

شهادة الزهراء ﷺ واسبابها

بعد اكمال مراسيم تجهيز الرسول المصطفى ﷺ تؤكد الأخبار ان الزهراء ﷺ توفيت شهيدة وذلك بعد الهجوم على دارها وعصرها بين الباب والجدار حتى كسر ضلعها وأسقط جنينها وظلت تعاني طيلت المدة حتى توفيت شهيدة مظلومة. .

أنها توفيت على أثر ذلك المسمار الذي ضغطه عدو الله ورسوله في صدرها القدسي بالاضافة الى الضرب، فمرضت حتى وافاها الأجل . وهنا لابد للاشارة الى حقيقة ذلك بمختلف الروايات والاحاديث ومنها:

١- روى الجويني بإسناده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن النبي الأكرم ﷺ بخبر طويل، قال:

وأما ابنتي فاطمة فإنها سيدة نساء العالمين، من الأولين والآخرين وهي بضعة مني وهي نور عيني وهي ثمرة فؤادي. .وإني لما رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعدي، كأني بها وقد دخل الذل بيتها وانتهكت حرمتها وغصب حقها ومنعت إرثها وكسر جنبها وأسقطت جنينها وهي تنادي:

يا محمداه ، فلا تجاب وتستغيث فلا تغاث . فلا تزال بعدي محزونة مكروبة باكية . وعند ذلك يؤنسها الله تعالى، فيناديها بما نادى به مريم ابنة عمران، فيقول: يا فاطمة ، إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة ، اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين . ثم يبتدئ بها الوجع فتمرض، فيبعث الله عز وجل إليها مريم ابنة عمران تمرضها وتؤنسها في علتها، فتقول عند ذاك:يا رب ، إني قد سئمت الحياة وتبرمت بأهل الدنيا، فألحقني بأبي . فيلحقها الله عز وجل فتكون أول من يلحقني من أهل بيتي . فتقدم علي محزونة مكروبة، مغمومة مغصوبة، مقتولة . يقول رسول الله ﷺ عند ذلك: اللهم العن من ظلمها وعاقب من غصبها وذل من أذلها وخلد في نارك من ضرب جنبها حتى ألقت ولدها، فتقول الملائكة عند ذلك آمين .

٢- وعن جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: سمعت سيدتي فاطمة ﷺ تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:إنك المظلومة المغصوبة المقتولة بعدي، فلعن الله من يظلمك ويغصبك ويقتلك . يا فاطمة البشرى، فلك عند الله مقام محمود تشفعين فيه لمحبيك وشيعتك. .يا فاطمة ، إذا كان يوم القيامة أقبلت على نجيب من نور، شيعتك المؤمنات

فيهن: حواء ومريم بنت عمران واسية بنت مزاحم وكلثم أخت موسى ومن دونهن وجبرئيل آخذ بخطام النجيب وميكائيل عن يمينك وإسرافيل عن يسارك، مع كل واحد منهم سبعون ألف ملك، فينادي مناد:

يا معشر الخلائق ، طأطئوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمد فيقول أهل الجمع: من هذه الأمة الكريمة على الله ؟ .. فينادي المنادي:

هذه **الصديقة الشهيدة** التي عزت على أبيها وهانت على أمته من بعده، حتى ظلمت حقها وغصبت إرثها ولطم خدها وقتل جنينها وفارقت الدنيا بحسرتها . أقسم الجليل بعزته أن ينتقم من أعدائها ويحلهم دار البوار في ناره .

٣- وروى الشهرستاني الشافعي قائلا: إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها.

٤- وروى مقاتل بن عطية: إن أبا بكر بعد ما أخذ البيعة لنفسه من الناس بالإرهاب والسيف والقوة، أرسل عمر وقنفذا وجماعة إلى دار علي وفاطمة ﷺ وجمع عمر الحطب على دار فاطمة وأحرق باب الدار ولما جاءت فاطمة خلف الباب لترد عمر وأصحابه، عصر عمر فاطمة خلف الباب حتى أسقطت جنينها ونبت مسمار الباب في صدرها وسقطت مريضة حتى ماتت .

ان ما ذكرناه اورده ابن قتيبة في المعارف وفي الإمامة والسياسة وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة والإسفرائيني في (الفرق بين الفرق) وابن حجر العسقلاني في لسان الميزان وابن عبد ربه في العقد الفريد والطبري في تاريخ الأمم والملوك . . وإضافة إلى وفرة المصادر العامة تتضاعف عليها الكتب الشيعية مثل الشافي للشريف المرتضى والطرائف للسيد ابن طاووس ومرآة العقول للشيخ المجلسي وكتاب سليم بن قيس وغيرها وهن كثار، حتى قال الشيخ المجلسي ﷺ:

إن شهادة فاطمة من المتواترات . أما الأخبار الخاصة الأخرى من طرقنا في شهادتها ﷺ فهي كثيرة أيضا ويمكن توضيح بعضها:

١- عن أبي بصير عن الإمام الصادق ﷺ قال: وكان سبب وفاتها أن قنفذا مولى الرجل لكزها بنعل السيف بأمره فأسقطت محسنا ومرضت من ذلك مرضا شديدا، ولم تدع أحدا ممن آذاها يدخل عليها.

٢- وقال السيد تاج الدين بن علي الحسيني، العاملي: ان سبب وفاتها من الضرب الذي أصابها وأسقطت بعده الجنين . ثم بين ذلك بشئ من التفصيل في قوله: فجمع عمر جماعة وأتى بهم إلى منزل علي ﷺ فوجدوا الباب مغلقا، فنادوه فلم يجبهم أحد . فاستدعى عمر بحطب وقال: والله لئن لم تفتحوه لنحرقنه بالنار . فلما سمعت فاطمة ﷺ ذلك خرجت وفتحت الباب، فدفعه عمر، فاختفت هي من وراء الباب، فعصرها بالباب، فكان ذلك سبب إسقاطها .

٣- ونقل أنه سبب وفاتها ﷺ في كتاب (ملتقى البحرين):علة وفاة فاطمة أن عمر بن الخطاب هجم مع ثلاثمائة رجل على بيتها ﷺ.. وجاء تفصيل ذلك في كتاب سليم بن قيس وقد جاء فيه.

لما رآى علي ﷺ خذلان الناس إياه وتركهم نصرته واجتماع كلمتهم مع أبي بكر وطاعتهم له وتعظيمهم إياه لزم بيته..

فقال عمر لأبي بكر: ما يمنعك أن تبعث إليه فيبايع، فإنه لم يبق أحد إلا وقد بايع غيره وغير هؤلاء الأربعة. وكان أبو بكر أرق الرجلين وأرفقهما وأدهاهما وأبعدهما غورا، والاخر أفظهما وأغلظهما وأجفاهما..

فقال أبو بكر: من نرسل إليه؟ فقال عمر: نرسل إليه قنفذا، وهو رجل فظ غليظ جاف من الطلقاء أحد بني عدي بن كعب.

فأرسله إليه وأرسل معه أعوانا وانطلق فاستأذن على علي ﷺ فأبى أن يأذن لهم..

فرجع أصحاب قنفذ إلى أبي بكر وعمر وهما جالسان في المسجد والناس حولهما فقالوا: لم يؤذن لنا. فقال عمر: اذهبوا، فإن أذن لكم وإلا فادخلوا عليه بغير إذن..

فانطلقوا فاستأذنوا، فقالت فاطمة ﷺ:أحرج عليكم أن تدخلوا على بيتي بغير إذن.. فرجعوا وثبت قنفذ الملعون.

فقالوا: إن فاطمة قالت كذا وكذا فتحرجنا أن ندخل بيتها بغير إذن. فغضب عمر وقال: ما لنا وللنساء، ثم أمر أناسا حوله فحملوا حزم الحطب وحمل عمر معهم فجعلوه حول منزله وفيه علي وفاطمة وابناهما. ثم نادى عمر: يا علي والله لتخرجن فلتبايعن خليفة رسول الله عليك أو لأضرمنها عليك نارا فلم يجبه..

وفي رواية : فوضع عمر النار بالباب وهو متخوف أن يخرج علي ﷺ بسيفه لما عرف من بأسه وشدته حتى احترق الباب. ثم قال لقنفذ: اقتحم عليه فأخرجه فاقتحم هو وأصحابه وثار علي ﷺ إلى سيفه فسبقوا إليه وكاثروه فضبطوه وألقوا في عنقه حبلا.. وجاءت فاطمة ﷺ لتحول بينهم وبينه، فضربها قنفذ بسوطه وأضغطت بين الباب فصاحت:

يا أبتاه يا رسول الله وألقت جنينا ميتا وأثر سوط قنفذ في عضدها مثل الدملج. ثم أمر أناسا حوله أن يحملوا الحطب فحملوا الحطب وحمل معهم عمر، فجعلوه حول منزل علي وفاطمة وابناهما ﷺ. ثم نادى عمر حتى أسمع عليا وفاطمة ﷺ: (والله لتخرجن يا علي ولتبايعن خليفة رسول الله وإلا أضرمت عليك بيتك النار..).

فقالت فاطمة ﷺ:يا عمر ما لنا ولك؟

فقال: افتحي الباب وإلا أحرقنا عليكم بيتكم..

فقالت: يا عمر، أما تتقي الله تدخل على بيتي ؟

فأبى أن ينصرف ..

ودعا عمر بالنار فأضرمها بالباب ثم دفعه فدخل فاستقبلته فاطمة ﷺ وصاحت:يا أبتاه يا رسول الله ..

فرفع عمر السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها فصرخت: يا أبتاه ..

فرفع السوط فضرب به ذراعها فنادت: (يا رسول الله، لبئس ما خلفك أبو بكر وعمر..).

فوثب علي فأخذ بتلابيبه ثم نتره فصرعه ووجأ أنفه ورقبته وهّم بقتله، فذكر قول رسول الله ﷺ ما أوصاه به فقال:

والذي كرم محمدا بالنبوة يا بن صهاك لولا كتاب من الله سبق وعهد عهده إليّ رسول

الله(ﷺ) لعلمت إنك لا تدخل بيتي ..

٤- وقال الشيخ عباس القمي طاب ثراه:

وكان سبب وفاتها أن قنفذا مولى عمر نكزها بنعل السيف .

وصية الزهراء للامام علي عليه السلام:

أحسّت سيّدة نساء العالمين ﷺ بدنوّ أجلها واشتدّت وطأة المرض عليها فقد أنهكتها الكوارث والمصائب التي ألمّت بها بعد وفاة أبيها ﷺ ولاحت عليها بوادر الضعف وانهارت قواها ، فأيقنت أنه حان موعد الالتحاق بأبيها ﷺ والاجتماع به في جوار الربّ الكريم.

لقد مرضت الصدّيقة مرضا شديدا ومكثت أربعين ليلة ، فلمّا نعيت إليها نفسها ، دعت أُم أيمن وأسماء بنت عميس ووجّهتْ خَلْفَ علي عليه السلام وأحضرته ، فقالت :

(يا ابن عم ، إنّه قد نعيت إلي نفسي وإني لا أرى ما بي إلاّ أنّني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة وأنا أوصيك بأشياء في قلبي).

قال لها علي عليه السلام :

(أوصيني بما أحببتِ يا بنت رسول الله)! فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت ، ثمّ قالت :(يا ابن عم ، ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني) فقال علي عليه السلام :

(معاذ الله ، أنت أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفا من الله من أن أوبّخك بمخالفتي ، قد عزّ عليَّ مفارقتك وفقدك ، إلاّ أنه أمر لا بدّ منه والله جدّدتِ عليّ مصيبة رسول الله ﷺ وقد عظمت وفاتك وفقدك ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وألمها وأمضّها وأحزنها!هذه والله مصيبة لا عزاء لها ورزية لا خلف لها) ثمّ بكيا جميعا ساعة وأخذ عليٌّ عليه السلام رأسها وضمّها إلى صدره ثمّ قال :

(أوصيني بما شئتِ ، فإنّكِ تجديني فيها أمضي كما أمرتني به وأختار أمرك على أمري) / بحار الأنوار ٤٣ : ١٩١ / ٢٠.

ثمّ ذكرت وصاياها وقد جاءت في كتب السيرة على النحو التالي :

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله ﷺ . أوصت هي تشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمّدا رسول الله وأن الجنّة حقّ والنار حقّ وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث مَن في القبور.

يا عليّ أنا فاطمة بنت محمّد ﷺ زوّجني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة أنت أولى بي من غيري حنّطني وغسّلني وكفّني بالليل وصلّ عليّ وادفنّي بالليل ولا تُعلِم أحدا وأستودعك الله واقرأ على ولدي السلام إلى يوم القيامة)/ بحار الأنوار ٤٣ : ٢١٤ / ٤٤..

ثمّ أوصت إلى عليّ عليه السلام أن يتزوّج بعدها من أُمامة بنت زينب وقالت عليها السلام : (إنها تكون لأولادي مثلي)/ بحار الأنوار ٤٣ : ١٩٢.

وأن يتّخذ لها نعشا وصفته له /بحار الأنوار ٤٣ : ١٩٢ / ٢٠.

وأن لا يشهد جنازتها أحد ممن كانت غاضبة عليهم وأن لا يصلّي عليها أحد منهم وأن يدفنها ليلاً إذا هدأت العيون ونامت الأبصار وأن يُعفّى قبرها! / بحار الأنوار ٤٣ : ١٩٢ / ٢٠ ، روضة الواعظين / الفتّال النيسابوري ١ : ١٥١ ، أعلام النساء / عمر رضا كحالة ٤ : ١٣١.

وأن تحنّط بفاضل حنوط رسول الله ﷺ وكان جبرائيل جاء بحنوط من الجنّة فقسّمه رسول الله أثلاثا ثلاثة ، فثلث لنفسه وثلث لابنته فاطمة والثلث الأخير لأمير المؤمنين عليه السلام / كشف الغمّة ٢ : ١٢٢ ـ ١٢٣.

وأوصت بما عندها من بساتين لعليّ ولأولادها من بعده وجعلت صدقتها في بني هاشم وبني عبد المطلب وقد سئل الإمام الباقر عليه السلام عن وصية الصدّيقة فاطمة عليها السلام فأخرج سفطاً وأخرج منه كتابا فيه : (هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله ﷺ بحوائطها ـ بساتينها ـ السبعة : ذو الحسنى والساقية والدلال والعواف والرقمة والهيثم ومشربة أُم إبراهيم ، إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ومن بعد عليّ فإلى الحسن ومن بعد الحسن

فإلى الحسين ومن بعد الحسين فإلى الأكبر فالأكبر من ولدي ، شهد الله على ذلك وكفى بالله شهيداً وشهد المقداد بن الأسود والزبير بن العوّام وكتبه علي بن أبي طالب عليه السلام) / دلائل الإمامة : ١٢٩ / ٣٩ ، الكافي ٧ : ٤٨ / ٥ باب صدقات النبي صلى الله عليه وآله وفاطمة والأئمّة عليهم السلام ووصاياهم من كتاب الوصايا.

وأوصت أيضا :(لأزواج النبي لكل واحدة منهن باثنتي عشرة أوقية ولنساء بني هاشم مثل ذلك وأوصت لأُمامة بنت أبي العاص بشيء) / دلائل الإمامة : ١٣٠ / ٤٠.

وورد في الاخبار بان قالت فاطمة عليها السلام لعلي عليه السلام:

يابن العم انه قد نعيت اليّ نفسي وانني لا ارى مابي الا انني لاحقة بابي ساعة بعد ساعة وانا اوصيك باشياء في قلبي . .فقال لها علي عليه السلام: اوصني بما احببت يابنت رسول الله صلى الله عليه وآله وجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت ..

ثم قالت: يابن العم ماعهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني ؟

فقال علي عليه السلام:معاذ الله أنت اعلم بالله وأبَر واتقى واكرم واشد خوفا من الله من ان اوبخك بمخالفتي ..

قد عزّعليّ مفارقتك الا انه امر لابد منه، والله جددت عليّ مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد عظمت وفاتك وفقدك، فأنا لله وانا اليه راجعون من مصيبة ما أفجعها والمها وأمضاها وأحزنها هذه والله مصيبة لاعزاء لها ورزية لاخلف لها ..ثم بكيا جميعا ساعة وأخذ علي رأسها وضمها الى صدره ثم قال:

أوصيني بما شئت فانك تجديني فيها امضي كما أمرتيني به وأختار أمرك على أمري

ثم قالت: جزاك الله عني خير الجزاء يابن عم رسول الله، أوصيك اولا: ان تتزوج بعدي فان الرجال لابد لهم من النساء وان يتزوج بأمامة بنت زينب من أبي العاص بن الربيع، وذلك لأنها كما قالت الزهراء:انها بنت أختي وتحنوا على ولدي .

ثم قالت: اوصيك يابن العم ان تتخذ لي نعشا فقد رايت الملائكة صوّروا صورته ..

فقال لها: صفيه لي..

فوصفته فاتخذه لها وهو اول نعش عمل على وجه الارض ذاك وما راى احد قبله ولا عمل احد .

وقيل في رواية عن ابن عباس: ان فاطمة أول من جعل لها النعش عملته لها أسماء بنت عميس وكانت قد رأته بأرض الحبشة (وذلك بان دعت بسرير فأكبته لوجهه ثم دعت بجرائد فشدتها على قوائمه وجعلت عليه نعشا ثم جللته ثوبا، فقالت فاطمة رضي الله عنها اصنعي لي مثله، استريني سترك الله)

ثم قالت: اوصيك ان لا يشهد احد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني واخذوا حقي فانهم عدوي وعدو رسول الله ﷺ ولا من اتباعهم .

وادفني في الليل اذا هدأت العيون ونامت الابصار.

ثم قالت: يابن العم اذا قضيت نحبي، فغسلني ولا تكشف عني، فاني طاهرة مطهرة وحنطني بفاضل حنوط ابي رسول الله ﷺ وصلي علي وليصلي معك الادنى فالادنى من اهل بيتي وادفني ليلا لانهارا واعف قبري ولا تشهد جنازتي احدا ممن ظلمني .

واذا تزوجت امراة، اجعل لها يوما وليلة واجعل لاولادي يوما وليلة..

ياابا الحسن ولا تصح في وجههما فيصبحا يتيمين غريبين منكسرين، فانهما بالامس فقدا جدهما واليوم يفقدان امهما . .ثم توفيت صلوات الله وسلامه عليها .

فصاح اهل المدينة صيحة واحدة واجتمعت نساء بني هاشم في دارها، فصرخوا صرخة واحدة كادت المدينة ان تتزعزع من صراخهن وهن يقلن:

ياسيدتاه ، يابنت رسول الله .. واقبل الناس مثل عرف الفرس الى دار علي عليه السلام وهو جالس والحسن والحسين عليهما السلام بين يديه يبكيان، فبكى الناس لبكاءهما .

وخرجت ام كلثوم وعليها برقعة وتجّر ذيلها متجلّلة برداء عليها وهي تقول:

ياابتاه يارسول الله، ألان حقا فقدناك، فقدا لا لقاء بعده ابدا .

واجتمع الناس فجلسوا وهم يضجون وينتظرون ان تخرج الجنازة فيصلون عليها، وخرج ابوذر وقال:

انصرفوا فان ابنة رسول الله ﷺ قد أخراخراجها في هذه العشية، فقام الناس وانصرفوا. .

فلما ان هدأت العيون ومضى شطر من الليل أخرجها علي والحسن والحسين عليهم السلام وعمار والمقداد وعقيل والزبير وأبو ذر وسلمان وبريدة ونفر من بني هاشم وخواصه وصلوا عليها ودفنوها في جوف الليل وسوى علي عليه السلام حواليها قبورا حتى لا يعرف قبرها وقال بعضهم من الخواص:

قبرها سويّ مع الارض مستويا فمسح مسحا سواء مع الارض حتى لا يعرف موضعه. .

فقام علي على القبر، وقد هاجت احزانه، فارسل دموع عينه على خده وانشد يقول:

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الممات قليل

وان افتقادي فاطما بعد احمد دليل على ان لا يدوم خليل

ثم حوّل وجهه الى قبر حبيبه رسول الله ﷺ وقال والدموع تستدر من عينيه وكأنها حجبت المرثيات:

السلام عليك يارسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك ،

قلّ يارسول الله عن صفيتك صبري ورق عن سيدة نساء العالمين تجلّدي الا ان في التأسي لي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك، موضع تعزّ، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك وفاضت بين نحري وصدري نفسك (فانّا لله وانّا اليه راجعون)

فلقد استرجعت الوديعة وأخذت الرهينة ..أمّا حزني فسرمد..واما ليلي فمسهد الى ان يختار الله لي دارك التي انت بها مقيم وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها، فأحفها السؤال واستخبرها الحال ..

فكم من غليل معتلج بصدرها ..لم تجد الى بثّه سبيلا وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين . هذا ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر ..والسلام عليكما سلام مودع ولا قال ولا سئم ..

فان انصرف فلا عن ملالة، وان أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين .

وظلت فاطمة الزهراء ﷺ شعلة الحب المتالقة والرفيعة والتي لا تخبوا ولا تطفئ في صدور المؤمنين ..

وراية الكفاح لا تسقط عن يد الرساليين .. وقبسة النور التي تنير الدرب للمتعطشين الحق والعدل..

وما احوج عالمنا اليوم وامتنا للسير على نهج الزهراء البتول ﷺ لنصل الى شاطئ السلام والامان والخير الكثير.

لقد كانت العبرات والزفرات على من التحفت بالملئ الاعلى وهي مكسورة الضلع وقد اسقطوا محسن من احشائها وغصبوا حقها من فدك وعزلوا زوجها عن قيادة الامة بما اراد الله ورسوله، لذا خرجت من الدنيا وهي غاضبة على من ظلمها ..

وقد انشد الشاعرمظلوميتها ومسالة هضمها بعدم دفنها امام انظار الناس وان يعفى قبرها:

ولاي الامور تُدفن سرا بضعة المصطفى ويعفى ثراها
فمضت وهي اعظم الناس شجوا في فم الدهر غصة من جواها
وثوت لا ترى لها والناس مثوى أي قدس يضمه مثواها

اجل لقد عفي قبر الزهراء كما اوصت ﷺ فبنى لها علي اربعين قبرا لئلا يزورها من قد اغضبها ومن غصب حقها.

لقد ورد في التاريخ ومنهم الاختصاص للشيخ المفيد واحقاق الحق لليستري ودلائل الزهراء لمحمد بن جرير الطبري وجاء في الرواية:

ان المسلمين لمّا علموا بوفاة الزهراء ﷺ جاءوا الى البقيع فوجدوا فيه اربعين قبرا، فاشكل عليهم قبرها ﷺ من سائر القبور، فضجّ الناس ولام بعضهم بعضا وقالوا:

لم يخلف نبيكم الا بنتا واحدة، تموت وتدفن ولم تحضروا وفاتها ولا دفنها ولم تعرفوا قبرها ؟

فقال ولاة الامر منهم: هاتوا نساء المسلمين من ينبش هذه القبور حتى نجدها فنصلي عليها ونزور قبرها ..

فبلغ ذلك أميرالمؤمنين علي ﷺ فخرج مغضبا قد احمرت عيناه وعليه قباءه الاصفر الذي كان يلبسه في كل كريهة وهو يتوكأ على سيفه ذوالفقار حتى ورد البقيع .

فسار الى الناس من انذرهم وقال:

هذا علي بن ابي طالب قد اقبل كما ترونه يقسم بالله: لئن حول من هذه القبور حجر ليضعن السيف في رقاب الآمرين، فتلقاه عمر ومن معه من اصحابه وقال له:

مالك ياابا الحسن والله لننبشن قبرها ولنصلين عليها .

فضرب علي بيده الى جوامع ثوب عمر فهزه ثم ضرب به الارض وقال له:

اما حقي فقد تركته مخافة ان يرتد الناس عن دينهم واما قبر فاطمة فوالذي نفسي بيده لئن رمت واصحابك شيئا من ذلك لاسقين الارض من دمائكم فان شئت فاعرض ياعمر ..

فتلقاه ابو بكر فقال: ياابا الحسن بحق رسول الله وبحق من فوق العرش الا خليت عنه فانا غير فاعلين شيئا تكرهه.

لقد رحلت فاطمة الزهراء البتول ﷺ من هذه الدنيا الدنيئة وهي في عمر الورد لتلتحق بالملئ الاعلى الى جنة عرضها السماوات والارض اعدت للمتقين .

لتعيش جنة الخلد كما قال تعالى في حقها:

(ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا .عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا) ..

وذلك جزاءً بما عملوا وكما قال تعالى في كتابه الكريم:

(ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا)

لقد كان الناس تعرفون بان الزهراء ﷺ كانت صحيحة البدن خالية من أي عارض او مرض عضال في حياة ابيها .

وهي لازالت في عمر الورد وفي بداية شبابها وهي في ريعان حياتها، غير ان ماحدث لها من عصرة الباب ومن خلال الهجوم الذي وقع على دار فاطمة ﷺ والذي تسبب في كسر ضلعها واسقاط جنينها محسن وغصب حقها، فخرجت الى لقاء ربها لتشكو اليه ظلم الولاة لها .

لقد طوى التاريخ أخر صفحة عن حياتها العظيمة المتألقة بالعمل الدؤب والايثار والعمل في سبيل الله والجهاد المتواصل ولكنه لم يطوي نورها الازهر والذي خُلق ليزهرالوجود بل ليبقى نورا مضيئا في دروب المؤمنين والمحبين للرسول المصطفى ﷺ واهل بيته الطاهرين مدى الدهر والايام..

لقد تربّعت فاطمة الزهراء ﷺ على عرش قلوب المؤمنين في حبهم لها وتقديسها فكانت القدوة والمثال الاعلى للاقتداء بها للمراة والرجل على حد سواء وهي المدرسة الجامعة لسعادة الدنيا والاخرة لنيل مرضاة الله ورضوانه .

أبعاد وصيّة الزهراء ﷺ :

أوصت الزهراء ﷺ أن تُدفن ليلاً وأن لا يشهد الشيخان تشييع جنازتها ، لتعلن للأجيال بأنها توفيت وهي غضبى عليهما ولذا عندما سُئل الأمير ﷺ من قِبل الأصبغ بن نباتة عن علّة دفن الصدّيقة فاطمة ليلاً؟

قال ﷺ : إنّها كانت ساخطة على أقوام كرهت حضورهم جنازتها / الأمالي للصدوق ٧٥٥ / ١٠١٨ ، مناقب ابن شهرآشوب ٣ : ٣٦٣ ، بحار الأنوار ٤٣ : ١٨٣..

وقد تحقّق غرض الزهراء ﷺ في دفنها ليلاً ، فما أن علم الناس بالأمر حتى أخذوا يتلاومون فيما بينهم على ما ارتكبوه من ظلم واضطهاد لبضعة المصطفى ﷺ / سيرة الأئمة الاثني عشر / هاشم معروف الحسني ١ : ١٣٨.

فقد رُوي أنّ المسلمين لمّا علموا وفاتها جاءوا إلى البقيع ، فوجدوا فيه أربعين قبرا ، فأشكل عليهم قبرها من بين القبور ، فضجّ الناس ولام بعضهم بعضا وقالوا : لم يخلف

نبيكم فيكم إلاّ بنتا واحدة تموت وتُدفن ولم تحضروا وفاتها ولا دفنها ولا الصلاة عليها ولا تعرفوا قبرها!؟ / بحار الأنوار ٤٣ : ٢١٢ / ٤١ ، دلائل الإمامة : ١٣٦.

تاريخ شهادتها ﷺ:

لقد أختلف في تأريخ استشهادها ﷺ وذكر لذلك تواريخ كثيرة ولكن أشهرها ثلاثة وهي:

١- يوم ٨ ربيع الثاني لسنة ١١ هجرية أي بعد ٤٠ يوماً من رحيل والدها ﷺ وتسمى هذه المناسبة ب(الفاطمية الاولى) .

٢- يوم ١٣جمادى الأولى لسنة ١١ هجرية أي بعد ٧٥ يوماً من استشهاد والدها ﷺ.

٣- يوم ٣ جمادى الثانية لسنة ١١ هجرية أي بعد ٩٥ يوما من استشهاده ﷺ.

وورد في بحار الانوار للعلامة المجلسي أنها توفّيت ﷺ بعد أبيها ﷺ بثلاثة أشهر وقيل بعده ﷺ بثمانية أشهر أو بشهر أو بخمسة وسبعين يوماً أو بستّة أشهر / بحار الأنوار / المجلسي ٤٣ : ٢١٥ / ٤٥ وما بعده .

وقد حاول بعض الخطباء الفضلاء التحقيق في التاريخ الدقيق لاستشهادها ﷺ فجاءته ﷺ في عالم الرؤيا معاتبة على ذلك..

لم تكن حياة الزهراء ﷺ سعيدة بعد انتقال أبيها رسول الله ﷺ إلى الرفيق الاعلى، ذلك بانها فجعت بوفاة أبيها ﷺ وفوجئت بمنع ابو بكر إياها حقها في فدك واقصاء زوجها أمير المؤمنين من حقه الذي نصّبه الله ورسوله على الامة اضافة لما اصابها من تجاوز على دارها وما الّم بها.. فتأثرت لذلك أشد الأثر وأعظمه فغدت شاكية لا تُرى الا هي معصوبة الرأس وطبقا لنبوءة النبي ﷺ الصادقة فسرعان ما لحقت به .. فكانت أسرع أهله لحوقا به وقد اختلف العلماء في مدة بقائها بعد أبيها ﷺ فقيل أربعون يوما وقيل خمسة وأربعون، وربما كان ذلك اشتباها بمدة مرضها او تاريخ وفاة الرسول الاكرم ﷺ حيث وردت بعض الروايات بوفاة الرسول الاكرم في الثاني عشر من ربيع الاول كما ورد في كتاب الكافي للعلامة الكليني .

وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام يقول حين غسل فاطمة عليها السلام:

اللهم إنها أمتك وابنة رسولك وصفيك وخيرتك من خلقك، اللهم لقنها حجتها وأعظم برهانها وأعلي درجتها واجمع بينها وبين أبيها محمد صلى الله عليه وآله.

وروي أنها نشفت بالبردة التي نشف بها رسول الله صلى الله عليه وآله فلما غسلها علي عليه السلام وضعها على السرير وقال للحسن عليه السلام: أدعي لي أبا ذرفدعاه فحملاه إلى المصلى ومعه الحسن والحسين فصلى عليها.

وفي رواية ورقة قال علي عليه السلام:

والله لقد أخذت في أمرها وغسلتها في قميصها ولم أكشفه عنها، فوالله لقد كانت ميمونة طاهرة مطهرة، ثم حنطتها من فضلة حنوط رسول الله صلى الله عليه وآله وكفنتها وأدرجتها في أكفانها، فلما هممت أن أعقد الرداء ناديت:

يا أم كلثوم يا زينب يا سكينة يا فضة يا حسن يا حسين هلموا تزودوا من أمكم فهذا الفراق واللقاء في الجنة، فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام وهما يناديان: وا حسرتا لا تنطفي أبدا من فقد جدنا محمد المصطفى وأمنا فاطمة الزهراء، يا أم الحسن يا أم الحسين إذ لقيت جدنا محمد المصطفى فاقرأيه منا السلام وقولي له: إنا قد بقينا بعدك يتيمين في دار الدنيا، فقال أمير المؤمن علي عليه السلام:

إني أشهد الله أنها قد حنت وأنت ومدت يديها وضمتهما إلى صدرها مليا وإذا بهاتف من السماء ينادي: يا أبا الحسن ارفعهما عنها، فلقد أبكيا والله ملائكة السماوات، فقد اشتاق الحبيب إلى المحبوب قال عليه السلام: فرفعتهما عن صدرها.

وروي أن كثير بن عباس كتب في أطراف كفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله. ويظهر من رواية مصباح الأنوار، أن أثواب كفنها كانت غلاظا خشنة فإنه روي أنه لما حضرت فاطمة عليها السلام الوفاة دعت بماء فاغتسلت ثم دعت بطيب فتحنطت به ثم دعت بأثواب كفنها فأتيت بأثواب غلاظ خشنة فتلفقت بها الخ.

في رواية روضة الواعظين قال: فلما أن هدئت العيون ومضى شطر من الليل أخرجها علي والحسن والحسين عليهم السلام وعمار والمقداد والعقيل والزبير وأبو ذر وسلمان وبريدة ونفر من بني هاشم وخواصه، صلوا عليها ودفنوها في جوف الليل وسوى علي عليه السلام حواليها قبورا مزورة مقدار سبعة حتى لا يُعرف قبرها .

وعن مصباح الأنوار عن جعفر بن محمد عليهما السلام أنه سُئل كم كبر أمير المؤمنين على فاطمة عليها السلام ؟

فقا ل: كان يكبّر أمير المؤمنين تكبيرة فيكبر جبرئيل تكبيرة والملائكة المقربون إلى أن كبر أمير المؤمنين عليه السلام خمسا، فقيل له: وأين كان يصلي عليها ؟

قال: في دارها ثم أخرجها .

وروى الشيخ أبو جعفر الطوسي رحمه الله أن أمير المؤمنين عليه السلام لما دفن فاطمة عليها السلام وعفى موضع قبرها وانهى يده من تراب القبر هاج به الحزن فأرسل دموعه على خديه وحول وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال:

السلام عليك يا رسول الله .. السلام عليك من ابنتك وحبيبتك وقرة عينك وزائرتك والباثتة في الثرى ببقعتك (ببقيعك) المختار الله لها سرعة اللحاق بك .. قل يا رسول الله عن صفيتك صبري وضعف عن سيدة النساء تجلدي .. إلا أن في التأسي لي بسنتك والحزن الذي حل بي لفراقك لموضع التعزي ولقد وسدتك في ملحود قبرك بعد أن فاضت نفسك على صدري وغمضتك بيدي وتوليت أمرك بنفسي .. نعم وفي كتاب الله أنعم القبول إنا لله وإنا إليه راجعون قد استرجعت الوديعة وأخذت الرهينة واختلست الزهراء فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله ..

أما حزني فسرمد وأما ليلي فمسهد .. لا يبرح الحزن من قلبي أو يختار الله لي دارك التي فيها أنت مقيم كمد مقيح وهم مهيج .. سرعان ما فرق الله بيننا وإلى الله أشكو وستنبئك ابنتك بتظافر أمتك علي وعلى هضمها حقها فاستخبرها الحال فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلا وستقول:

(ويحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين) . سلام عليك يا رسول الله، سلام مودع لا سأم ولا قال فإن أنصرف فلا عن ملالة ..

ماذا تركت لنا الزهراء عليها السلام من تراث:

ان كثيرا من المسلمين يضعون استفهاماتهم حول تراث الزهراء عليها السلام الطاهرة الربانية العالمة الفقيهة المحدثة وأنه لم يعرف ولم ينشر منه إلا النزر القليل..فقد قال الحافظ السيوطي:أن جميع ما روته فاطمة من الحديث لا يبلغ عشرة أحاديث..

وما يقوله الحافظ البدخشاني من أن كل ما روي عنها ثمانية عشر حديثا..بينما روى علماء مذهب اهل البيت لها اكثر من ٢٦٠ حديثا..

ويعلم جميع المسلمون بعلو كعبها وجليل شأنها ونشاطها العلمي فلم يختلفوا في أن لها صحائف مسودة من أقوال رسول الله صلى الله عليه وآله ومصحف بإملاء ملك كريم لم يستأثر بعلمه أحد عدا عن السادة من أبناءها، وقد روى ابن أبي الحديد:

(كان يغشاها نساء المدينة وجيران بيتها)..

ولما كانت فاطمة عليها السلام لا تبرز للرجال وقد قصرت جهدها على النساء وهن لا يحرصن على نقل ما يسمعنه ولا يكتبنه ومن هنا ضاع علم النساء المتفقهات والفقيهات كأم سلمة التي عاشت في كنف رسول الله صلى الله عليه وآله وزينب الكبرى المفسرة العظيمة لكتاب الله عز وجل وعلية بنت الإمام زين العابدين وقد ذكر الرجاليون لها كتابا وحميدة زوجة الصادق عليه السلام الذي أحال عليها الإمام بعض النساء في مسائل حج الصبي والفواطم الستة وإن كنّ عالمات من أحبار الحديث بيد أنه لم ينقل من طرقهن إلا القليل مما كنّ يلقينه ويلقنن به نساء أقوامهن.

مصحف فاطمة وكتابها:

لقد كانت فاطمة الزهراء عليها السلام تدون ما تسمعه من ابيها الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وشأنها شان اهل البيت عليهم السلام خصوصا الامور التي يذكرها رسول الله صلى الله عليه وآله في مجالسه

ولقاءاته وشؤونه الخاصة .. ولولا تدوينها وحفظها من قبل اهل البيت عليهم السلام لحرفت او فقدت تلك الاحاديث لان النبي المصطفى صلى الله عليه وآله لم يبينها بشكل عام كي يحفظها المسلمون فكانت فاطمة الزهراء عليها السلام تدون ذلك كما وان الامام علي عليه السلام كان يدون ما يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يسمى بكتاب الجامعة او الجامع او الصحيفة كما ورد في الاخبار والروايات ..

فكانت فاطمة الزهراء عليها السلام تدون ما تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في مجالسه الخاصة وهي مجالس كثيرة لانه صلى الله عليه وآله كان يجلس اليها ويزورها ويتحدث اليها والى زوجها احاديث كثيرة خصوصا ذات الطابع التي تتحدث عن الاوضاع المستقبلية وما يجري على المسلمين وما يحري من ظلم على اهل البيت عليهم السلام من بعده باعتبار ان رسول الله صلى الله عليه وآله مضافا الى علمه الذي هو اوسع من العلوم العادية والذي تلقاه من الله سبحانه وتعالى وفيما يتعلق بشؤون الحياة والكون فكان صلى الله عليه وآله يعرف بشكل دقيق وواضح ما يجري من السنن الطبيعية الكونية والتي تتحكم في حركة التاريخ كله .. ومن خلال هذا التدوين تكون عندها كتابا يطلق عليه بمصحف فاطمة عليها السلام .

وهو أهم شاهد على إثبات كونها محدثة، فقد روى الكليني بطريق صحيح عن أبي عبيدة (الحذاء) قال:(سأل أبا عبدالله عليه السلام بعض أصحابنا عن الجفر فقال: هو جلد ثور مملوء علما...إلى أن يقول السائل فمصحف فاطمة عليها السلام:قال:فسكت طويلا ثم قال:إنكم لتبحثون عما تريدون وعما لا تريدون إن فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوما وقد دخلها حزن شديد على أبيها وكان جبرائيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان علي عليه السلام يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة عليها السلام .

كما انها عليها السلام امتازت بمعرفة الاحكام الشرعية الفقهية والعقائدية وغيرها وتفسير القران وكل المفاهيم الاسلامية وغيرها لقربها من ابيها صلى الله عليه وآله وذلك بما يحمله صلى الله عليه وآله وما يمثله من مسؤلية البيان والتبليغ عن الله تعالى فلابد ان يفسر لها القران ويوضح لها الاحكام

الشرعية بكل ابعادها وتفاصيلها ولم يترك شيئا الا ذكره وكيف لا تكون كذلك وهي الوارثة للنبوة والامامة ومنها الائمة المهديون .

ومع هذا الحديث النقي سندا والفصيح في لسانه وبيانه، لا يبقى مقام للتشكيك في مصحفها أو التقليل من شأنه من قبل بعض الجماعات التي جَدّتْ وتجددتْ هممهم في النظر إلى أولياء الله في أرضه بالنظرة العادية التي لا تتجاوز بهم الحدود العادية للبشر ومنهم السيدة الطاهرة الزهراء ﷺ التي توالت التصريحات والتلويحات بأنها لا تتجاوز الوضع العادي للمرأة.

فكما عمموا بتشكيكاتهم الواهنة لكرامتها العظيمة أي عدم رؤيتها الطمث ـ وهو ما قدمنا الحديث عنه ـ فقد عطفوا على هذه المنقبة المنيفة والفضيلة السابغة، والتي أراد الله عز وجل أن تكون موقفا من حينها إلى ما شاء الله على نحو ما كان حديث الملائكة إلى مريم العذراء وما تمخض عنه من موقف خرج إلى الناس في غير ما انتظار وفاق توقعهم إذ ما كانوا لأن يبصروا المعجز في غير نبيهم زكريا عليهم وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام..وعلى أي: يقول بعض المعاصرين:

لقد كانت الزهراء ﷺ ترعى رسول الله ﷺ نتيجة العلاقة الروحية بالإضافة إلى العلاقة النسبية مع أبيها وهي في ذلك كله في دورها كأم وكزوجة وكأبنة لرسول الله ﷺ وكربة بيت لا تغفل دورها كإمرأة مسلمة تشعر بأنها مسؤولة عن أن تعلم النساء في المجتمع الإسلامي الذي كان يحتاج إلى تعليم وينقل في تأريخها أنها كانت تجمع نساء أهل المدينة لتلقي عليهن ما تسمعه من رسول الله ﷺوكانت توجههن بكل ما تستطيع من وسائل التوجيه التي تملكها.

كانت ﷺ تكتب ما تسمع من رسول الله ﷺ واستطاعت أن تترك بعد وفاتها كتابا سمي بمصحف الزهراء ﷺ.

وقد حاول الكثيرون من الذين لا يتحملون مسؤولية الكلمة من بعض علماء المسلمين إتهام الشيعة فهم عندما يتحدثون عن مصحف الزهراء يتحدثون عن قرآن آخر غير القرآن الذي يلتزمه المسلمون لأن كلمة المصحف أصبحت كلمة مرادفة لكلمة القرآن

في العرف الإسلامي ولكن هذا عرف متأخر لأن كلمة المصحف تطلق على كل كتاب له صفحات وله أوراق فكل كتاب يسمى مصحفا.

والقرآن إنما سمي مصحفا لأنه يشتمل على صحف وكلمة المصحف لا ترادف في المصطلح الإسلامي كلمة القرآن إنما هي من مصطلحات المسلمين.

ومصحف الزهراء هو كتاب كتبته الزهراء ﷺ مما كانت تسمعه من رسول الله ﷺ من شؤون التشريع وغير التشريع وقد تداوله أهل البيت ﷺ.

وكان الإمام جعفر الصادق ﷺ ينقل منه بعض الأحكام الشرعية وعندما يسأل أين يوجد هذا يقول إنه موجود في مصحف جدتي فاطمة الزهراء ﷺ..

ويلاحظ ويُستنتج الامور التالية:

١ـ حصر نقلها وتعلمها على يد رسول الله ﷺ فليس للملائكة إليها سبيل وهذا قد وقع نتيجة الخلط بين كتاب فاطمة ومصحف فاطمة فالأول هو الذي أملاه رسو ل الله ﷺ والثاني هو الذي أملته الملائكة..

وإن من المشتهر بين المحدثين وأرباب السير أن للسيدة فاطمة ﷺ صحف متناثرة كانت تجمع فيها أحاديث رسول الله ﷺ كحديث الكربة، وحديث الحريرة، حديث الصحيفة البيضاء ..

٢ـ إن نقل الامام الصادق ﷺ بعض الأحكام هو من الكتاب وليس من المصحف كما قد يتوهم من ذلك، يدللك على هذا:

ما رواه في الكافي عن الصادق ﷺ:

(أنه كان ملك بعد وفاة النبي ﷺ يحدث الزهراء ويسلي غمها فشكت ذلك إلى أميرالمؤمنين فقال: لها إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي فأعلمته ذلك وجعل أميرالمؤمنين ﷺ يكتب كل ما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفا ثم قال: أما أنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون).

٣- أن قوله هو كتاب كتبته فاطمة صريح بعدم الوقوف على الأخبار الخاصة بقضية المصحف لفاطمة أوما لها من كتب؛وذلك لأن جميع الروايات تصرح بأن الكاتب علي ﷺ سواء ما أملاه رسول الله ﷺأو ما أملته الملائكة ففاطمة وحسب النصوص الخاصة لم تقم بجرة قلم واحدة.

٤- قد يلاحظ في بعض الكتب والمؤلفات ورود كلمة المصحف فالمقصود ما كان تحدثها الملائكة ﷺ ويجب التمييز كما اسلفنا اذا كان من اقوال الرسول الاكرم ﷺ فهو كتاب فاطمة ﷺ.

الاربعين حديثا:

عن النبيّ ﷺ أنّه قال: (مَن حفظ على أُمّتي أربعين حديثاً من أمر دينها، بَعثه اللهُ يومَ القيامة فقيهاً عالماً)..

وعن أبي عبدالله ﷺ قال: (من حفظ من أحاديثنا أربعين حديثاً، بعثه الله يوم القيامة عالماً فقيهاً)..

وتبقى فاطمة الزهراء ﷺ المدرسة الجامعة للعلوم النبوية والامامة الموصلة لمرضات الله والقدوة للرجال والنساء.. ولابد لنا ان ننهل من فيض تراث علومها المتعددة وبحار معارفها المتلاطمة ونستشف من عبق مقامها السامي ومعرفتها وقربها لله تعالى من خلال عرض بعض تلك العلوم المتعددة لنسير على هديها والتي يعجز القلم عن وصف البلاغه والحكمه والإبداع والمقدره الفائقة:

١- قولها في وصف الله جل جلاله:

(إبتدعَ الاشياء لا من شيءٍ كان قبلها وأنشأها بلا احتذاءِ أمثلةٍ إمتثلها، كوّنها بقُدرتهِ، وذرأها بمشيّته، من غير حاجة منه إلى تكوينها ولا فائدة له في تصويرها، إلا تثبيتا لحكمته وتنبيها على طاعته وإظهاراً لقدرته وتعبداً لبريته وإعزازاً لدعوتهِ .)..

٢- وقالت بان الله هو السلام: (ان الله هو السلام ومنه السلام واليه السلام..).

٣ـ وقالت في احد خطبها ﷺ في الثناء وسبوغ الاء الله تعالى:
(الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما الهم والثناء بما قدم من عموم نعم أبتدأها وسبوغ آلاء أسداها وتمام منن أولاها جم عن الاحصاء عددها ونأى عن الجزاء أمدها وتفاوت عن ادراكها أبدها ..) .

٤ـ قولها في وصف القرآن:
(كِتابُ اللهِ .. قائِدٌ إلَى الرِّضوانِ اتِّباعُهُ، مُؤَدٍّ إلَى النَّجاةِ استِماعُهُ. بِهِ تُنالُ حُجَجُ اللهِ المُنَوَّرَةُ وَعَزائِمُهُ المُفَسَّرَةُ وَمَحارِمُهُ المُحَذَّرَةُ وَبَيِّناتُهُ الجالِيَةُ وَبَراهينُهُ الكافِيَةُ، وَفَضائِلُهُ المَندُوبَةُ وَرُخَصُهُ المَوهُوبَةُ، وَشَرائِعُهُ المكتُوبَةُ..).

٥ـ قولها في وصف أبيهاﷺ:
(وَاشهَدُ أنَّ أبي مُحَمَّداﷺ عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، اختارَهُ وانتَجَبه قَبلَ أن أرسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبلَ أن اجتَبَلَهُ وَاصطَفاهُ قَبلَ أن ابتَعثَهُ، إذِ الخَلائق بِالغيبِ مَكنُونةٌ وبِستر الأهاويلِ مَصونَةٌ وَبِنهايَةِ العَدَمِ مَقرُونَةٌ، عِلماً مِنَ اللهِ تَعالى بِمآلِ الأُمُورِ وَإحاطَةً بِحوادِثِ الدُّهُورِ وَمَعرِفَةً بِمَواقِعِ المَقدُورِ. ابتَعثَهُ اللهُ تعالى إتماماً لأمرِه وعَزيمَةً عَلى إمضاءِ حُكمِهِ وَإنفاذاً لِمَقاديرِ رحَتمِهِ.).

٦ـ وقالت ﷺ في ابيها: فرَأى اللهُ الأُمَمَ فِرَقاً في أديانِها، عُكَّفاً عَلى نيرانِها، عابِدَةً لِأوثانِها، مُنكِرَةً لِلّهِ مَعَ عِرفانِها فأنارَ اللهُ تَعالى بِأبي مُحمَّدٍ ﷺ ظُلَمَها وَكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها وَجَلى عَنِ الأبصارِ غُمَمَها.

٧ـ قولها في فضل زوجها:
(إن السعيد كُلّ السّعيدِ حقّ السّعيدِ، من أحَبَ عَلِياً في حَياتِهِ وبعدَ مَوتِهِ..).

٨ـ لقد قدّمت الزهراء ﷺ الحجج البالغة واحتجّت على ابي بكر وغيره في احقية الامام للخلافة فقالت في خطبتها وقد جاء فيها:

(ويحهم أنى زحزحوها -أي الخلافة - عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الروح الامين والطبن - الخبير - بامور الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين..).

٩- وقالت ﷺ بعدما عزلوا الامام علي من الخلافة:
(وما الذي نقموا من ابي الحسن ؟ نقموا والله منه نكير سيفه وقلة مبالاته لحتفه، وشدة وطأته ونكال وقعته، وتنمّره في ذات الله، وتالله لو مالوا عن المحجة اللائحة وزالوا عن قبول الحجة الواضحة لردّهم اليها وحملهم عليها ..) .

١٠- وذكّرت ﷺ القوم بيوم الغدير: (أنسيتُم قول رسول الله ﷺ يوم غديرخُمّ: مَن كنتُ مولاه، فعلي مولاه؟.. وقوله ﷺ: (أنت منّي بمنزلة هارونَ مِن موسى).

١١- قولها في التعريف بأهل البيت ﷺ: (نحنُ وسيلَتُهُ في خلقِهِ ونحنُ خاصّتُهُ وَمَحَلّ قُدسِه ونحنُ حُجّتُهُ في غيبِهِ، ونحنُ ورثةُ أنبيائِهِ..)
١٢- وقالت في طاعة وامامةأهل البيت: (وطاعتنا نظاماً للملة وامامتنا أماناً للفرقة..)
١٣- قولها في فضل ليلة القدر: روي أنها ﷺ لاتدع أحد من أهلها ينام تلك الليلة (ليلة القدر) وتداويهم بقلة الطعام وتتأهب لها من النهار وتقول (مَحرُومٌ مَن حُرِمَ خيرها).
١٤- قولها في أدب الصائم:
(ما يصنع الصائم بصيامه إذا لَم يَصُن لِسانهُ وَسَمعَهُ وبَصَرَهُ وجَوارِحَهُ..).
١٥- وقالت ﷺ:جَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطهيراً لَكُم مِنَ الشّرك وَالصّلاةَ تَنزيلهاً لَكُم عَنِ الكِبرِ وَ الزّكاةَ تَزكِيةً لِلنّفسِ وَنماءً فِي الرّزقِ وَ الصّيامَ تَثبيتاً لِلإخلاصِ ..
١٦- وقالت ﷺ:جعَلَ اللهُ التّوابَ على طاعته ووَضَعَ العِقابَ عَلى مَعصِيَتِهِ، ذِيادَةً لِعبادِهِ عَن نَقمتِهِ وحِياشَةً لَهُم إلى جنّتِهِ.
١٧- وقالت في حُسن النيّة وخالص العبادة وافضلها:
(مَن أصعد إلى الله خالص عبادته، أهبط اللهُ إليه أفضلَ مصلحته)
١٨ - وقالت في مكارم الاخلاق:(البِشْر في وجه المؤمن يُوجِب لصاحبه الجنّة).

١٩- وقالت ﷺ في الاخلاق:(خياركم الينكم مناكبه واكرمكم لنسائهم).
٢٠- وقالت ﷺ في وصف المؤمن:(المؤمن ينظر بنور الله تعالى).

٢١- وقالت ﷺ في المراة:(ادنى ما تكون من ربها ان تلتزم قعر بيتها).

٢٢- قولها ﷺ في أهمية الحجاب:عن الامام علي ﷺ:
استأذن أعمى على فاطمة ﷺ فحجبته..فقال رسول الله ﷺ لم حجبتيه وهو لا يراك؟
فقالت ﷺ:ان لم يكن يراني فأني أراه .. وهو يشم الريح..
٢٣- وقالت ﷺ في وصيتها للاولاد بحق أمهم وفضلها:
(الزم رجلها فان الجنة تحت اقدامها).

٢٤- في وصيتها للامام علي ﷺ قالت ﷺ:
(يا ابن العم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشوتني ؟) .
٢٥- وقالت ﷺ في الجار: قال الإمام الحسن ﷺ: رأيت أمي فاطمة (ﷺ) قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء.. فقلت لها: يا أماه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟
فقالت: يا بني، الجار ثم الدار .

٢٦- وفي وصيتها للامام علي ﷺ قالت ﷺ:
(يا ابن العم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشوتني ؟) .

٢٧- وقولها ﷺ في خصال المائدة:
في المائدة اثنا عشرة خصلة، يجب على كل مسلم ان يعرفها ..اربع فيها فرض واربع فيها سنة واربع فيها تأديب ..فاما الفرض:فالمعرفة والرضا والتسمية والشكر ..

واما السنة: فالوضوء قبل الطعام والجلوس على الجانب الايسر والاكل بثلاث أصابع ولعق الاصابع ..واما التأديب: فالاكل بما يليك وتصغير اللقمة والمضغ الشديد وقلة النظر في وجوه الناس..

٢٨- وقالت ﷺ في احب شيئ في الدنيا:(حُبب الي من دنياكم ثلاث تلاوة القران والنظر في وجه رسول الله والانفاق في سبيل الله).

٢٩- دعاؤها ﷺ لقضاء الدين وتيسير الأمور:
(اللهم ربنا ورب كل شئ، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحب والنوى، أعوذ بك من شر كل دابة، أنت آخذ بناصيتها . أنت الأول فليس قبلك شئ، وأنت الاخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ . صل على محمد وعلى أهل بيته عليه وعليهم السلام واقض عني الدين وأغنني من الفقر ويسر لي كل الامر، يا ارحم الراحمين) .

٣٠- وفي رواية اخرى عنها ﷺ:(اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شئ، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحب والنوى، أعوذ بك من كل شئ أنت اخذ بناصيته . أنت الأول فليس قبلك شئ، وأنت الاخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ، فأنت الباطن فليس دونك شئ، اقض عني الدين وأغنني من الفقر).

٣١- دعاؤها ﷺ للامر العظيم:
(اللهم بحق يس والقران الحكيم وبحق طه والقران العظيم، يا من يقدر على حوائج السائلين،يا من يعلم ما في الضمير، يا منفسا عن المكروبين، يا مفرجا عن المغمومين، يا راحم الشيخ الكبير، يا رازق الطفل الصغير، يا من لا يحتاج إلى التفسير،صلي على محمد والي محمد و افعل بي ما أنت أهله وصلى الله على محمد والي محمد).

٣٢- وقالت ﷺ مخاطبة الناس: أنتُم عِبادَ اللهِ نُصبُ أمره وَنَهيِه وَحَمَلةُ دينه وَوَحيِه وَأُمناءُ اللهِ عَلى أنفُسِكُم، وَبُلغاؤهُ إلى الأُمَمِ

٣٣- وقالت ﷺ: وَ [جَعَلَ اللهُ] الجِهادَ عِزّاً للإسلامِ وَذُلّاً لأهلِ الكُفرِ والنِّفاقِ.

٣٤- وقالت ﷺ: وَ [جَعَلَ اللهُ] الصّبرَ مَعُونَةً عَلى استيجابِ الأجرِ.

٣٥- وقالت ﷺ: وَ [جَعَلَ اللهُ] الأمرَ بِالمَعروفِ وَالنَّهي عَنِ المُنكَرِ مُصلحَةً لِلعامَّةِ.

٣٦- وقالت ﷺ: وَ [جَعَلَ اللهُ] برَّ الوالِدَينِ وِقايَةً مِنَ السَّخَطِ.

٣٧- وقالت ﷺ: وَ [جَعَلَ اللهُ] صِلَةَالأرحامِ مِسناةً فِي العُمرِ.

٣٨- وقالت ﷺ: وَ [جَعَلَ اللهُ] القِصاصَ حِقناً لِلدِّماءِ.

٣٩- وقالت ﷺ: وَ [جَعَلَ اللهُ] الوَفاءَ بِالنَّذرِ تَعريضاً لِلمَغفِرَةِ.

٤٠- وقالت ﷺ في وصف حالة الامة قبل المبعث خاتم الانبياء والمرسلين:
وَكُنتُم عَلى شَفا حُفرَةٍ مِنَ النّارِ مَذقَةَ الشّارِبِ وَنُهزَةَ الطّامِعِ، وَقُبسَةَ العَجلانِ ومَوطِئَ الأقدامِ تَشرَبُونَ الطَّرقَ، وَتَقتاتُونَ القِدَ أذِلّةً خاسِئينَ تَخافُونَ أن يَتَخطَفَكُمُ النّاسُ من حَولِكُم فَأنقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى بِأبي مُحَمَّدٍ ﷺ بَعدَ اللَّتَيّا والَّتي وَبَعدَ أن مُني بِبُهمِ الرِّجالِ وَ ذُؤبانِ العَرَبِ ومَرَدَةِ أهلِ الكِتابِ(كُلَّما أوقَدُوا ناراً للحربِ أطفأها اللهُ)..

خطب الزهراء ﷺ وادعيتها

ولقد حفظ لنا التاريخ الإسلامي خطبتين في هذا المضمار ، الأولى : ألقتها ﷺ في حشد من المهاجرين والأنصار والثانية : ألقتها على مسامع نساء المهاجرين والأنصار.
وكانتا غاية في الفصاحة والبلاغة والمتانة وقوّة الحجّة وتمثّلان أهم الوثائق التاريخية التي تعكس حالة التردّي التي كان يعيشها المجتمع الإسلامي آنذاك وتكشفان لنا عن سبب ما تعانيه الأمّة الإسلامية حتى اليوم من انحطاط وتقهقر واضطراب في الحالة الإسلامية.

الخطبة الاولى: الخطبة الفدكية لمّا منعوها فدك بعد وفاة ابيها ﷺ

روى عبدالله بن الحسن باسناده عن ابائه ﷺ :

انه لمّا اجمع ابو بكر وعمر على منع فاطمة ﷺ فدكا وبلغها ذلك، لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها ما تخرم مشيتها مشيية رسول الله ﷺ حتى دخلت على ابي بكر وهو في حشد من المهاجرين والانصار وغيرهم فنيطت دونها ملاءة فحنت ثم أنت أنة، أجهشت القوم لها بالبكاء ..
فارتجّ المجلس، ثم أمهلت هنيئة حتى اذا سكن القوم وهدات فورتهم افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله، فعاد القوم في بكائهم، فلما أمسكوا عادت في كلامها فقالت ﷺ:
(الحمد لله على ما انعم وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم من عموم نعم أبتدأها وسبوغ آلاء اسداها وتمام نعم أولاها، جمّ عن الاحصاء عددها ونأى عن الجزاء أمدها وتفاوت عن الادراك أبدها .
وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتّصالها واستحمد الى الخلائق بأجزالها وثنى بالندب الى امثالها .
واشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له، كلمة جعل الاخلاص تاويلها وضمّن القلوب موصولها وأنار في التفكّر معقولها، الممتنع عن الابصار رؤيته ومن الألسن صفته ومن الاوهام كيفيّته، ابتدع الاشياء لا من شيئ كان قبلها وانشأها بلا أحتذاء أمثلة امتثلها .
كوّنها بقدرته وذرأها بمشيته، من غير حاجة منه الى تكوينها ولا فائدة له في تصويرها، الاّ تثبيتا لحكمته وتنبيها على طاعته واظهارا لقدرته وتعبّدا لبريّته واعزازا لدعوته .
ثم جعل الثواب على طاعته ووضع العقاب على معصيته زيادة لعباده عن نقمته وحياشة لهم الى جنّته .
وأشهد ان ابي محمدا عبده ورسوله، اختاره قبل ان يرسله وسمّاه قبل ان اجتباه وصطفاه قبل ان ابتعثه، اذ الخلائق بالغيب مكنونه وبستر الاهاويل مصونة وبنهاية العدم مقرونة، علما من الله تعالى بمايل الامور واحاطة بحوادث الدهور ومعرفة بمواقع الامور، ابتعثه الله اتماما لامره وعزيمة على امضاء حكمه وانفاذا لمقادير حكمته، فرأى الامم فرقا في اديانها، عكفا على نيرانها، عابدة لاوثانها، منكرة لله مع عرفانها .. فانار الله بابي محمد ﷺ ظلمها وكشف عن القلوب بهمها وجلى عن

الابصار غممها وقام في الناس بالهداية، فانقذهم من الغواية وبصّرهم من العماية وهداهم الى الدين القويم ودعاهم الى الطريق المستقيم .

ثم قبضه الله اليه رأفة واختيار ورغبة وأيثار، فمحمد ﷺ من تعب هذه الدار في راحة قد حفّ بالملائكة الابرار ورضوان الرب الغفّار ومجاورة الملك الجبار، صلى الله على أبي نبيه وامينه وخيرته من الخلق وصفيّه والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

ثم التفتت الى اهل المجلس وقالت:

انتم عباد الله نصب أمره ونهيه وحملة دينه ووحيه وامناء الله على انفسكم وبلغاؤه الى الامم، زعيم حق له فيكم وعهد قدّمه اليكم، وبقية استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق والقران الصادق والنور الساطع والضياء اللامع، بيّنة بصائره منكشفة سرائره، منجلية ظواهره، مغتبط به اشياعه، قائد الى الرضوان اتباعه، مؤدّ الى النجاة استماعه به تنال حجج الله المنورة وعزائمه المفسرة ومحارمه المحذرة وبيّناته الجالية وبراهينه الكافية وفضائله المندوبة ورخصه الموهوبة وشرائعه المكتوبة، فجعل الله الايمان تطهيرا لكم من الشرك والصلاة تنزيها لكم عن الكبر والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق، والصيام تثبيتا للاخلاص والحج تشييدا للدين والعدل تنسيقا للقلوب وطاعتنا نظاما للملة وامامتنا أمانا للفرقة والجهاد عزا للاسلام والصبر معونة على استيجاب الاجر والامر بالمعروف مصلحة للعامة وبر الوالدين وقاية من السخط وصلة الارحام منسأة في العمر ومنماة للعدد والقصاص حقنا للدماء والوفاء بالنذر وتعريفا للمغفرة وتوفية المكاييل والموازين تغييرا للبخس والنهي عن شرب الخمر تنزيها عن الرجس واجتناب القذف حجابا عن اللعنة وترك السرقة ايجابا للعصمة وحرّم الله الشرك اخلاصا له بالربوبية (فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتنّ الا وانتم مسلمون)..

واطيعوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه، فانه (انما يخشى الله من عباده العلماء) .

ثم قالت:

أيها الناس اعلموا أني فاطمة وأبي محمد ﷺ أقول عودا وبدءا ولا أقول ما اقول غلطا ولا أفعل شططا(لقد جاءكم رسول عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) ..

فان تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم وأخا ابن عمي دون رجالكم ولنعم المعزى اليه ﷺ فبلّغ الرسالة صادعا بالنذارة مائلاعن مدرجة المشركين ضاربا ثبجهم، آخذا

باكظامهم، داعيا الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجف الاصنام وينكث الهام، حتى انهزم الجمع وولّوا الدبر وتفرّى الليل عن صبحه واسفرالحق عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق الشياطين وطاح وشيظ النفاق وانحلّت عقد الكفر والشقاق وفهتم بكلمة الاخلاص في نفر من البيض الخماص وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطئ الاقدام تشربون الطرق وتقتاتون القدّ، أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فانقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد ﷺ بعد اللتيا والتي وبعد ان مني ببهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب كلّما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان، اوفغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ جناحها بأخمصه ويخمد لهبها بسيفه، مكدودا في ذات الله مجتهدا في امر الله، قريبا من رسول الله، سيّدا في أولياء الله، مشمّرا ناصحا مجّدا كادحا، لا تأخذه في الله لومة لائم وانتم في رفاهيّة من العيش وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر وتتوكّفون الاخبار وتنكصون عند النزال وتفرّون من القتال فلّما اختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسيكة النفاق وسمل جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ خامل الاقلّين وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفا بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين وللغرّة فيه ملاحظين ثم استنهضكم فوجدكم خفافا وأحمشكم فألفاكم غضابا، فوسمتم غير ابلكم ووردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لمّا يندمل والرسول لمّا يقبر، ابتدارا زعمتم خوف الفتنة ..

(الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين) فهيهات منكم وكيف بكم وأنى تؤفكون وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة واحكامه زاهرة واعلامه باهرة وزواجره لائحة وأوامره واضحة وقد خلّفتموه وراء ظهوركم.

أرغبة عنه تريدون ؟ أم بغيره تحكمون ؟

(بئس للظالمين بدلا)، (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه، وهوفي الاخرة من الخاسرين)..

ثم لم تلبثوا الا ريث ان تسكن نفرتها ويسلس قيادها، ثم أخذتم تورون وقدتها وتهيجون جمرتها وتستجيبون لهتاف الشيطان الغويّ واطفاء أنوار الدين الجليّ واهمال سنن النبي الصفيّ وتشربون حسوا في ارتغاء وتمشون لاهله وولده في الخمرة والضراء

ونصبر منكم على مثل حزّ المدى ووخز السنان في الحشا، وانتم الان تزعمون أن لاارث لنا ..

(افحكم الجاهلية تبغون) (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) .. أفلا تعلمون ؟ ..

بلى، قد تجلّى لكم كالشمس الضاحيه أني ابنته، ايها المسلمون ..

أأغلب على ارثي ؟ يابن ابي قحافة: أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث ابي ؟

لقد جئت شيئا" فريّا ، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، اذ يقول (وورث سليمان داوود) وقال فيما اقتصّ من خبر زكريا اذ قال:(فهب لي من لدنك وليّا يرثني ويرث من آل يعقوب).

وقال: (وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله)..

وقال:(يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين)..

وقال: (ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين) .

وزعمتم ان لا حظوة لي ولا ارث من ابي ولا رحم بيننا، أفخصّكم الله بأية أخرج ابي منها ؟

ام هل تقولون أن أهل ملتين لا يتوارثان ؟

أولست أنا وابي من أهل ملّة واحدة ؟

ام انتم اعلم بخصوص القرآن، وعمومه من ابي وابن عمي ؟

فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك .فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولاينفعكم اذ تندمون ولكل نبأ مستقر ولسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ..

ثم رمت بطرفها نحو الانصار فقالت: يامعشر النقيبة وأعضاد الملّة وحضنة الاسلام ، ما هذه الغميزة في حقي والسنّة عن ظلامتي ؟

أما كان رسول الله ﷺ ابي يقول (المرء يحفظ في ولده)

سرعان ما أحدثتم وعجلان ذا أهالة ولكم طاقة بما احاول وقوة على ما اطلب وازاول، اتقولون مات محمد ﷺ؟

فخطب جليل استوسع وهنه واستنهر فتقه وانفتق رتقه واظلمت الارض لغيبته وكسفت الشمس والقمر وانتثرت النجوم لمصيبته وأكدت الآمال وخشعت الجبال وأضيع الحريم وأزيلت الحرمة عند مماته فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى،

لامثلها نازلة ولا بائقة عاجلة، اعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في افنيتكم وفي ممساكم ومصبحكم، يهتف في افنيتكم هتافا وصراخا وتلاوة والحانا ولقبله ما حلّ بانبياء الله ورسوله، حكم فصل وقضاء حتم ..

(وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) .

ايها بني قيلة ..أأهضم تراث أبي وانتم بمرأى منّي ومسمع ومنتدى ومجمع تلبسكم الدعوة وتشملكم الخبرة وانتم ذوو العدد والعدة والاداة والقوّة، وعندكم السلاح والجُنّة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح والنخبة التي انتخبت والخيرة التي اختيرت لنا اهل البيت قاتلتم العرب وتحمّلتم الكدّ والتعب وناطحتم الامم وكافحتم البهم، لانبرح او تبرحون، نامركم فتاتمرون، حتى اذا دارت بنا رحى الاسلام ودرّ حلب الايّام وخضعت نعرة الشرك وسكنت فورة الافك وخمدت نيران الكفر وهدأت دعوة الهرج واستوسق نظام الدين فأنّى حزتم بعد البيان وأسررتم بعد الاعلان ونكصتم بعد الاقدام واشركتم بعد الايمان ؟

بؤسا لقوم نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤوكم اول مرة، أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين .

الا وقد أرى أن قد أخلدتم الى الخفض وابعدتم من هو احق بالبسط والقبض وخلوتم بالدعه ونجوتم بالضيق من السعة، فمججتم ماوعيتم ودسعتم الذي تسوّغتم (فان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد) .

الا وقد قلت ما قلت هذا على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم والغدرة التي استشعرتها قلوبكم ولكنها فيضة النفس ونفثة الغيظ وخور القناة وبثة الصدر وتقدمة الحجة، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخفّ، باقية العار، موسومة بغضب الجبار وشنار الابد، موصولة بنار الله الموقودة التي تطلّع على الافئدة، فبعين الله ماتفعلون..(وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون) ..

وانا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا انّا عاملون وانتظروا انّا منتظرون .

لقد ابتدأت خطبة الزهراء ﷺ بالاستهلال بالحمد لله على نعمائه والشكر والثناء على آلاءه، ثم التمهيد لله تعالى بالشهادة بوحدانيته والذي لاتدرك الابصار رؤيته ولا الالسن صفته ثم الشهادة لرسول الله ﷺ وحيث ان هذا الاستهلال بالنسبة الى فاطمة الزهراء ﷺ يعتبر طبيعيا ودون تعثر أو تأخر في الكلام وهواستهلال رائع وجميل وكان يتصاعد الى الذروة ولا عجب فانها ﷺ قد تخرّجت من مدرسة رسول الانسانية ومدرسة الامام علي ﷺ سيد البلغاء بعد الرسول المصطفى ﷺ مع الالهام الرباني لها بصفتها احد الاربعة عشر معصوما ممن الهمهم الله تعالى بالعصمة التعبيرية بالاضافة الى سائر انماط العصمة بطبيعة الحال .

ان هذه الخطبة العصماء، كما هي خطب الرسول ﷺ وخطب الامام علي ﷺ تزخر بنحو ملحوظ من الصورة الرائعة والايقاع وهما الطابعان اللذان لا يكادان ينفكان من مطلق النصوص الواردة عن المعصومين ﷺ سواء أكانت خطبا أم رسائل أم احاديث، يضاف بطبيعة الحال الى عناصر لفظية ودلالية اضافة للتلاحم العضوي بين جزئيات النص بمواكبة ادوات التقابل والتماثل والسرد والحوار والتكرار والتوكيد وغيرها .

لقد ابتدأت الخطبة بنصوصها على النحو التالي:

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم والثناء بما قدّم

من عموم نعم ابتداها وسبوغ آلاء أسداها وتمام نعم والاها جلّ عن الاحصاء عددها ونئى عن الجزاء أمدها وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها ..

واستحمد الى الخلائق باجزالها وثنى بالندب الى أمثالها ..

هذا هو القسم الاول من الاستهلال بالحمد ويليه القسم الثاني والخاص بالشهادتين وبعد ذلك يتم الدخول الى الاقسام الاخرى والمجسّدة للموضوع المطلوب عرضه، بعد ان استعرضت شخصية محمد ﷺ وانتخابه رسولا من الله تعالى الى البشرية جمعاء، ثم كشفت انحراف القوم حيال الشيطان الذي أطلع رأسه ووجدهم مستجيبين لدعوته المنحرفة عن الحق وهذا ما استهدفته الزهراء ﷺ في فضح القوم وبيان تخليهم عن الوصايا التي كلفهم بها الرسول المصطفى ﷺ فانحرفوا من الحق للباطل بعد معرفتهم لحقيقة الامر.

اهداف الخطبة الفدكيه للزهراء ﷺ

لقد تقدمت الزهراء في خطبتها امام انظار المهاجرين والانصار ومع النسوة اللاتي جئن معها لتبين امورا مهمة وامام انظار الامة ويمكن ذكر بعض اهمها وهي كما يلي:

اولا:لقد ارادت فاطمة الزهراء ﷺ ان تبين حقها الشرعي من فدك وقد نحلها اياها بقوله ﷺ:(كان لامك خديجة على ابيك مهر وان اباك قد جعل فدك لك بذلك) ولابد من استرجاعها .

ونحن ومن خلال استقراء الجوانب التاريخية وما نقله المؤرخون فنلاحظ الظرف التاريخي الذي حف بالحركة الفاطمية وحيث البيت الهاشمي المفجوع بعميده الأكبر قد توفرت له كل بواعث الثورة على الأوضاع القائمة، والانبعاث نحو تغييرها وإنشائها إنشاء" جديدا وأن الزهراء قد اجتمعت لها كل إمكانيات الثورة ومؤهلات المعارضة التي قرر المعارضون أن تكون منازعة سلمية مهما كلف الأمر .

ثانيا:لقد الغى الحزب الحاكم كل حقوق بني هاشم، فارادت كشف الحقيقة وتعريف الناس بابتعادهم عما رسمه الرسول المصطفى ﷺ لامته وكان بتخطيط السماء أن يتولى علي وأهل البيت الأطهار إمامة الأمة وزعامتها، وقد كانت هناك عملية إعداد واسعة النطاق من قبل المصطفى ﷺ من الناحية التربوية وفكرية والسياسية لمثل هذه الخلافة والزعامة على الامة، بل كان هناك منهج واضح تتوالى خطواته بهذا الاتجاه وتشهد لذلك نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة، بما لا يدع مجالا للشك .

ثالثا: لقد ارادت حقها من فدك كمقدمة للمطالبة بحق زوجها المغتصب.

لقد جعلت الزهراء ﷺ المطالبة بفدك، مقدمة للخلافة المغتصبة لاسترجاعها والقاء الحجة على الامة..وان من يغتصب حقها الشرعي جهارا يمكن له ان يغتصب الاخلافة ايضا .

رابعا: كشف الحكومة وبيان حقيقة المؤامرة الكبرى في عزل الخليفة المرشح من قبل الله والمثبّت بنص الرسول وصاحب السلطة القانونية والتشريعية على الامة وبالتالي لابد من كشف ابعاد مؤامرة السقيفة والمخالفة للاسلام وسنة الرسول المصطفى ﷺ.

لقد نجحت فاطمة الزهراء بكشف المؤامرة الكبيرة على البيت العلوي وعلى الامة من التأمر عليها واغتصاب الخلافة .. ولابد للامة من النهوض والتعبير عن رفضها بكل ما أوتيت من قوة وارادة صلبة والا كانت مسؤولة عن ذلك التقصير أمام الله سبحانه وتعالى .

الخطبة الثانية:خطبتها في مرضها لنساء المهاجرين والانصار

قال سويد بن غفلة: لمّا مرضت فاطمة ﷺ في مرضها الذي توفيت فيه دخلت عليها نساء المهاجرين والانصار يعدنها، فقلن لها :

كيف أصبحت من علّتك يابنة رسول الله؟

فحمدت الله وصلّت على ابيها ثم قالت: أصبحت والله عائفة لدنياكن، قالية لرجالكن، لفظتهم بعد ان عجمتهم، وسئمتهم بعد ان سبرتهم، فقبحا لفلول الحدّ، واللعب بعد الجدّ وقرع الصفاة وصدع القناة، وختل الآراء وزلل الاهواء وبئس ما قدمت لهم انفسهم، ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، لاجرم لقد قلّدتهم ربقتها، وحملتهم أوقتها، وشنت عليهم غاراتها، فجدعا" وعقرا" وبُعدا للقوم الظالمين ..

ويحهم أنى زعزعوعا عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة ومهبط الروح الامين والطبين بامور الدنيا والدين، الا ذلك هو الخسران المبين ..

وما الذي نقموا من ابي الحسن (ﷺ) نقموا والله منه نكير سيفه

وقلة مبالاته بحتفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله ..

وتالله لو مالوا عن المحجة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة، لردهم اليها وحملهم عليها ولساربهم سيرا سجحا، لايكلّم خشاشه ولا يكل سائره ولايمل راكبه ولأوردهم منهلا نميرا، صافيا رويّا، تطفح ضفتاه ولايترنق جانباه ولاصدرهم بطانا ونصح لهم سرا واعلانا ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل ولايحظى منها بنائل، غير ريّ المناهل وشبعة الكافل ولبان لهم الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب (ولو ان أهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون).. والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ماكسبوا وما هم بمعجزين، الا هلم فاسمع، وما عشت أراك الدهر عجبا ..(وان تعجب فعجب قولهم)

ليت شعري الى أي سناد استندوا والى أي عماد اعتمدوا وبأية عروة تمسكوا وعلى أية ذرية أقدموا واحتنكوا ؟..

لبئس المولى ولبئس العشير..(وبئس للظالمين بدلا) .. استبدلوا والله الذنابى بالقوادم والعجز بالكاهل، فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ..(الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) .

ويحهم (أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لايهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون) .اما لعمري لقد لقحت، فنظرة ريثما تنتج ثم احتلبوا ملئ(طلاع) العقب دما عبيطا وزعافا مبيدا، هنالك يخسر المبطلون ويعرف البطّالون غب ماأسّس الاولون، ثم طيبوا عن دنياكم أنفسا واطمئنوا للفتنة جأشا وأبشروا بسيف صارم وسطوة معتد غاشم، وبهرج واثم شامل واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيدا وجمعكم حصيدا، فيا حسرة لكم وانّى بكم وقد عميت عليكم ..(انلزمكموها وانتم لها كارهون) .

هذه الخطبة تختلف عن الخطبة الفدكية في اسلوبها وذلك كونها تبدأ بالدخول الى الموضوع المستهدف مباشرة، دون التمهيد من خلال الحمد لله تعالى والصلاة على رسوله ﷺ والاشادة بالاسلام .

ولعل السياق الذي وردت به الخطبة من خلاله فرضت الدخول مباشرة الى الموضوع وهو سؤال النسوة عن مرضها والذي جئن لزيارتها بعد علمهم بمرضها الذي كانت فيه . لقد استهلت الخطبة بذم الدنيا وزينتها والتي تغري المجتمع النسوي بشكل واضح وقد احتشدت الخطبة منذ البداية بالعنصر الصوري واسلوب الاستعارة، بينما كانت الخطبة الاولى يتأرجح بين التمثيل والاستعارة، كما يلاحظ بان اول عبارة افتتحت خطبتها قد اقترنت بالقسم وهو سمة فنية ولها دلالتها الكبيرة بالنسبة الى صدقها لما تقرره من الحقائق، حيث تمت المخاطبة بالشكل التالي ..

(عائفة لدنياكنّ، قالية لرجالكن)

وهذه العبارة قد نسبت الدنيا للنساء، كما وان البغض لرجالهن له دلالة واضحه وهو امريثير تساؤلا.. الا ان الاجابة واضحه وضوح الشمس في رابعة النهار .

فنجد المسار الفني للدخول الى موضوع التحدث عن الرجال الذين صاغوا المؤامرة التي أبعدت الامام علي ﷺ عن حقه المشروع لقيادة الامة بعد رسول الله ﷺ والذي وضعه وانتخبه الله تعالى والرسول لها المنصب على الامة .

ويتلخص الملتقى من خلال الخطبة وهو انصياع الناس للدنيا الدنيئة فالرجال من اجل الجاه والقيادة والسمعة والنساء من اجل الرجال لسكوتهن عن الحق .

ان الفرق بين هذه الخطبة والخطبة الفدكية، بان الخطبة الفدكية عرضت لموضوعين مهمين وهما (فدك) و(الخلافة) مع ملاحظة ان فدك تجسّد مدخلا واداة لموضوع الامامة او الخلافة بعد التحاق الرسول ﷺ بالرفيق الاعلى وهذا يقودنا للموضوع العبادي الذي خلقنا الله تعالى الانسان من اجله.

اما الخطبة الاخيرة فقد تمخضت للخلافة دون الرجوع الى الاداة المذكورة وهذا الجانب يتسّم بالاهمية الفكرية والجمالية دون ادنى شك وحيث ان فدكا ما كانت الا تعبيرا لظلم الحاكم بسحبها منها ﷺ وطرد العاملين منها، فما قيمة الدنيا وما فيها امام الزهراء ﷺ بل الدنيا وما فيها لاهون من ورقة في فم جرادة تقضمها كما يصّورها الامام علي ﷺ فكيف بفدك التي لا تمثل الاشيئا يسيرا من حطام الدنيا الفانية.

ان الخلافة لعلي ﷺ تبقى الهدف الاسمى والمهم للامة والتعريف بالحق المشروع والمؤكد من قبل الله تعالى ورسوله الاكرم ﷺ بل كون الامامة هي الامتداد الطبيعي للنبوة وامتدادها الزمني مع بقاء الحياة الدنيا حيث تبدأ من امامة علي ﷺ وانتهاء" بالشخصية المعاصرة للامام المهدي المنتظر (عج) وهذا المفهوم يتجسّد في المبادئ التي رسمها الله تعالى للامة والبشرية جمعاء واخضعها تعالى كسائر التجارب التي تحياها البشرية في خلافة الارض بالامام العادل والذي تنتخبه السماء .

لقد ارادت الزهراء ﷺ ان تعرّف الناس الحقيقة التي يجب ان تعرفها الامة بان اهل البيت هم عيبة علم الله وهم خلفاء رسول الله وفي بيوتهم نزل الكتاب وهم حجج الله على البرايا وانهم هم السبيل وهم ورثة النبي ﷺ ..

وارادت ان لا يحضر تجهيزها ودفنها احد من خصومها وكان هذا الاعلان الاخير وقد نجحت في معارضتها لانها بينت الحق وايقظت الضمير ..

فجاءا يعتذران اليها وقالت: نشدتكمالله الم تسمعا من رسول الله ﷺ يقول:(رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي فمن احب فاطمه فقد احبني ومن ارضى

فاطمة فقد ارضاني ومن اسخط فاطمة فقد اسخطني ..).قالا: نعم ..قالت: فأني اشهد الله وملائكته انكما اسخطتماني وما ارضيتماني ولئن لقيت النبي لاشكونكما عنده .
لقد افهمت الامة بانهما قد آذاها وينطبق قول الله تعالى (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم) وقوله (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة) .

بعض من ادعيتها ﷺ

دعاؤها ﷺ لقضاء الدين وتيسير الأمور:

اللهم ربنا ورب كل شئ، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحب والنوى، أعوذ بك من شر كل دابة، أنت آخذ بناصيتها . أنت الأول فليس قبلك شئ، وأنت الاخر فليس بعدك شئ، وأنت الظاهر فليس فوقك شئ، وأنت الباطن فليس دونك شئ . صل على محمد وعلى أهل بيته عليه وعليهم السلام، واقض عني الدين وأغنني من الفقر، ويسر لي كل الامر، يا ارحم الراحمين .

دعاؤها ﷺ لدفع الشدائد

روى أن النبي ﷺ علم عليا وفاطمة ﷺ هذا الدعاء وقال لهما:
إن نزلت بكما مصيبة أو خفتما جور السلطان أو ضلت لكما ضالة، فأحسنا الوضوء وصليا ركعتين وارفعا أيديكما إلى السماء وقولا:
يا عالم الغيب والسرائر، يا مطاع يا عليم، يا الله يا الله يا الله، يا هازم الأحزاب لمحمد ﷺ يا كائد فرعون لموسى يا منجي عيسى من الظلمة، يا مخلص قوم نوح من الغرق يا راحم عبده يعقوب يا كاشف ضر أيوب، يا منجي ذي النون من الظلمات، يا فاعل كل خير، يا هاديا إلى كل خير، يا دالا على كل خير، يا آمرا بكل خير، يا خالق الخير، يا أهل الخيرات، أنت الله رغبت إليك فيما قد علمت وأنت علام الغيوب، أسألك ان تصلي على محمد والي محمد .(ثم اسألا الحاجة تجاب ان شاء الله تعالى).

دعاؤها ﷺ لقضاء الحوائج:

روى ان النبي ﷺ علم عليا وفاطمة ﷺ وقال: يصلي أحدكما ركعتين، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي ثلاث مرات و قل هو الله أحد ثلاث مرات وأخر

الحشر ثلاث مرات من قوله: (لو أنزلنا هذا القران على جبل) إلى آخره، فإذا جلس فليتشهد وليثن على الله وليصلي على النبي وليدع للمؤمنين والمؤمنات، ثم يدعو على اثر ذلك فيقول:

اللهم انى أسألك بحق كل اسم هولك، يحق عليك فيه إجابة الدعاء إذا دعيت به، وأسألك بحق كل ذي حق عليك وأسألك بحقك على جميع ما هو دونك ان تفعل بي كذا و كذا .

دعاؤها ﷺ للخلاص من المهالك:

روي ان رجلا كان محبوسا بالشام مدة طويلة مضيقا عليه، فرأى في منامه كأن الزهراء ﷺ أتته، فقالت له: ادع بهذا الدعاء، فتعلمه ودعا به، فتخلص ورجع إلى منزله وهو: اللهم بحق العرش ومن علاه، وبحق الوحي ومن أوحاه، وبحق النبي ومن نبأه، وبحق البيت ومن بناه . يا سامع كل صوت، يا جامع كل فوت، يا بارئ النفوس بعد الموت، صل علي محمد وأهل بيته واتنا وجميع المؤمنين والمؤمنات، في مشارق الأرض ومغاربها، فرجا من عندك عاجلا . بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبدك ورسولك، صلي الله عليه وعلى ذريته الطيبين الطاهرين وسلم تسليما .

دعاؤها ﷺ في الاحتراز:

بسم الله الرحمن الرحيم، يا حي يا قيوم برحمتك استغيث فأغثني ولا تكلني إلي نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله برحمتك يا ارحم الراحمين.

دعاؤها ﷺ إذا طلع هلال شهر رمضان

عن الرضا ﷺ في حديث: معاشر شيعتي إذا طلع هلال شهر رمضان فلا تشيروا إليه بالأصابع ولكن استقبلوا القبلة وارفعوا أيديكم إلى السماء و خاطبوا الهلال وقولوا:

ربنا وربك الله رب العالمين اللهم اجعله علينا هلالا مباركا ووفقنا لصيام شهر رمضان وسلمنا فيه وتسلمنا منه في يسر وعافية واستعملنا فيه بطاعتك، انك علي كل شئ قدير . ثم قال: ولقد كانت فاطمة سيدة نساء العالمين ﷺ تقول ذلك سنة فإذا طلع هلال شهر رمضان، فكان نورها يغلب الهلال يخفي، فإذا غابت عنه ظهر .

دعاؤها ﷺ إذا اخذت مضجعها:

الحمد لله الكافي، سبحان الله الأعلى، حسبي الله وكفى، ما شاء الله قضى، سمع الله لمن دعا، ليس من الله ملجأ، ولا وراء الله ملتجأ . توكلت على الله ربي وربكم، ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها، ان ربي علي صراط مستقيم . الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا .

دعاؤها ﷺ إذا نامت

روي عنها ﷺ: دخل عليّ رسول الله ﷺ وقد افترشت فراشي للنوم، فقال: يا فاطمة لا تنامي الا وقد عملت أربعة: ختمت القرآن وجعلت الأنبياء شفعاءك وأرضيت المؤمنين عن نفسك و حججت واعتمرت .. إلى ان قالت: قال: إذا قرأت (قل هو الله أحد) ثلاث مرات فكأنك ختمت القرآن وإذا صليت علي وعلى الأنبياء قبلي كنا شفعاؤك يوم القيامة، وإذا استغفرت للمؤمنين رضوا كلهم عنك وإذا قلت: سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر . فقد حججت واعتمرت .

ومن دعاؤهاﷺ عند المنام:

الله أكبر أربعا وثلاثين . الحمد لله ثلاثا وثلاثين . سبحان الله ثلاثا وثلاثين .

دعاؤها ﷺ لدفع رؤيا المكروهة

روي عن الصادق ﷺ قال: شكت فاطمة ﷺ إلى رسول الله ﷺ ما تلقاه في المنام، فقال لها: إذا رأيت شيئا من ذلك فقولي: أعوذ بما عاذت به ملائكة الله المقربون، وأنبياء الله المرسلون وعباد الله الصالحون من شر رؤياي التي رأيت، ان تضرني في ديني ودنياي . واتفلي على يسارك ثلاثا .

خلاصة البحث

لقد حازت فاطمة الزهراء ﷺ من الكمالات النفسانية والفضائل العقلانية والسمو الروحي ما لم يحرزها احد من نوع النسوة من الاولين والاخرين .

انها ولية الله في السماوات والارضين وانها اشرف من جميع الانبياء والمرسلين عدا الرسول الخاتم محمد ﷺ وعلي ﷺ ولم يتهيأ لاحد في شرف محلها وعلو رتبتها وسمو مكانتها ونبلها وفضلها وما أعدّ الله لهامن مرتبة، والتي ليست لاحد قبلها ولا بعدها .

ان الشرف الذي اكتنفها بانها قدّمت عطاءً سخياً وتفاني في سبيل الله وفي سبيل الدعوة الاسلامية والدفاع عن رسول الله ومواساته وتقديم الدفئ اللازم لتعويضه عن حنان امها خديجة رضوان الله عليها والايثار الذي قدمته وكذلك جعلت كل شيئ في حياتها عطاءً لاحدود له في سبيل خالقها وبارئها سبحانه وتعالى ومع قصر فترة حياتها وهي في عمر الورد وفي ريعان شبابها الاانها ملئت الدنيا حياة وعطاءً واسعا وبلا حدود .

فهي المدرسة الجامعة لكل ابعاد الحياة الطيبة والسعيدة وهي القدوة للبنت وللزوجة وللام بل لكل انسان .

وهي المدرسة والقدوة الحسنة والمربية لكل أم تريد تربية صالحة لاولادها، فلابد ان تدرس حياة الزهراء ﷺ وقد خرّجت سيدي شباب أهل الجنة وهما الحسن والحسين وخرّجت بطلة كربلاء وعقيلة الطالبين زينب ﷺ وقد كادت الجبال ان تنهد لعظمة صبرها وتحّملها وايمانها وبطولتها مع اخيها شهيد كربلاء ابو عبدالله الحسين ﷺ .

ان للزهراء ﷺ مقاما لايدانيه مقام ولها محورية في نظام هذا العالم الذي نعيشه والذي لايمكن لعقولنا ان يصل الى الحقيقة القرانية والاحاديث الواردة عن الرسول الاكرم ﷺ وأهل بيته الطاهرين .

فالزهراء ﷺ في حقيقة الامرهي الواررثة لعلوم النبوة والرسالة من ابيها ﷺ وهي الوارثة لعلوم الامامة من زوجها علي بن ابي طالب ﷺ فاصبحت وعاءً لجميع تلك العلوم واصبحت أم الائمة الاطهار المعصومين ﷺ .

لقد كرّم الله سبحانه وتعالى وقلّد فاطمة الزهراء أوسمة من النورالالهي جزاءً لبطولاتها وتفانيها في سبيله سبحانه وتعالى وبذل كل غال ورخيص وكل ما تملك فداءً لوجه الله لاتريد جزاءاً ولا شكورا، فكان ينزل في حقها قرآنا يمجدّها، فتارة يعتبرها تمثل النساء جميعا كما ورد في أية المباهلة وتارة يطهّرها باية التطهير وتارة يبين عظيم شانها في سورة الدهر وفي أيات أخرى يبين فظلها وسمو منزلتها..

ان الامة الاسلامية والعالم باجمعه هم اليوم بأمس الحاجة للاقتداد والاهتداء بسيرة فاطمة الزهراء ﷺ كما وان كل محطة من مراحل حياتها تمثل اعلى درجات المرأة الطاهرة النقية الصافية في اخلاقها الفاضلة وفي سيرتها العقائدية الصحيحة الطيبة والمخلصة في طاعتها وفي قربها الالهي ..

وفقنا للسير على سيرة الحبيب المصطفى ﷺ وعلى مدرسة أهل بيته الميامين المعصومين ﷺ والذين فرض الله طاعتهم وعلى التطبيقات العملية لسيرة فاطمة الزهراء ﷺ للوصول نحو مرضات الله سبحانه وتعالى وآخردعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على اشرف الخلق وخاتم الانبياء والمرسلين وعلى أهل بيته الطاهرين .

المراجع والمصادرللكتب المعتمدة

١ـ القران الكريم ـ كتاب الله المجيد

٢ـ تفسير الميزان / العلامة الطباطبائي

٣ـ مجمع البيان في تفسير القرأن / العلامة الطبرسي

٤ـ فاطمة الزهراء قدوة واسوة / السيد محمد تقي المدرسي

٥ـ سيرة الزهراء / السيد عبدالحسين دستغيب

٦ـ فاطمة الزهراء افضل اسوة للنساء / السيد محمد الشيرازي

٧ـ ادب فاطمة الزهراء / الدكتور محمود البستاني

٨ ـ الزهراء عبق الرسالة وعبير محمد ﷺ / قاسم البغدادي

٩ ـ فاطمة الزهراء من قبل الولادة الى بعد الاستشهاد/عبدالله عبد العزيز الهاشمي

١٠ ـ السقيفة والخلافة / عبد الفتاح عبد المقصود

١١ـ اللمعه البيضاء في شرح خطبة الزهراء / محمد علي الانصاري .

١٢ـ فدك في التاريخ / الشهيد محمد باقر الصدر

١٣ـ السيده فاطمة الزهراء ﷺ/ محمد بيومي

١٤ـ مناقب أهل البيت عليهم السلام / المولى حيدر الشيرواني

١٥ـ موسوعة احاديث أهل البيت عليهم السلام / الشيخ هادي النجفي

١٦ـ انساب الاشراف / البلاذري

١٧ـ تاريخ دمشق / ابن عساكر الشافعي

اضافة لكتب تأريخية واسلامية وبحوث ومقالات اخرى تم درجها خلال البحث.

محتويات الكتاب	الصفحة
١ـ اهداء	٣
٢ـ شعر في مدح الزهراء ﷺ	٤
٣ـ مقدمة	٥
٤ـ الفصل الاول / ولادتها ونشأتها ﷺ	٧
٥ـ الفصل الثاني / الزهراء ﷺ في القرآن	٣٣
٦ـ الفصل الثالث/الزهراء في بيت الرسالة والدروس	٥٧
٧ـ الفصل الرابع /الزهراء الزوجة المثالية	٨١
٨ ـ الفصل الخامس / مقامات الزهراء ﷺ	١٠٥
٩ـ الفصل السادس/فاطمة الزهراء ﷺ وفدك	١٣٩
١٠ ـ الفصل السابع / جهاد الزهراء ﷺ	١٦٥
١١ـ الفصل الثامن/الزهراء مدرسة الاجيال	١٩١
١٢ـ الفصل التاسع/مظلومية الزهراء ﷺ	٢٠٥
١٣ـ الفصل العاشر / لقاء الله وهي في عمر الورد	٢٣١
١٤ـ خلاصة البحث	٢٧١
١٥ـ مراجع ومصادر الكتاب	٢٧٣
١٦ـ محتويات الكتاب	٢٧٤
.....	.....